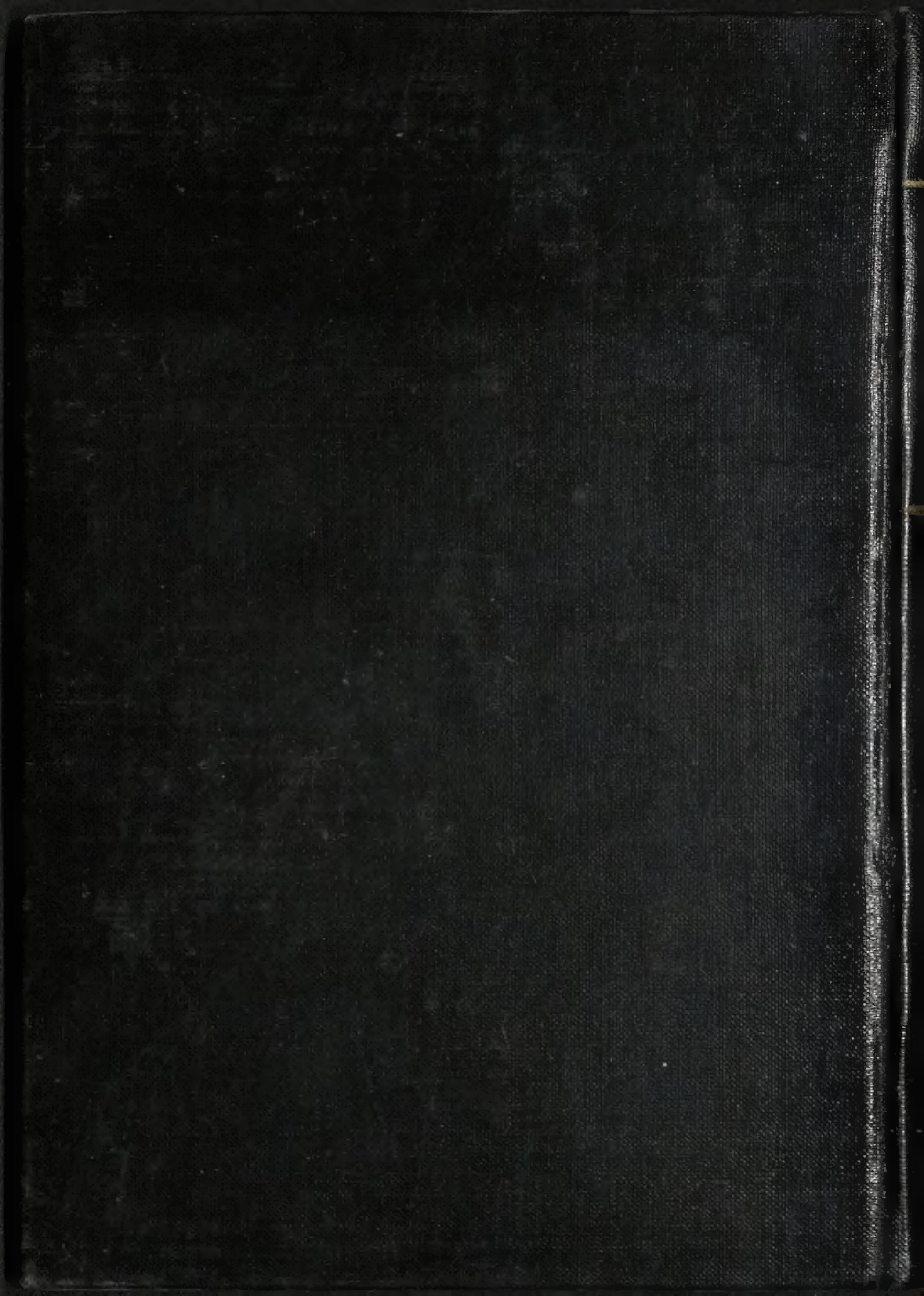
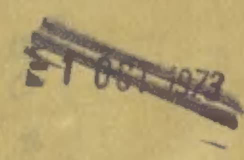
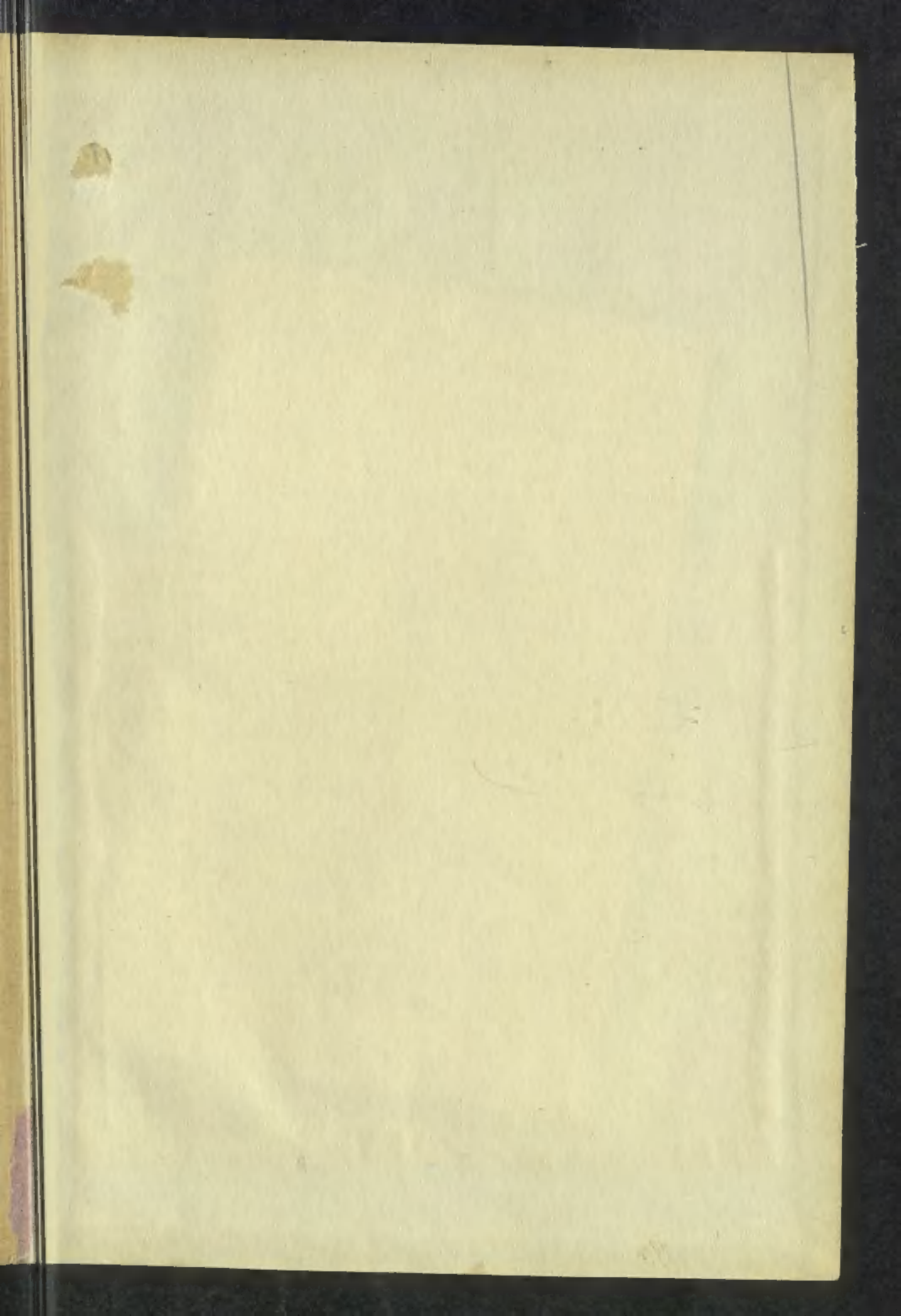






الوابل الصيب

من الكلم الطيب

تأليف

الإمام الحافظ أبى عبد الله محمد الشهير بابن القيم الجوزية
المتوفى سنة ٧٥١ ﻫ

عنيت بالتعليق عليه

إدارة الطباعة المنيرية

الطبعة الثالثة سنة ١٣٧٣ ﻫ

يطلب من

مكتبة ومطبعة محمد على صبيح وأولاده
بميدان الأزهر بمصر . ت ٤٨٥٨٠

مطبعة الجمالية الحديثة
شارع المعز لدين الله حارة الطواقى

بسم الله الرحمن الرحيم

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، الله سبحانه وتعالى المسئول المرجو الإجابة أن يتولاكم فى الدنيا والآخرة ، وأن يسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ، وأن يجعلكم ممن إذا أنعم عليه شكر ، وإذا ابتلى صبر ، وإذا أذنب استغفر ، فإن هذه الأمور الثلاثة عنوان سعادة العبد وعلامة فلاحه فى دنياه وأخراه ولا ينفك عبد عنها أبداً فان العبد دائما يتقلب بين هذه الأطباق الثلاث : نعم من الله تعالى له تترادف عليه فقيدها الشكر وهو مبنى على ثلاثة أركان : الاعتراف بها باطنا والتحدث بها ظاهراً وتصريفها فى مرضاة وليها ومسديها ومعطيها . فاذا فعل ذلك فقد شكرها مع تقصيره فى شكرها .

﴿ الثانى ﴾ محن من الله تعالى يبتليه بها ففرضه فيها الصبر والتسلى والصبر حبس النفس عن التسخط بالمقدور وحبس اللسان عن الشكوى وحبس الجوارح عن المعصية كاللطم وشق الثياب ونتف الشعر ونحوه فمدار الصبر على هذه الأركان الثلاثة فاذا قام به العبد كما ينبغى انقلبت المحنة فى حقه منحة واستحالت البلية عطية وصار المكروه محبوبا فان الله سبحانه وتعالى لم يبتله ليهلكه وإنما ابتلاه ليمتحن صبره وعبوديته فان لله تعالى على العبد عبودية فى الضراء كما له عليه عبودية فى السراء وله عبودية عليه فيما يكره كما له عليه عبودية فيما يحب وأكثر الخلق يعطون العبودية فيما يحبون فقط والشأن فى اعطاء العبودية فى المكاره ففيه تتفاوت مراتب العباد وبحسبه كانت منازلهم عند الله تعالى فالوضوء بالماء البارد فى شدة الحر عبودية ومباشرة زوجته الحسناء التى يحبها

عبودية . ونفقته عليها وعلى عياله ونفسه عبودية ، هذا والوضوء بالماء البارد في شدة البرد عبودية ، وتركه المعصية التي اشتدت دواعي نفسه إليها من غير خوف من الناس عبودية ، ونفقته في الضراء عبودية ولكن فرق عظيم بين العبودتين

فمن كان عبداً لله في الحالتين قائمة بحقه في المكروه والمحبوب فذلك الذي تناوله قوله تعالى (أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ؟) وفي القرءة الأخرى (عباده) وهما سواء لأن المفرد مضاف فيعم عموم الجمع (١)

فالكفاية التامة مع العبودية التامة . والناقصة مع الناقصة فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه

وهؤلاء هم عباده الذين ليس لعدوه عليهم سلطان قال تعالى (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ) ولما علم عدو الله إبليس ان الله تعالى لا يسلم عباده إليه ولا يسلطه عليهم قال (فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) وقال تعالى (وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ)

---

(١) قال ابن جرير : اختلفت القراءة في قراءة (أليس بكاف عبده) فقرأ ذلك بعض قراء المدينة وعامة قراء الكوفة (أليس الله بكاف عباده) على الجماع . بمعنى : أليس الله بكاف محمداً وأنبياءه من قبله ما خوفهم أممهم من أن تنالهم آلهتهم بسوء وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض قراءة الكوفة (بكاف عبده) على التوحيد . بمعنى أليس الله بكاف عبده محمداً ؟

فلم يجعل لعدوه سلطاناً على عباده المؤمنين . فانهم فى حرزه وكلاءته وحفظه وتحت كنفه وإن اغتال عدوه أحدهم كما يغتال اللص الرجل العاقل فهذا لا بد منه . فان العبد قد بلى بالغفلة والشهوة والغضب ودخوله على العبد من هذه الأبواب الثلاثة . ولو احترز العبد ما احترز فلا بد له من غفلة ولا بد له من شهوة . ولا بد له من غضب

وقد كان آدم أبو البشر ﷺ من أحلم الخلق وأرجحهم عقلا وأثبتهم ومع هذا فلم يزل به عدو الله حتى أوقعه فيما أوقعه فيه فما الظن بفراشة الحلم (١) ومن عقله فى جنب عقل أبيه كتفلة فى بحر ؟ ولكن عدو الله لا يخلص إلى المؤمن إلا غيلة وعلى غرة وغفلة فيوقعه . ويظن أنه لا يستقبل ربه عز وجل بعدها وأن تلك الوقعة قد اجتاحته وأهلكته وفضل الله تعالى ورحمته وعفوه ومغفرته وراء ذلك كله

فاذا أراد بعبده خيرا فتح له أبواب التوبة والندم والانكسار والذل والافتقار والاستعانة به وصدق اللجأ إليه ودوام التضرع والدعاء والتقرب إليه بما أمكن من الحسنات ما تكون تلك السيئة به سبب رحمته حتى يقول عدو الله يا ليتنى تركته ولم أوقعه

وهذا معنى قول بعض السلف . إن العبد ليعمل الذنب يدخل به الجنة ويعمل الحسنة يدخل بها النار . قالوا : كيف ؟ قال يعمل الذنب فلا يزال نصب عينيه خائفا منه مشفقا وجلا باكيا نادما مستحيا من ربه تعالى ناكس الرأس بين يديه منكسر القلب له فيكون ذلك ذنب أنفع له من طاعات كثيرة بما ترتب عليه من هذه الامور التى بها سعادة العبد وفلاحه حتى يكون ذلك الذنب سبب دخوله الجنة ويفعل الحسنة فلا يزال يمن بها على ربه ويتكبر بها ويرى نفسه شيئا ويعجب بها ويستطيل بها ويقول : فعلت وفعلت فيورثه من العجب والكبر

(١) أى أن حلمه بالنسبة إلى آدم حمق فإن الفراشة أشد شيئا حمقا إذ ترمى نفسها على النار

والفخر والاستطالة يكون سبب هلاكه - فاذا أراد الله تعالى بهذا المسكين خيرا ابتلاه بأمر يكسره به ويذل عنقه ويصغر به نفسه عنده وان أراد به غير ذلك خلاه وعجبه وكبره (١) وهذا هو الخذلان الموجب لهلاكه فان العارفين كلهم مجمعون على أن التوفيق هو أن لا يكلك الله تعالى الى نفسك والخذلان أن يكلك الله تعالى الى نفسك

فمن أراد الله به خيرا فتح له باب الذل والانكسار ودوام اللجأ الى الله تعالى والافتقار اليه ورؤية عيوب نفسه وجهلها وعدوانها ومشاهدة فضل ربه واحسانه ورحمته ووجوده وبره وغناه وحمده .

فالعارف سائر الى الله تعالى بين هذين الجناحين (٢) لايمكنه أن يسير الا بهما فمتى فاته واحد منها فهو كالطير الذى فقد إحدى جناحيه .

قال شيخ الاسلام : (٣) العارف يسير إلى الله بين مشاهدة المنة ومطالعة عيب النفس والعمل .

وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح من حديث بريدة رضى الله تعالى عنه [سيد الاستغفار أن يقول العبد اللهم أنت ربى لا اله الا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبى فاغفرلى إنه لايغفر الذنوب إلا أنت](٤)

---

(١) أخذ ابن عطاء الله الاسكندرى هذا المعنى فجعله فى جملة من حكمته قال: رب معصية أورثت ذلا وانكسارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا

(٢) الجناح الاول شهود عيوب النفس وجهلها ونقصها وعدوانها والجناح الثانى : شهود فضل ربه واحسانه وجوده وبره .

(٣) هو الامام ابن تيمية رضى الله عنه

(٤) رواه الامام أحمد والبخارى والنسائى .

فجمع فى قوله صلى الله عليه وسلم « أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبى » مشاهدة المنة ومطالعة عيب النفس والعمل فمشاهدة المنة توجب له المحبة والحمد والشكر لولى النعم والإحسان ومطالعة عيب النفس والعمل توجب له الذل والانكسار والافتقار والتوبة فى كل وقت وأن لا يرى نفسه إلا مفلسا وأقرب باب يدخل منه العبد على الله تعالى هو باب الإفلاس . فلا يرى لنفسه حالا ولا مقاما ولا سبباً يتعلق به ولا وسيلة منه يمن بها ، بل يدخل على الله تعالى من باب الافتقار الصرف والإفلاس المحض ، دخول من قد كسر الفقر والمسكنة قلبه ، حتى وصلت تلك الكسرة إلى سويدائه فانصدع وشملته الكسرة من كل جهاته وشهد ضرورته إلى ربه عز وجل وكمال فاقته وفقره إليه وأن كل ذرة من ذراته الظاهرة والباطنة فاقة تامة وضرورة كاملة إلى ربه تبارك وتعالى وأنه إن تخلى عنه طرفة عين هلك وخسر خسارة لا تجبر إلاأن يعود الله تعالى عليه ويتداركه برحمته ولا طريق إلى الله تعالى أقرب من العبودية ولا حجاب أغلظ من الدعوى

والعبودية مدارها على قاعدتين هما أصلهما : حب كامل وذل تام ومنشأ هذين الاصلين عن ذينك الأصلين المتقدمين وهما مشاهدة المنة التى تورث المحبة ومطالعة عيب النفس والعمل التى تورث الذل التام

وإذا كان العبد قد بنى سلوكه إلى الله تعالى على هذين الاصلين لم يظفر عدوه به إلا على غرة وغيلة وما أسرع ماينعشه الله عز وجل ويجبره ويتداركه برحمته .

(فصل)

وإنما يستقيم له هذا باستقامة قلبه وجوارحه . فاستقامة القلب بشيئين (احداهما) أن تكون محبة الله تعالى تتقدم عنده على جميع المحاب .

فإذا تعارض حب الله تعالى وحب غيره سبق حب الله تعالى حب ما سواه ، فرتب على ذلك مقتضاه ، وما أسهل هذا بالدعوى وما أصعبه بالفعل ا ، وعند الامتحان يكرم المرء أو يهان . . وما أكثر ما يقدم العبد ما يحبه هو ويهواه ، أو يحبه كبيره وأميره وشيخه وأهله على ما يحبه الله تعالى . فهذا لم تتقدم محبة الله تعالى فى قلبه جميع المحاب ، ولا كانت هى الملكة المؤمرة عليها ، وسنة الله تعالى فيمن هذا شأنه أن ينكد عليه محابه وينغصها عليه ولا ينال شيئاً منها إلا بنكد وتنغيص ، جزاء له على إيثار هواه وهوى من يعظمه من الخلق ، أو يؤثر محبته على محبة الله تعالى . وقد قضى الله تعالى قضاء لا يرد ولا يدفع أن من أحب شيئاً سواه عذب به ولابد ، وأن من خاف غيره سلط عليه ، وأن من اشتغل بشىء غيره كان شؤما عليه . ومن آثره بغيره عليه لم يبارك فيه ، ومن أرضى غيره بسخطه أسخطه عليه ولابد

﴿ الأمر الثانى ﴾ الذى يستقيم به القلب تعظيم الأمر والنهى ، وهو ناشىء عن تعظيم الآمر الناهى : فإن الله تعالى ذم من لا يعظمه ولا يعظم أمره ونهيه قال سبحانه وتعالى (مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا) قالوا فى تفسيرها مالكم لا تخافون لله تعالى عظمة .

وما أحسن ما قال شيخ الإسلام فى تعظيم الأمر والنهى : هو أن لا يعارضا بترخص جاف ، ولا يعارضا بتشديد غال ولا يحملا على توهن الانقياد :

ومعنى كلامه أن أول مراتب تعظيم الحق عز وجل تعظيم أمره ونهيه . وذلك لأن المؤمن يعرف ربه عز وجل برسالته التى أرسل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى كافة الناس ومقتضاها الانقياد لأمره ونهيه وإنما يكون ذلك بتعظيم أمر الله عز وجل واتباعه وتعظيم نهيه واجتنابه فيكون تعظيم

المؤمن لأمر الله تعالى ونهيه دالا على تعظيمه لصاحب الأمر والنهى ، ويكون بحسب هذا التعظيم من الأبرار المشهود لهم بالإيمان والتصديق ، وصحة العقيدة والبراءة من النفاق الأكبر . فإن الرجل قد يتعاطى فعل الأمر لنظر الخلق وطلب المنزلة والجاه عندهم ويتقى المناهى خشية سقوطه من أعينهم ، وخشية العقوبات الدنيوية من الحدود التى رتبها الشارع صلى الله عليه وسلم على المناهى فهذا ليس فعله وتركه صادراً عن تعظيم الأمر والنهى ، ولا تعظيم الآمر الناهى . فعلامة التعظيم للأوامر رعاية أوقاتها وحدودها . والتفتيش على أركانها وواجباتها وكمالها والحرص على تحيتها فى أوقاتها والمسارعة إليها عند وجوبها والحزن والكآبة والأسف عند فوت حق من حقوقها ، كمن يحزن على فوت الجماعة ويعلم أنه لو تقلبت منه صلاته منفرداً فانه قد فاته سبعة وعشرون ضعفا : ولو أن رجلا يعانى البيع والشراء يفوته صفقة واحدة فى بلده من غير سفر ولا مشقة سبعة وعشرون ديناراً لأكل يديه ندما وأسفاً فكيف وكل ضعف مما تضاعف به صلاة خير من الف وألف ألف وما شاء الله تعالى فاذا فوت العبد على نفسه هذا الربح - وكثير من العلماء يقول : لا صلاة له - وهو بارد القلب فارغ من هذه المصيبة غير مرتاع لها . فهذا من عدم تعظيم أمر الله تعالى فى قلبه وكذلك إذا فاته أول الوقت الذى هو رضوان الله تعالى أو فاته الصف الاول الذى يصلى الله وملائكته على ميامنه . ولو يعلم العبد فضيلته لجالد عليه ولكانت قرعة وكذلك لو فوت الجمع الكثير الذى تضاعف الصلاة بكثرته وقلته . كلما كثر الجمع كان أحب إلى الله عز وجل وكلما بعدت الخطا كانت خطوة تحط خطيئة وأخرى ترفع درجة :

وكذلك لو فوت الخشوع فى الصلاة وحضور القلب فيها بين يدى الرب تبارك وتعالى الذى هو روحها ولبها . فصلاة بلا خشوع ولا حضور كبدن ميت لا روح فيه أفلا يستحى العبد أن يهدى إلى مخلوق مثله عبداً ميتا أو

جارية ميتة ؟ فلما ظن هذا العبد أن تقع تلك الهدية ممن قصده بها من ملك أو أو أمير أو غيره ؟ فهكذا سواء الصلاة الخالية عن الخشوع والحضور وجمع الهمة على الله تعالى فيها بمنزلة هذه الأمة أو العبد الميت الذي يريد إهداءه إلى بعض الملوك ولهذا لا يقبلها الله تعالى منه وإن أسقطت الفرض فى أحكام الدنيا ولا يثيبه عليها فانه ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها كما فى السنن ومسند الامام أحمد وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن العبد ليصلى الصلاة وما كتب له إلا نصفها إلا ثلثها إلا ربعها إلا خمسها حتى بلغ عشرها »

وينبغى أن يعلم أن سائر الاعمال تجرى هذا المجرى فتفاضل الاعمال عند الله تعالى بتفاضل ما فى القلوب من الإيمان والإخلاص والمحبة وتوابعها وهذا العمل الكامل هو الذى يكفر السيئات تكفيرا كاملا والناقص بحسبه.

وبهاتين القاعدتين تزول إشكالات كثيرة وهما تفاضل الاعمال بتفاضل ما فى القلوب من حقائق الإيمان وتكفير العمل للسيئات بحسب كماله ونقصانه وبهذا يزول الاشكال الذى يورده من نقص حظه من هذا الباب على الحديث الذى فيه « إن صوم يوم عرفة يكفر سنتين ويوم عاشوراء سنة » قالوا : فاذا كان دأبه دائما أنه يصوم يوم عرفة فصامه وصام يوم عاشوراء فكيف يقع تكفير ثلاث سنين كل سنة ؟(١)

---

(١) قال الاستاذ المرحوم السيد محمد رشيد رضا رحمه الله وجعل الجنة مثواه ومن هذا الباب قول أهل الدعاية الغافلين إن جحى صام يوم عاشوراء إلى الظهر . وقال : يكفينى تكفير ستة أشهر وهذه الدعاية تدل جهل مورد الاشكال من حيث بناء كل منهما على جعل أحاديث التكفير من الامور المادية التى يقابل كل منها مثله . فاذا زاد بعض المتقابلين على الآخر كان الزائد من الحسنات المكفرة عبثا لعدم وجود مايكفره —

وأجاب بعضهم عن هذا بأن ما فضل عن التكفير ينال به الدرجات وبالله العجب فليت العبد إذا أتى بهذه المكفرات كلها أن تكفر عنه سيئاته باجتماع بعضها إلى بعض

والتكفير بهذه مشروط بشرطو وموقوف على انتفاء موانع فى العمل وخارجه فان علم العبد أنه جاء بالشروط كلها وانتفت عنه الموانع كلها فحينئذ يقع التكفير وأما عمل شملته الغفلة أو شملت أكثره وفقد الإخلاص الذى هو روحه ولم يوف حقه ولم يقدره حق قدره فأى شيء يكفر هذا ؟ فان وثق العبد من عمله بأنه وفاه حقه الذى ينبغى له ظاهراً وباطناً

وكان الزائد من الذنوب المحتاجة إلى التكفير باقيا كذنوب نصف سنة جحى . وإنما هذه تقديرات معنوية لتأثير إزالة الحسنات لأثر السيئات من النفس وأظهر مثال حسي لها ما ورد فى الحديث الصحيح من تشبيه تكفير الصلوات الخمس للذنوب بجريان نهر على باب أحدكم يغتسل فيه فى اليوم والليلة خمس مرات . فهل يبقى عليه ذلك من دون أى قذر

ومثله أن تقول : إن ما على هذا الثوب من وسخ لا يزيله إلا غسله ثلاث مرات — بالصابون وتقول فى وسخ آخر : لا بد من غسله خمس مرات وزيادة الغسل بعد ذهاب الوسخ لا يزيد الثوب إلا نظافه . على أن الأصل فى الحسنات أن تكون فائدتها موجبة لا سالبة ومثبتة لا نافية وتحلية لا تخلية فانها كما تزكى النفس وتطهرها مما يعلق بها من أدران المعاصى تحليها بقوة الإيمان والتقوى وحب الله ورسوله وأوليائه والرغبة فى البر والخير وما يقابل ذلك فاذا لم تكن النفس مدنسة بالمعاصى أو كان دنسها قليلا يزول بعض الحسنات — كان تأثير الأعمال الصالحة فى التحلية الإيجابية أقوى وأكمل فما أجهل هؤلاء الحسيين بحكم الدين وأسراره وما أجهلهم بأنفسهم أيضا .

ولم يعرض له مانع يمنع تكفيره ولا مبطل يحبطه من عجب أورؤية نفسه فيه أو بمن به أو يطلب من العباد تعظيمه به أو يستشرف بقلبه لمن يعظمه عليه أو يعادى من لا يعظمه عليه ويرى أنه قد بخسه حقه وانه قد استهان بحرمته فهذا شيء يكفر ؟.

ومحبطات الاعمال ومفسداتها أكثر من أن تحصر وليس الشأن فى العمل إنما الشأن فى حفظ العمل مما يفسد ويحبطه.

فالرياء — وإن دق — محبط للعمل وهو أبواب كثيرة لاتحصر.

وكون العمل غير مقيد باتباع السنة أيضا وموجب لكونه باطلا والمن به على الله تعالى بقلبه مفسد له وكذلك المن بالصدقة والمعروف والبر والاحسان والصلة مفسد لها كما قال سبحانه وتعالى:

(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى) وأكثر الناس ماعندهم خبر من السيئات التى تحبط الحسنات وقد قال تعالى: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ) لحذر المؤمنين من حبوط أعمالهم بالجهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما يجهر بعضهم لبعض وليس هذا بردة بل معصية تحبط العمل وصاحبها لا يشعر بها فما الظن بمن قدم على قول الرسول صلى الله عليه وسلم وهديه وطريقه قول غيره وهديه وطريقه ؟ أليس هذا قد حبط عمله وهو لا يشعر ؟

ومن هذا قوله ﷺ [من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله] (١) ومن هذا قول عائشة رضى الله تعالى عنها وعن أبيها لزيد بن أرقم رضى الله عنه

---

(١) رواه البخارى ومسلم عن بريدة رضى الله عنه

عنه لما باع بالعينة (١) [إنه قد أبطل جهاده مع رسول الله ﷺ إلا أن يتوب]
وليس التبايع بالعينة ردة وانما غايته أنه معصية

فمعرفة مايفسد الاعمال فى حال وقوعها ويبطلها ويحبطها بعد وقوعها من أهم
ماينبغى أن يفتش عليه العبد ويحرص على عمله ويحذره . وقد جاء فى أثر معروف
[ان العبد ليعمل العمل سرا لايطلع عليه أحد إلا الله تعالى فيتحدث به فينتقل من
ديوان السر إلى ديوان العلانية ثم يصير فى ذلك الديوان على حسب العلانية(٢)
فان تحدث به للسمعة وطلب الجاه والمنزلة عند غير الله تعالى أبطله كما لو فعله لذلك

فان قيل: فاذا تاب هذا هل يعود اليه ثواب العمل ؟

قيل . إن كان قد عمله لغير الله تعالى وأوقعه بهذه النية فانه لاينقلب صالحا
بالتوبة . بل حسب التوبة أن تمحو عنه عقابة فيصير لا له ولا عليه
وأما إن عمله لله تعالى خالصا ثم عرض له عجب ورياء أو تحدث به

---

(١) العينة أن يبيع شيأ من غيره بثمن مؤجل ويسلمه إلى المشترى ثم يشتريه قبل قبض الثمن بثمن نقد أقل من ذلك الثمن الاول

(٢) قال المنذرى وروى عن أبى الدرداء ان رسول الله ﷺ قال [إن الاتقاء على العمل اشد من العمل ، وان الرجل ليعمل العمل فيكتب له عمل صالح معمول به فى السر يضعف اجره سبعين ضعفا فلا يزال به الشيطان حتى يذكره للناس ويعلنه فيكتب علانية ويمحى تضعيف اجره كله ثم لا يزال به الشيطان حتى يذكره للناس الثانية او يحب ان يذكر به ويحمد عليه فيمحى من العلانية ويكتب رياء ، فاتقى الله امرؤ صان دينه ، وان الرياء شرك] رواه البيهقى وقال هذا من افراد بقية بن الوليد عن شيوخه قال الحافظ المنذرى اظنه موقوفا والله اعلم

ثم تاب من ذلك وندم . فهذا قد يعود له ثواب عمله ولا يحبط وقد يقال أنه لا يعود إليه بل يستأنف العمل

والمسألة مبنية على أصـــل وهو أن الردة هل تحبط العمل بمجردها أو لا يحبطه إلا الموت عليها ؟ فيه للعلماء قولان مشهوران ، وهما روايتان عن الإمام احمد رضى الله عنه

فإن قلنا تحبط العمل بنفسها فمتى أسلم استأنف العمل إبطال ما كان قد عمل قبل الإسلام وإن قلنا لا يحبط العمل إلا إذا مات مرتدا ، فمتى عاد إلى الإسلام عاد إليه ثواب عمله

وهكذا العبد إذا فعل حسنة ثم فعل سيئة تحبطها ثم تاب من تلك السيئة هل يعود إليه ثواب تلك الحسنة المتقدمة يخرج على هذا الأصل

ولم يزل فى نفسى من هذه المسئلة ، ولم أزل حريصا على الصواب فيها وما رأيت أحدا شفى فيها

والذى يظهر - والله تعالى أعلم وبه المستعان ولا قوة إلا به - أن الحسنات والسيئات تتدافع وتتقابل ويكون الحكم فيها للغالب وهو يقهر المغلوب ويكون الحكم له حتى كأن المغلوب لم يكن فإذا غلبت على العبد الحسنات رفعت حسناته الكثيرة سيئاته ومتى تاب من السيئة ترتب على توبته منها حسنات كثيرة قد تربى وتزيد على الحسنة التى حبطت بالسيئة فإن عزمت التوبة وصحت ونشأت من صميم القلب أحرقت ما مرت عليه من السيئات حتى كأنها لم تكن [فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له](١)

---

(١) رواه ابن ماجه والطبرانى فى الكبير والبيهقى فى الشعب عن ابن مسعود رفعه قال السخاوى فى المقاصد الحسنة ورجاله ثقات بل حسنه شيخنا - يعنى الحافظ ابن حجر - يعنى لشواهده وقد روى من عدة طرق كلها ضعيفة

وقد سأل حكيم بن حزام رضى الله عنه النبى ﷺ عن عتاقة وصلة وبر فعله فى الشرك هل يثاب عليه فقال النبى صلى الله عليه وسلم [أسلمت على ما أسلفت من خير] (١) فهذا يقتضى أن الإسلام أعاد عليه ثواب تلك الحسنات التى كانت باطلة بالشرك فلما تاب من الشرك عاد إليه ثواب حسناته المتقدمة فهكذا إذا تاب العبد توبة نصوحا صادقة خالصة أحرقت ما كان قبلها من السيئات وأعادت عليه ثواب حسناته

يوضح هذا أن السيئات والذنوب هى أمراض قلبية وكما أن الحمى والأوجاع أمراض بدنية . والمريض إذا عوفى من مرضه عافية تامة عادت إليه قوته وأفضل منها حتى كأنه لم يضعف قط فالقوة المتقدمة بمنزلة الحسنات والمرض بمنزلة الذنوب والصحة والعافية بمنزلة التوبة وكما أن من المرضى من لا تعود إليه صحته أبدا لضعف عافيته ومنهم من تعود صحته كما كانت لتقاوم الأسباب وتدافعها وعود البدن إلى كماله الأول ومنهم من يعود أصح مما كان وأقوى وأنشط لقوة أسباب العافية وقهرها وغلبتها لأسباب الضعف والمرض حتى ربما كان مرض هذا سببا لعافيته كما قال الشاعر

لعل عتبك محمود عواقبه وربما صحت الأجسام بالعلل

فهكذا العبد بعد التوبة على هذه المنازل الثلاث والله الموفق لا إله غيره ولا رب سواه

﴿ فصل ﴾

وأما علامات تعظيم المناهى : فالحرص على التباعد من مظانها وأسبابها وما يدعو إليها ومجانبة كل وسيلة تقرب منها كمن يهرب من الأماكن التى فيها الصور التى تقع بها الفتنة خشية الافتتان بها وان يدع ما لا بأس به حذراً مما به بأس وأن يجانب الفضول من المباحات خشية الوقوع فى

---

(١) رواه الإمام أحمد والبخارى ومسلم .

المكروه ومجانبة من يجاهر بارتكابها ويحسنها ويدعو اليها ويتهاون بها ولا يبالى ماركب منها فان مخالطة مثل هذا داعية الى سخط الله تعالى وغضبه ولا يخالطه الا من سقط من قلبه تعظيم الله تعالى وحرماته

ومن علامات تعظيم النهى : أن يغضب الله عز وجل إذا انتهكت محارمه وان يجد فى قلبه حزنا وكسرة اذا عصى الله تعالى فى أرضه ولم يطع باقامة حدوده وأوامره ولم يستطع هو أن يغير ذلك

ومن علامات تعظيم الامر والنهى : أن لا يسترسل مع الرخصة إلى حد يكون صاحبه جافيا غير مستقيم على المنهج الوسط

مثال ذلك أن السنة وردت بالابراد بالظهر فى شدة الحر (١) فالترخص الجافى أن يبرد إلى فوات الوقت أو مقاربة خروجه فيكون مترخصا جافيا

وحكمة هذه الرخصة أن الصلاة فى شدة الحر تمنع صاحبها من الخشوع والحضور ويفعل العبادة بتكره وضجر . فمن حكمة الشارع صلى الله عليه وسلم أن أمرهم بتأخيرها حتى ينكسر الحر فيصلى العبد بقلب حاضر ويحصل له مقصود الصلاة من الخشوع والاقبال على الله تعالى

ومن هذا نهيه صلى الله عليه وسلم أن يصلى بحضرة الطعام أو عند مدافعة البول والغائط (٢) لتعلق قلبه من ذلك بما يشوش عليه مقصود الصلاة الصلاة ولا يحصل المراد منها فمن فقه الرجل فى عبادته أن يقبل على شغله

---

(١) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا اشتد الحر فابردوا بالصلاة فان شدة الحر من فيح جهنم » رواه البخارى ومسلم وأصحاب السنن .

(٢) عن عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا صلاة بحضرة طعام ولا وهو يدافعه الاخبثان » رواه مسلم

فيعمله ثم يفرغ قلبه للصلاة فيقوم فيها وقد فرغ قلبه لله تعالى ونصب وجهه له وأقبل بكليته عليه فركعتان من هذه الصلاة يغفر للمصلى بهما ما تقدم من ذنبه والمقصود أن لا يترخص ترخصا جافيا

ومن ذلك : أنه رخص للمسافر فى الجمع بين الصلاتين عند العذر وتعذر فعل كل صلاة فى وقتها لمواصلة السير وتعذر النزول أو تعسره عليه فاذا أقام فى المنزل اليومين والثلاثة أو أقام اليوم فجمعه بين الصلاتين لا موجب له لتمكنه من فعل كل صلاة فى وقتها من غير مشقة فالجمع ليس سنة راتبة (١) كما يعتقد أكثر المسافرين أن سنة السفر الجمع سواء وجد عذر أو لم يوجد بل بل الجمع رخصة عارضة والقصر سنةراتبة فسنة المسافر قصر الرباعية سواء كان له عذر أو لم يكن . وأما جمعه بين الصلاتين لحاجة ورخصة فهذا لون وهذا لون

ومن هذا : أن الشبع فى الأكل رخصة غير محرمة فلا ينبغى أن يجفو العبد فيها حتى يصل به الشبع إلى حد التخمة والامتلاء فيتطلب مايصرف به الطعام فيكون همه بطنه قبل الأكل وبعده بل ينبغى للعبد أن يجوع ويشبع ويدع الطعام وهو يشتهيه وميزان ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم « ثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه » (٢) ولا يجعل الثلاثة إلا ثلاث كلها للطعام وحده .

وأما تعريض الأمر والنهى للتشديد الغالى فهو كمن يتوسوس فى الوضوء متغاليا فيه حتى يفوت الوقت أو يردد تكبيرة الإحرام إلى أن تفوته مع الإمام قراءة الفاتحة ، أو يكاد تفوته الركعة ، أو يتشدد فى الورع الغالى حتى لا يأكل شيئا من طعام عامة المسلمين خشية دخول

---

(١) ليس المراد هنا بالسنة ما يقابل الفرض والواجب وإنما المراد بها الهدى النبوى والطريقة المحمدية التى كان ﷺ يواظب عليها .

(٢) رواه الترمذى وحسنه وابن ماجه وابن حبان عن المقدام بن معد يكرب

الشبهات عليه . ولقد دخل هـذا الورع الفاسد على بعض العباد الذين نقص حظهم من العلم حتى امتنع أن يأكل شيئاً من بلاد الإسلام : وكان يتقوت بما يحمل إليه من بلاد النصارى . ويبعث بالقصد لتحصيل ذلك . فأوقعه الجهل المفرط والغلو الزائد فى إساءة الظن بالمسلمين . وحسن الظن بالنصارى . نعوذ بالله من الخذلان .

لحقيقة التعظيم للأمر والنهى : أن لا يعارضا بترخص جاف ، ولا يعرضا لتشديد غال . فإن المقصود هو الصراط المستقيم الموصل إلى الله عز وجل بسالكه .

وما أمر الله عز وجل بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان : إما تقصير وتفريط ، وإما إفراط وغلو ، فلا يبالى بما ظفر من العبد من الخطيئتين فإنه يأتى إلى قلب العبد فيشيمه (١) فإن وجد فيه فتوراً وتوانياً وترخيصا أخذه من هذه الخطة ، فثبطه وأقعده ، وضربه بالكسل والتوانى والفتور وفتح له باب التأويلات والرجاء ، وغير ذلك حتى ربما ترك العبد المأمور جملة وإن وجد عنده حذراً وجداً وتشميراً ونهضة وأيس أن يأخذه من هذا الباب أمره بالاجتهاد الزائد ، وسول له أن هـذا ما يكفيك وهمتك فوق هـذا ، وينبغى لك أن تزيد على العاملين ، وأن لا ترقد إذا رقدوا ولا تفطر إذا فطروا ، وأن لا تفتر إذا افتروا ، وإذا غسل أحدهم يديه ووجهه ثلاث مرات فاغسل أنت سبعاً ، وإذا توضأ للصلاة فاغتسل أنت لها ، ونحو ذلك من الإفراط والتعدى ، فيحمله على الغلو والمجاوزة وتعدى الصراط المستقيم ، كما يحمل الأول على التقصير دونه وأن لا يقربه

(١) أصل الشيم النظر إلى البرق ومن شأنه أن يبدو ويخفى بسرعة فشبه استراق الشيطان للنظرة والتطلع إلى القلب بذلك

ومقصوده من الرجلين إخراجهما عن الصراط المستقيم هـذا بأن لا يقربه ولا يدنو منه ، وهذا بأن يجاوزه ويتعداه ، وقد فتن بهذا أكبر الخلق ولا ينجي من ذلك إلا علم راسخ ، وإيمان وقوة على محاربته ولزوم الوسط والله المستعان

ومن علامات تعظيم الأمر والنهى : أن لا يحمل الأمر على علة تضعف الانقياد والتسليم لأمر الله عز وجل ، بل يسلم لأمر الله تعالى وحكمه ممتثلا ما أمر به سواء ظهرت له حكمته أو لم تظهر فان ظهرت له حكمة الشرع فى أمره ونهيه حمله ذلك على مزيد الانقياد والبذل والتسليم ولا يحمله ذلك على الانسلاخ منه وتركه كما حمل ذلك كثيراً من زنادقة الفقراء والمنتسبين إلى التصوف فان الله عز وجل شرع الصلوات الخمس إقامة لذكره واستعمالا للقلب والجوارح واللسان فى العبودية وإعطاء كل منها قسطه من العبودية التى هى المقصود بخلق العبد فوضعت الصلاة على أكمل مراتب العبودية .

فان الله سبحانه وتعالى خلق هذا الآدمى واختاره من بين سائر البرية وجعل قلبه محل كنوزه من الإيمان والتوحيد والإخلاص والمحبة والحياة والتعظيم والمراقبة وجعل ثوابه إذا قدم عليه أكمل الثواب وأفضله وهو النظر إلى وجهه والفوز برضوانه ومجاورته فى جنته وكان مع ذلك قد ابتلاه بالشهوة والغضب والغفلة وابتلاه بعدوه إبليس لا يفتر عنه فهو يدخل عليه من الأبواب التى هى من نفسه وطبعه فتميل نفسه معه لأنه يدخل عليها بما تحب فيتفق هو ونفسه وهواه على العبد ثلاثة مسلطون آمرون فيبعثون الجوارح فى قضاء وطرهم ، والجوارح آلة منقادة فلا يمكنها إلا الانبعاث فهذا شأن هـذه الثلاثة وشأن الجوارح فلا تزال الجوارح فى طاعتهم كيف أمروا وأين يمموا هذا مقتضى حال العبد فاقتضت رحمة ربه

العزيز الرحيم به إن أعانه بجند آخر وأمده بمدد آخر يقاوم به هذا الجند الذى يريد هلاكه فأرسل إليه رسوله وأنزل عليه كتابه وأيده بملك كريم يقابل عدوه الشيطان فاذا أمره الشيطان بأمر أمره الملك بأمر ربه وبين له ما فى طاعة العدو من الهلاك فهذا يلم به مرة وهذا مرة والمنصور من نصره الله عز وجل والمحفوظ من حفظه الله تعالى

وجعل له فى مقابلة نفسه الأمارة نفساً مطمئنة إذا أمرته النفس الأمارة بالسوء نهته عن النفس المطمئنة وإذا نهته الأمارة عن الخير أمرته به النفس المطمئنة . فهو يطيع هذه مرة وهذه مرة وهو الغالب عليه منهما . وربما انقهرت إحداهما بالكلية قهراً لا تقوم معه أبداً .

وجعل له مقابل الهوى الحامل له على طاعة الشيطان والنفس الأمارة نورا وبصيرة عقلا يرده عن الذهاب مع الهوى : فكلما أراد أن يذهب من الهوى ناداه العقل والبصيرة والنور . الحذر الحذر . فان المهالك والمتالف بين يديك وأنت صيد اللصوص وقطاع الطريق . إن سرت خلف هذا الدليل . فهو يطيع الناصح مرة ، فيبين له رشده ونصحه ويمشى خلف دليل الهوى مرة فيقطع عليه الطريق ويؤخذ ماله ويسلب ثيابه . فيقول : ترى من أين أتيت ؟ والعجب أنه يعلم من أين أتى ويعرف الطريق التى قطعت عليه وأخذ فيها . ويأبى إلا سلوكها . لأن دليلها قد تمكن منه وتحكم فيه وقوى عليه ولو أضعفه بالمخالفة له ، وزجره إذا دعاه وحاربه إذا أراد أخذه لم يتمكن منه ولكن هو مكنه من نفسه وهو أعطاه يده فهو بمنزلة الرجل يضع يده فى يد عدوه فيباشر ثم يسومه سوء العذاب فهو يستغيث فلا يغاث . فهكذا يستأسر للشيطان والهوى ولنفسه الأمارة . ثم يطلب الخلاص فيعجز عنه .

فلما أن بلى العبد بما بلى به أعين بالعساكر والعدد والحصون وقيل له : قاتل عدوك وجاهده فهذه الجنود خذ منها ماشئت وهذه الحصون تحصن بأى حصن

شئت منها ورابط إلى الموت فالأمر قريب ومدة المرابطة يسيرة جداً فكأنك بالملك أعظم وقد أرسل إليك رسله فنقلوك إلى داره واسترحت من هذا الجهاد وفرق بينك وبين عدوك وأطلقت فى فى دار الكرامة تتقلب فيها كيف شئت وسجن عدوك فى أصعب المحبوس وأنت تراه فالسجن الذى كان يريد أن يودعك فيه قد أدخله وغلقت عليه أبوابه وأيس من الروح والفرج وأنت فيما اشتهت نفسك وقرت عينك جزاء على صبرك فى تلك المدة اليسيرة ولزمك الثغر للرباط : وما كانت إلا ساعة ثم انقضت وكأن الشدة لم تكن .

فان ضعفت النفس عن ملاحظة قصر الوقت وسرعة الله انقضائه فليتدبر قوله عز وجل (كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ) وقوله عز وجل : (كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا) وقوله عز وجل (قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ؟ . قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ . قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) وقوله عز وجل : (يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا . يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا . نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا) وخطب النبى صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه يوما فلما كانت الشمس على رؤس الجبال وذلك عند الغروب قال : « إنه لم يبق من الدنيا فيما مضى إلا كما بقى من يومكم هذا فيما مضى منه »

فليتأمل العاقل الناصح لنفسه هذا الحديث وليعلم أى شىء حصل له

من هذا الوقت الذى قد بقى من الدنيا بأسرها ليعلم أنه فى غرور وأضغاث أحلام . وأنه قد باع سعادة الأبد والنعيم المقيم بحظ خسيس لا يساوى شيئا . ولو طلب الله تعالى والدار الآخرة لأعطاه ذلك الحظ هنيئا موفورا وأكمل منه . كما فى بعض الآثار : « ابن آدم بع الدنيا بالآخرة تربحهما جميعا ولا تبع الآخرة بالدنيا تخسرهما جميعا » .

وقال بعض السلف : ابن آدم « أنت محتاج إلى نصيبك من الدنيا وأنت إلى نصيبك من الآخرة أحوج . فان بدأت بنصيبك من الدنيا أضعت نصيبك من الآخرة وكنت من نصيب الدنيا على خطر وإن بدأت بنصيبك من الآخرة فزت بنصيبك من الدنيا فانتظما انتظاما » .

وكان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه يقول فى خطبته « أيها الناس إنكم لم تخلقوا عبثا ولم تتركوا سدى وإن لكم معادا يجمعكم الله عز وجل فيه للحكم فيكم والفصل بينكم فخاب وشقى عبد أخرجه الله عز وجل من رحمته التى وسعت كل شىء وجنته التى عرضها السموات والأرض وإنما يكون الأمانى غداً لمن خاف الله تعالى واتقى وباع قليلا بكثير وفانياً بباق وشقاوة بسعادة ألا ترون أنكم فى أصلاب الهالكين وسيخلفكم بعدكم الباقون ألا ترون أنكم فى كل يوم تشيعون غاديا رائحا إلى الله قد قضى نحبه وانقطع أمله فتضعونه فى بطن صدع من الأرض غير موسد ولا ممهد قد خلع الأسباب وفارق الأحباب وواجه الحساب ؟ » .

والمقصود أن الله عز وجل قد أمد العبد فى هذه المدة اليسيرة بالجنود والعدد والأمداد وبين له بماذا يحرز نفسه من عدوه وبما يفتك نفسه إذا أسر

وقد روى الإمام أحمد رضى الله عنه والترمذى من حديث الحارث

الأشعرى عن النبي ﷺ أنه قال « إن الله سبحانه وتعالى أمر يحى بن زكريا صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات أن يعمل بها ويأمر بنى إسرائيل أن يعملوا بها وأنه كاد يبطىء بها فقال له عيسى عليه السلام : إن الله تعالى أمرك بخمس كلمات لتعمل بها وتأمر بنى إسرائيل أن يعملوا بها فاما أن تأمرهم وإما أن آمرهم فقال يحى : أخشى ان سبقنى بها أن يخسف بى أو أعذب فجمع الناس فى بيت المقدس فامتلأ المسجد وقعدوا على الشرف فقال : ان الله تبارك وتعالى أمرنى بخمس كلمات أن أعملهن وآمركم أن تعملوا بهن : أولاهن أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وإن مثل من أشرك بالله كمثل رجل اشترى عبداً من خالص ماله بذهب أو ورق فقال : هذه دارى وهذا عملى فاعمل وأد إلى . فكان يعمل ويؤدى إلى غير سيده . فأيكم يرضى أن يكون عبده كذلك ؟ وإن الله أمركم بالصلاة فاذا صليتم فلا تلتفتوا . فان الله ينصب وجهه لوجه عبده فى صلاته ما لم يلتفت . وآمركم بالصيام . فان مثل ذلك كمثل رجل فى عصابة معه صرة فيها مسك . فكلهم يعجب ، أو يعجبه ريحه ، وان ريح الصائم أطيب عند الله تعالى من ريح المسك وآمركم (١) بالصدقة . فأن مثل ذلك مثل رجل أسره العدو ، فأوثقوا يده إلى عنقه ، وقدموه ليضربوا عنقه . فقال : أنا أفدى نفسى منكم بالقليل والكثير . ففدى نفسه منهم . وآمركم أن تذكروا الله تعالى . فان مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو فى أثره سراعا . حتى إذا أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم . كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله تعالى

---

(١) ضبط آمركم هنا وفى سائر الخمس بمد الهمزة مسندا إلى المتكلم لأن الله تعالى كلفه أن يأمرهم بذلك ، ولكنه أسند الأمر بالصلاة إلى الله تعالى فكان مقتضاه أن يعطف عليه ما بعده .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : وأنا آمركم بخمس الله ، أمرني بهن . السمع والطاعة والجهاد . والهجرة والجماعة . فانه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه . إلا أن يراجع ومن ادعى دعوى الجاهلية فانه من جثى جهنم فقال رجل : يارسول الله : وإن صلى وصام ؟ فادعوا بدعوى الله الذى سماكم المسلمين المؤمنين عباد الله ، قال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح(١).

فقد ذكر صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث العظيم الشأن الذى ينبغى لكل مسلم حفظه وتعقله ماينجى من الشيطان وما يحصل للعبد به الفوز والنجاة فى دنياه وأخراه .

فذكر مثل الموحد والمشرك . فالموحد : كمن عمل لسيده فى داره وأدى لسيده ما استعمله فيه : والمشرك . كمن استعمله سيده فى داره فكان يعمل ويؤدى خراجه وعمله إلى غير سيده ، فهكذا المشرك يعمل لغير الله تعالى فى دار الله تعالى ، ويتقرب إلى عدو الله تعالى بنعم الله تعالى .

ومعلوم أن العبد من بنى آدم لوكان عنده مملوك كذلك لكان أمقت المماليك عنده ، وكان أشد شىء غضبا عليه وطردا له وإبعادا وهو مخلوق مثله

---

(١) ورواه النسائى ببعضه . وابن خزيمة : وابن حبان فى صحيحيهما والحاكم وقال صحيح على شرط البخارى ومسلم . قال الحافظ عبد العظيم المنذرى : وليس للحرث الأشعرى فى الكتب الستة إلا هذا الحديث « والربقة » بكسر الراء وفتحها وسكون الباء الموحدة ، واحدة الربق . وهى عرى تشد فى حبل إليه وتستعار لغيره ، و « جثى » بضم الجيم بعدها مثلثة أى من جماعات جهنم :

كلاهما فى نعمة غيرهما فكيف برب العالمين الذى ما بالعبد من نعمة فمنه وحده لا شريك له ؟ ، ولا يأتى بالحسنات إلا هو ، ولا يصرف السيئات إلا هو ، وهو وحده المنفرد بخلق عبده ورحمته وتدبيره ورزقه ، ومعافاته وقضاء حوائجه ، فكيف يليق به مع هذا أن يعدل به غيره فى الحب والخوف والرجاء والحلف والنذر ، والمعاملة ؟ فيحب غيره كما يحبه أو أكثر ، ويخاف غيره ويرجوه كما يخافه أو أكثر ، وشواهد أحوالهم ، بل وأقوالهم وأعمالهم ناطقة بأنهم يحبون أنداده . من الأحياء والأموات ويخافونهم ويرجونهم ويعاملونهم ويطلبون رضاهم ، ويهربون من سخطهم أعظم مما يحبون الله تعالى ويخافون ويرجون ويهربون من سخطه(١) وهذا هو الشرك الذى لا يغفره الله عز وجل . قال الله سبحانه وتعالى : (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) :

---

(١) وأكبر ما يدل على ذلك وأوضحه ما نراه منهم ، يقف الواحد منهم أمام قبر معبوده خاشعا وجلا ، ترتعد فرائصه ويلتقص منه شدة الرهبة والخشية . يسأل هذا الميت حاجته بغاية الذلة والضراعة والمسكنة ويناجيه بأوضح ما يعبر عن ما فى قلبه لهذا المقبور من الذلة والخشية والخضوع ويهون عليه عزيز ماله يضعه فى صندوق النذور طيبة به نفسه . فاذا قام بين يدى ربه فى الصلاة وقف فى صلف وقلة اكتراث ونقرها كما ينقر الغراب وأجرى ألفاظ القرآن والذكر والدعاء على لسانه سراعا يلويها ليا ويلفها لفا لا يفقه معه لها معنى ، ولا يحس قلبه ولا نفسه معها بأى خشية ولا إجلال لله سبحانه . وهذا وأمثاله أوضح ما يدل على أن هؤلاء يخافون أندادهم وآلهتهم الموتى أشد مما يخافون الله ويعبدونهم سرا وجهراً أعظم مما يعبدون الله : وإن زعم أشباه العلماء أنهم ليسوا مشركين . فلا ينفعهم ذلك مثقال ذرة فى الواقع وعند الله .

والظلم عندالله عز وجل يوم القيامة له دواوين ثلاثة : ديوان لايغفر الله منه شيئا . وهو الشرك به . فان الله لا يغفر أن يشرك به وديوان لا يترك الله تعالى منه شيأ . وهو ظلم العباد بعضهم بعضا قال الله تعالى يستوفيه كله وديوان لا يعبأ الله به شيأ . وهو ظلم العبد نفسه بينه وبين ربه عز وجل فان هذا الديوان أخف الدواوين وأسرعها محوا فانه يمحى بالتوبة والاستغفار والحسنات الماحية والمصائب المكفرة ونحو ذلك بخلاف ديوان الشرك فانه لايمحى إلا بالتوحيد وديوان المظالم فانه لا يمحى إلا بالخروج منها إلى أربابها واستحلالهم منها .

ولما كان الشرك أعظم الدواوين الثلاثة عند الله عز وجل حرم الجنة على أهله . فلا يدخل الجنة نفس مشركة وإنما يدخلها أهل التوحيد فان التوحيدهو مفتاح بابها فمن لم يكن معه مفتاح لم يفتح له بابها وكذلك إن أتى بمفتاح لاأسنان له لم يمكن الفتح به .

أسنان هذا المفتاح هى الصلاة . والصيام . والزكاة . والحج . والجهاد . والأمر بالمعروف . والنهى عن المنكر . وصدق الحديث . وأداء الأمانة وصلة الرحم . وبر الوالدين فأى عبد اتخذ فى هـذه الدار مفتاحا صالحا من التوحيد . وركب فيه أسناناً من الأوامر . جاء يوم القيامة إلى باب الجنة ومعه مفتاحها الذى لا يفتح إلا به . فلم يعقه عن الفتح عائق اللهم إلا أن تكون له ذنوب وخطايا وأوزار لم يذهب عنه أثرها فى هـذه الدار بالتوبة والاستغفار . فانه يحبس عن الجنة حتى يتطهر منها وإن لم يطهره الموقف وأهواله وشدائده فلابد من دخول النار ليخرج خبثه فيها ويتطهر من درنه ووسخه ثم يخرج منها فيدخل الجنة فانها دار الطيبين لا يدخلها إلا طيب قال سبحانه وتعالى : (الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عليكم ادخلوا الجنة) وقال تعالى (وسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إلى الجَنَّة

زُمراً حتى إذا جاؤُهاَ وَفُتِحَتْ أبْوَابهاُ وقاَلَ لهم خَزَنَتُهاَ سلاَمٌ عليْكُمْ طبْتمْ فَادْخُلُوهاَ خَالدينَ) فعقب دخولها على الطيب بحرف الفاء الذى يؤذن بأنه سبب للدخول أى سبب طيبكم قيل لكم ادخلوها

وأما النار فانها دار الخبث فى الأقوال والأعمال والمآكل والمشارب ودار الخبيثين فالله تعالى يجمع الخبيث بعضه إلى بعض فيركمه كما يركم الشىء لتراكب بعضه على بعض . ثم يجعله فى جهنم مع أهله . فليس فيها إلا خبيث . ولما كان الناس على ثلاث طبقات : طيب لا يشوبه خبث وخبيث لا طيب فيه وآخرون فيهم خبث وطيب ـ كانت دورهم ثلاثة : دار الطيب المحض ودار الخبث المحض وهاتان الداران لا تفنيان ودار لمن معه خبث وطيب وهى الدار التى تفنى وهى دار العصاة فانه لا يبقى فى جهنم من عصاة الموحدين أحد فإنهم إذا عذبوا بقدر جزائهم أخرجوا من النار فادخلوا الجنة . ولا يبقى إلا دار الطيب المحض ودار الخبث المحض

وقوله فى الحديث « وأمركم بالصلاة فإذا صليتم فلا تلتفتوا فان الله ينصب وجهه لوجه عبده فى صلاته مالم يلتفت » الالتفات المنهى عنه فى الصلاة قسمان :

﴿ أحدهما ﴾ إلتفات القلب عن الله عز وجل إلى غير الله تعالى

﴿ والثانى ﴾ إلتفات البصر . وكلاهما منهى عنه

ولا يزال الله مقبلا على عبده مادام العبد مقبلا على صلاته . فاذا التفت بقلبه أو بصره أعرض الله تعالى عنه(١) وقد سئل رسول الله

---

(١) روى أحمد وأبو داود والنسائى عن أبى الأحوص عن أبى ذر قال قال رسول الله ﷺ « لا يزال الله مقبلا على العبد فى صلاته مالم يلتفت فاذا صرف وجهه انصرف عنه »

صلى الله عليه وسلم عن التفات الرجل فى صلاته فقال « اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد (١) » وفى أثر « يقول الله تعالى إلى خير منى إلى خير منى (٢) » :

ومثال من يلتفت فى صلاته ببصره أو بقلبه مثل رجل قد استدعاه السلطان فأوقفه بين يديه وأقبل يناديه ويخاطبه وهو فى خلال ذلك يلتفت عن السلطان يميناً وشمالا . وقد انصرف قلبه عن السلطان . فلا يفهم ما يخاطبه به . لأن قلبه ليس حاضرا معه . فما ظن هذا الرجل أن يفعل به السلطان ؟ أفليس أقل المراتب فى حقه أن ينصرف من بين يديه ممقوتا مبعدا قد سقط من عينيه ؟ فهذا المصلى لا يستوى والحاضر القلب المقبل على الله تعالى فى صلاته الذى قد أشعر قلبه عظمة من هو واقف بين يديه : فامتلأ قلبه من هيبته وذلت عنقه له واستحى من ربه تعالى أن يقبل على غيره أو يلتفت عنه وبين صلاتيهما كما قال حسان ابن عطية : « ان الرجلين ليكونان فى الصلاة الواحدة وإن ما بينهما فى الفضل كما بين السماء والأرض » وذلك أن أحدهما مقبل بقلبه على الله عز وجل والآخر ساه غافل . فاذا أقبل العبد على مخلوق مثله وبينه وبينه حجاب لم يكن اقبالا ولا تقريبا فما الظن بالخالق عز وجل ؟ وإذا أقبل على الخالق عز وجل وبينه وبينه حجاب الشهوات والوساوس والنفس مشغوفة بها ملأى منها فكيف يكون ذلك إقبالا وقد ألهته الوساوس والأفكار ، وذهبت به كل مذهب .

والعبد إذا قام فى الصلاة غار الشيطان منه ، فانه قد قام فى أعظم مقام

---

(١) رواه البخارى ومسلم عن عائشة رضى الله عنها

(٢) ذكره الحافظ المنذرى فى الترغيب والترهيب بصيغة التمريض عن جابر عن النبى ﷺ فى حديث طويل . ثم قال : رواه البزار .

وأقربه وأغيظه الشيطان ، وأشد عليه ، فهو يحرص ويجتهد كل الاجتهاد أن لا يقيمه فيه . بل لا يزال به يعده ويمنيه وينسيه ، ويجلب عليه بخيله ورجله حتى يهون عليه شأن الصلاة فيتهاون بها فيتركها فان عجز عن ذلك منه وعصاه العبد وقام فى ذلك المقام أقبل عدو الله تعالى حتى يخطر بينه وبين نفسه ويحول بينه وبين قلبه فيذكره فى الصلاة ما لم يكن يذكر قبل دخوله فيها حتى ربما كان قد نسى الشىء والحاجة وأيس منها فيذكره إياها فى الصلاة ليشغل قلبه بها ويأخذه عن الله عز وجل فيقوم فيها بلا قلب فلا ينال من إقبال الله تعالى وكرامته وقربه ما يناله المقبل على ربه عز وجل الحاضر بقلبه فى صلاته فينصرف من صلاته مثل ما دخل فيها بخطاياه وذنوبه وأثقاله لم تخف عنه بالصلاة فان الصلاة إنما تكفر سيئات من أدى حقها وأكمل خشوعها ووقف بين يدى الله تعالى بقلبه وقالبه فهذا إذا انصرف منها وجد خفة من نفسه وأحس بأثقال قد وضعت عنه : فوجد نشاطا وراحة وروحا حتى يتمنى أنه لم يكن خرج منها لأنها قرة عينيه ونعيم روحه وجنة قلبه ومستراحه فى الدنيا فلا يزال كأنه فى سجن وضيق حتى يدخل فيها فيستريح بصلاتها كما قال إمامهم وقدوتهم ونبيهم ﷺ « يا بلال أرحنا بالصلاة (١) » ولم يقل أرحنا منها وقال ﷺ « جعلت قرة عينى فى الصلاة (٢) » فمن جعلت قرة عينه فى الصلاة كيف تقر عينه ﷺ بدونها وكيف يطيق الصبر عنها فصلاة هذا الحاضر بقلبه الذى قرة عينه فى الصلاة هى التى تصعد ولها نور وبرهان حتى يستقبل بها الرحمن عز وجل فتقول « حفظك الله تعالى كما حفظتنى » وأما صلاة المفرط المضيع لحقوقها

---

(١) رواه أبو داود عن سالم بن أبى الجعد

(٢) أخرجه النسائى والحاكم عن أنس بلفظ « حبب إلى من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة » وقد أطال القول فى تخريجه والكلام على رواياته العجلونى فى كشف الخفاء .

وحدودها وخشوعها فانها « تلف كما يلف الثوب الخلق ويضرب بها وجه صاحبها وتقول : ضيعك الله كما ضيعتنى » وقد روى فى حديث مرفوع رواه بكر ابن بشر عن سعيد بن سنان عن أبى الزاهرية عن أبى شجرة عن عبد الله عن ابن عمر رضى الله عنهما يرفعه أنه قال « ما من مؤمن يتم الوضوء إلى أماكنه ثم يقوم إلى الصلاة فى وقتها فيؤديها لله عز وجل لم ينقص من وقتها وركوعها وسجودها ومعالمها شيئا إلا رفعت له إلى الله عز وجل بيضاء مسفرة يستضىء بنورها ما بين الخافقين حتى ينتهى بها إلى الرحمن عز وجل ومن قام إلى الصلاة فلم يكمل وضوءها وأخرها عن وقتها واسترق ركوعها وسجودها ومعالمها رفعت عنه سوداء مظلمة ثم لا تجاوز شعر رأسه تقول ضيعك الله كما ضيعتنى : ضيعك الله كما ضيعتنى »(١)

فالصلاة المقبولة والعمل المقبول أن يصلى العبد صلاة تليق بربه عز وجل فاذا كانت صلاة تصلح لربه تبارك وتعالى وتليق به كانت مقبولة

والمقبول من العمل قسمان :

﴿ أحدهما ﴾ أن يصلى العبد « ويعمل سائر الطاعات وقلبه متعلق بالله عز وجل ذاكر لله عز وجل على الدوام ، فأعمال هذا العبد تعرض على الله عز وجل « حتى تقف قبالته ، فينظر الله عز وجل اليها فاذا نظر اليها رآها

---

(١) هذا الحديث بحثت عن سنده فلم أجده وقد رواه الطبرانى فى الكبير بنحو ماهنا من اللفظ عن عبادة بن الصامت وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد . وفى سنده الأحوص بن حكيم وثقه ابن المدينى والعجلى وضعفه جماعة وبقية رجاله موثقون وروى الطبرانى مثله فى الأوسط عن أنس بن مالك وقال فى مجمع الزوائد . فيه عباد بن كثير وقد أجمعوا على ضعفه

خالصة لوجهه مرضية قد صدرت عن قلب سليم مخلص محب لله عز وجل متقرب به اليه ، وأحبها ورضيها وقبلها

﴿ والقسم الثانى ﴾ أن يعمل العبد الأعمال على العادة والغفلة . وينوى بها الطاعة والتقرب إلى الله فأركانه مشغولة بالطاعة . وقلبه لاه عن ذكر الله وكذلك سائر أعمال فاذا رفعت أعماله هذا إلى الله عز وجل لم تقف تجاهه ولا يقع نظره عليها . ولكن توضع حيث توضع دواوين الأعمال حتى تعرض عليه يوم القيامة . فتميز . فيثيبه على ما كان له منها ويرد عليه ما لم يرد وجهه به منها فهذا قبوله لهذا العمل . إثابته عليه بمخلوق من مخلوقاته من القصور والأكل والشرب ، والحور العين ، وإثابة الأول : رضا العمل لنفسه ورضاه عن معاملة عامله وتقريبه منه وإعلاء درجته ومنزلته فهذا يعطيه بغير حساب . فهذا لون . والأول لون والناس فى الصلاة على مراتب خمسة

﴿ أحدها ﴾ مرتبة الظالم لنفسه المفرط وهو الذى انتقص من وضوئها ومواقيتها . وحدودها وأركانها

﴿ الثانى ﴾ من يحافظ على مواقيتها وحدودها وأركانها الظاهرة ووضوئها لكن قد ضيع مجاهدة نفسه فى الوسوسة ، فذهب مع الوساوس والأفكار

﴿ الثالث ﴾ من حافظ على حدودها وأركانها وجاهد نفسه فى دفع الوساوس والأفكار فهو مشغول بمجاهدة عدوه ، لئلا يسرق صلاته فهو فى صلاة وجهاد

﴿ الرابع ﴾ من إذا قام إلى الصلاة أكمل حقوقها وأركانها وحدودها واستغرق قلبه مراعاة حدودها وحقوقها لئلا يضيع شيئا منها بل همه كله مصروف إلى إقامتها كما ينبغى ، وإكمالها وإتمامها قد استغرق قلبه شأن الصلاة وعبودية ربه تبارك وتعالى فيها

(الخامس) من إذا قام إلى الصلاة قام إليها كذلك ، ولكن مع هذا قد أخذ قلبه ووضعه بين يدى ربه عز وجل ناظراً بقلبه إليه ، ومراقبا له ممتلئا من محبته وعظمته كأنه يراه ويشاهده وقد اضمحلت تلك الوساوس والخطرات وارتفعت حجبها بينه وبين ربه فهذا بينه وبين غيره فى الصلاة أفضل وأعظم مما بين السماء والأرض . وهذا فى صلاته مشغول بربه عز وجل قرير العين به .

فالقسم الأول معاقب والثانى محاسب والثالث مكفر عنه مثاب والخامس مقرب إليه لأن له نصيبا ممن جعلت قرة عينه فى الصلاة فمن قرت عينه بصلاته فى الدنيا قرت عينه بقربه من ربه عز وجل فى الآخرة وقرت عينه أيضا به فى الدنيا ومن قرت عينه بالله قرت به كل عين ومن لم تقر عينه بالله تعالى تقطعت نفسه على الدنيا حسرات .

وقد روى « أن العبد إذا قام يصلى قال الله عز وجل : ارفعوا الحجب فإذا التفت قال ارخوها » وقد فسر هذا الالتفات بالتفات القلب عن الله عز وجل إلى غيره فإذا التفت إلى غيره ارخى الحجاب بينه وبين العبد فدخل الشيطان وعرض عليه أمور الدنيا وأراه إياها صورة المرأة . وإذا أقبل بقلبه على الله ولم يلتفت لم يقدر الشيطان على أن يتوسط بين الله تعالى وبين ذلك القلب وإنما يدخل الشيطان إذا وقع الحجاب فان فر إلى الله تعالى عز وجل وأحضر قلبه فر الشيطان . فان التفت حضر الشيطان . فهو هكذا شأنه وشأن عدوه فى الصلاة .

(فصل)

وإنما يقوى العبد على حضوره فى الصلاة واشتغاله فيها بربه عز وجل إذا قهر شهوته وهواه وإلا فقلب قد قهرته الشهوة وأسره الهوى ووجد الشيطان فيه مقعداً تمكن فيه كيف يخلص من الوساوس والافكار ؟

والقلوب ثلاثة : قلب خال من الإيمان وجميع الخير . فذلك قلب مظلم قد استراح الشيطان من إلقاء الوساوس إليه لأنه قد اتخذه بيتا ووطنا وتحكم فيه بما يريد وتمكن منه غاية التمكن .

القلب الثانى : قلب قد استنار بنور الإيمان وأوقد فيه مصباحه . لكن عليه ظلمة الشهوات وعواصف الأهوية . فللشيطان هناك إقبال وادبار ومجالات ومطالع فالحرب دول ومجال وتختلف أحوال هذا الصنف بالقلة والكثرة فنهم من أوقات غلبته لعدوه أكثر ومنهم من أوقات غلبة عدوه له أكثر ومنهم من هو تارة وتارة .

القلب الثالث : قلب محشو بالإيمان قد استنار بنورالإيمان وانقشعت عنه حجب الشهوات وأقلعت عنه تلك الظلمات فلنوره فى صدره إشراق ولذلك الاشراق إيقاد لو دنا منه الوسواس احترق به فهو كالسماء التى حرست بالنجوم فلو دنا منها الشيطان يتخطاها رجم فاحترق :

وليست السماء بأعظم حرمة من المؤمن وحراسة الله تعالى له أتم من حراسة السماء والسماء متعبد الملائكة ومستقر الوحى وفيها أنوار الطاعات وقلب المؤمن مستقر التوحيد والمحبة والمعرفة والإيمان وفيه أنوارها فهو حقيق أن يحرس ويحفظ من كيد العدو فلا ينال منه شيئا إلا خطفه .

وقد مثل ذلك بمثال حسن وهو ثلاثة بيوت : بيت الملك فيه كنوزه وذخائره وجواهره وبيت العبد فيه كنوز العبد وذخائره وجواهره وليست كجواهر الملك وذخائره .

وبيت خال صفر لا شىء فيه . فجاء اللص يسرق من أحد البيوت فمن أيها يسرق ؟

﴿ فان قلت ﴾ : من البيت الخالى كان محالا لأن البيت الخالى ليس فيه شىء يسرق ولهذا قيل لابن عباس رضى الله عنهما : ان اليهود تزعم أنها لا توسوس فى صلاتها . فقال : وما يصنع الشيطان بالقلب الخراب .

﴿ وإن قلت ﴾ : يسرق من بيت الملك كان ذلك كالمستحيل الممتنع فان عليه من الحرس واليزك مالا يستطيع اللص الدنو منه كيف وحارسه الملك بنفسه ؛ وكيف يستطيع اللص الدنو منه وحوله من الحرس والجند ماحوله ؟ فلم يبق للص إلا البيت الثالث فهو الذى يشن عليه الغارات

فليتأمل اللبيب هذا المثال حق التأمل ، ولينزله على القلوب فانها على منواله .

فقلب خلا من الخير كله ، وهو قلب الكافر والمنافق فذلك بيت الشيطان قد أحرزه لنفسه واستوطنه واتخذه سكنا ومستقرا فأى شيء يسرق منه وفيه خزائنه وذخائره وشكوكه وخيالاته ووساوسه ؟

وقلب قد امتلأ من جلال الله عز وجل وعظمته ومحبته ومراقبته والحياء منه فأى شيطان يجترىء على هذا القلب ؛ وإن أراد سرقة شيء منه فماذا يسرق ؛ وغايته أن يظفر في الأحايين منه بخطفة ونهبا يحصل له على غرة من العبد وغفلة لابد له منها إذا هو بشر ، وأحكام البشرية جارية عليه من الغفلة والسهو والذهول وغلبة الطبع

وقد ذكر عن وهب بن منبه رحمة الله تعالى أنه قال فى بعض الكتب الإلهية «لست أسكن البيوت ولا تسعنى وأى شيء يسعنى والسموات حشو كرسى ؟ ولكن أنا فى قلب الوادع التارك لكل شيء سواى ، وهذا معنى الأثر الآخر « ما وسعتنى سمواتى ولا أرضى ووسعنى قلب عبدى المؤمن

وقلب فيه توحيد الله تعالى ومعرفته ومحبته والايمان به والتصديق بوعده ووعيده وفيه شهوات النفس وأخلاقها ودواعى الهوى والطبع .

وقلب بين هذين الداعيين فمرة يميل بقلبه داعى الايمان والمعرفة والمحبة لله تعالى وإرادته وحده ومرة يميل لداعى الشيطان والهوى والطباع فهذا القلب

للشيطان فيه مطمع وله منه متنازلات ووقائع ويعطى الله النصر من يشاء (وما النصر إلا من عنده الله العزيز الحكيم)

وهذا لا يتمكن الشيطان منه إلا بما عنده من سلاحه فيدخل إليه الشيطان فيجد سلاحه عنده فيأخذه ويقاتله به فإن أسلحته هى الشهوات والشبهات والخيالات والأمانى الكاذبة وهى فى القلب فيدخل الشيطان فيجدها عتيدة فيأخذها ويصول بها على القلب فان كان عند العبد عدة عتيدة من الأيمان تقاوم تلك العدة وتزيدها عليها انتصف من الشيطان وإلا فالدولة لعدوه عليه ولا قوة إلا بالله فان أذن العبد لعدوه وفتح له باب بيته وأدخله عليه ومكنه من السلاح يقاتله به فهو الملوم

فنفسك لم ولا تلم المطايا ومت كمدا فليس لك اعتذار .

عدنا الى شرح حديث الحارث الذى فيه ذكر ما يحرز العبد من عدوه قوله ﷺ « وآمركم بالصيام فان مثل ذلك مثل رجل فى عصابة معه صرة فيها مسك فكلهم يعجب أو يعجبه ريحه وأن ريح الصيام أطيب عند الله من ريح المسك » إنما مثل ﷺ ذلك الصائم بصاحب الصرة التى فيها المسك لأنها مستورة عن العيون مخبوءة تحت ثيابه كعادة حامل المسك وهكذا الصائم صومه مستور عن مشاهدة الخلق لا تدركه حواسهم والصائم هو الذى صامت جوارحه عن الآثام ولسانه عن الكذب والفحش وقول الزور وبطنه عن الطعام والشراب وفرجه عن الرفث فان تكلم لم يتكلم بما يجرح صومه وإن فعل لم يفعل ما يفسد صومه ، فيخرج كلامه كله كاملا نافعاً صالحاً ، وكذلك أعماله فهى بمنزلة الرائحة التى يشمها من جالس حامل المسك ، كذلك من جالس الصائم انتفع بمجالسته وأمن فيها من الزور والكذب والفجور والظلم ، هذا هو الصوم المشروع لا مجرد الإمساك عن الطعام والشراب ففى الحديث

الصحيح « من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه » وفى الحديث « رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش » فالصوم (الكامل) هو صوم الجوارح عن الآثام وصوم البطن عن الشراب والطعام . فكما أن الطعام والشراب يقطعه ويفسده فهكذا الآثام تقطع ثوابه وتفسد ثمرته فتصيره بمنزلة من لم يصم .

وقد اختلف فى وجود هذه الرائحة من الصائم : هل هى فى الدنيا أو فى الآخرة ؟ على قولين :

ووقع بين الشيخين الفاضلين أبى محمد بن عبدالسلام وأبى عمر بن الصلاح فى ذلك تنازع فمال أبو محمد إلى ان تلك فى الآخرة خاصة وصنف فيه مصنفا ومال الشيخ أبو عمرو إلى أن ذلك فى الدنيا والآخرة وصنف فيه مصنفا رد فيه على أبى محمد وسلك أبو عمرو فى ذلك مسلك أبى حاتم ابن حبان فانه فى صحيحه — بوب عليه كذلك فقال (ذكر البيان بأن خلوف فم الصائم أطيب عند الله تعالى من ريح المسك) ثم ساق حديث الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم « كل عمل ابن آدم له إلا الصيام والصيام لى وأنا أجزى به والخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك »(١)

---

(١) رواه البخارى ومسلم وغيرهما بألفاظ مختلفة و « الخلوف » بفتح الخاء المعجمة وضم اللام : تغير رائحة الفم من ترك الطعام والشراب وسئل سفيان بن عيينة عن قوله (كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فانه لى) فقال : إذا كان يوم القيامة يحاسب الله عز وجل عبده ويؤدى ما عليه من المظالم من سائر عمله حتى لا يبقى إلا الصوم فيتحمل الله ما بقى عليه من المظالم ويدخله بالصوم الجنة . وعن أبى عبيد : أنه لا يقع فيه الرياء كما

ثم قال (ذكر البيان بأن خلوف فم الصائم يكون أطيب عند الله من ريح المسك يوم القيامة) ثم ساق حديثا من حديث ابن جريج عن عطاء عن أبى صالح الزيات أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ (قال الله تبارك وتعالى: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فانه لى وأنا أجزى به والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك للصائم فرحتان إذا أفطر فرح بفطره وإذا لقى الله تعالى فرح بصومه)

قال أبو حاتم: شعار المؤمنين يوم القيامة التحجيل بوضوئهم فى الدنيا فرقا بينهم وبين سائر الأمم وشعارهم فى القيامة بصومهم: طيب خلوف أفواههم أطيب من ريح المسك ليعرفوا من بين ذلك الجمع بذلك العمل جعلنا الله تعالى منهم

ثم قال (ذكر البيان بأن خلوف فم الصائم قد يكون أيضا أطيب من ريح المسك فى الدنيا) ثم ساق من حديث شعبة عن سليمان عن ذكوان عن أبى هريرة عن النبى ﷺ (كل حسنة يعملها ابن آدم بعشر حسنات إلى سبعمائة ضعف يقول الله عز وجل إلا الصوم فهو لى وأنا أجزى به يدع الطعام من أجلى والشراب من أجلى وأنا أجزى به وللصائم فرحتان فرحة حين يفطر، وفرحة حين يلقى ربه عز وجل ولخلوف فم الصائم حين يخلف من الطعام أطيب عند الله من ريح المسك)

واحتج الشيخ أبو محمد بالحديث الذى فيه تقييد الطيب بيوم القيامة.

يقع فى غيره من الأعمال وقيل. معناه أنا أجزى به وأنفرد بعلم مقدار ثوابه وتضعيف حسناته فان بعض الأعمال قد كشف الله ثوابها: الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة إلا الصوم فانه لى وأنا أجزى عليه جزاء من غير حساب وقيل معناه. أنه أحب الأعمال إلى الله وهو المقدم عنده وقال ابن عبد البر كفى بقوله (الصوم لى) فضلا للصيام على سائر العبادات وقد أطال الحافظ بن حجر فى هذا فارجع إليه إن شئت (ج ٤ ص ٧٥ — ٧٧)

قلت ويشهد لقوله الحديث المتفق عليه (والذى نفسى بيده ما من مكلوم يكلم فى سبيل الله ـ والله أعلم بمن يكلم فى سبيله ـ إلا جاء يوم القيامة وكلمه يدمى ، اللون لون دم ، والريح ريح مسك) (١)

فأخبر ﷺ عن رائحة كلم المكلوم فى سبيل الله عز وجل بأنها كريح المسك يوم القيامة وهو نظير إخباره عن خلوف فم الصائم فان الحس يدل على أن هذا دم فى الدنيا وهذا خلوف له ولكن يجعل الله تعالى رائحة هذا وهذا مسكا يوم القيامة

واحتج الشيخ أبو عمرو بما ذكره أبو حاتم فى صحيحه من تقييد ذلك بوقت إخلافه وذلك يدل على أنه فى الدنيا فلما قيد المبتدأ وهو خلوف فم الصائم بالظرف وهو قوله : (حين يخلف) كان الخبر عنه وهو قوله (أطيب عند الله) خبرا عنه فى حال تقييده فان المبتدا إذا تقيد بوصف أو حال أو ظرف كان الخبر عنه حال كونه مقيدا . فدل على أن طيبه عند الله تعالى ثابت حال إخلافه

قال : وروى الحسن بن سفيان فى مسنده عن جابر أن النبى ﷺ قال : (أعطيت أمتى فى شهر رمضان خمس) فذكر الحديث وقال فيه (وأما الثانية فانهم يمسون وريح أفواههم أطيب عند الله من المسك) .

ثم ذكر كلام الشراح فى معنى طيبه وتأويلهم إياه بالثناء عن الصائم والرضا بفعله على عادة كثيرة منهم بالتأويل من غير ضرورة حتى كأنه قد بورك فيه فهو موكل به (؟) وأى ضرورة تدعو إلى تأويل كونه أطيب عند الله من ريح المسك بالثناء على فاعله والرضا بفعله وإخراج اللفظ عن حقيقته وكثير من هؤلاء ينشىء اللفظ معنى ثم يدعى إرادة ذلك المعنى بلفظ النص من غير نظر منه إلى استعمال ذلك اللفظ فى المعنى الذى عينه أو احتمال اللغة له ومعلوم أن هذا يتضمن الشهادة على الله تعالى ورسوله ﷺ بأن مراده من كلامه كيت وكيت

---

(١) الكلم ـ بفتح الكاف وسكون اللام ـ الجرح والحديث رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة

فان لم يكن ذلك معلوما بوضع اللفظ لذلك المعنى ، أو عرف الشارع ﷺ وعادته المطردة أو الغالبة باستعمال ذلك اللفظ فى هذا المعنى أو تفسيره له به وإلا كانت شهادة باطلة وأدنى أحوالها أن تكون شهادة بلا علم

ومن المعلوم أن أطيب ما عند الناس من الرائحة رائحة المسك فمثل النبى ﷺ هذا الخلوف عند الله تعالى بطيب رائحة المسك عندنا وأعظم ونسبة استطابة ذلك إليه سبحانه وتعالى كنسبة سائر صفاته وأفعاله إليه فانها استطابة لا تماثل استطابة المخلوقين كما أن رضاه وغضبه وفرحه وكراهته وحبه وبغضه لا تماثل ما للمخلوق من ذلك كما أن ذاته سبحانه وتعالى لا تشبه ذوات خلقه وصفاته لا تشبه صفاتهم وأفعاله لا تشبه أفعالهم وهو سبحانه وتعالى يستطيب الكلم الطيب فيصعد إليه والعمل الصالح فيرفعه وليست هذه الاستطابة كاستطابتنا .

ثم إن تأويله لا يرفع الأشكال إذا ما استشكله هؤلاء من الاستطابة يلزم مثله فى الرضا فان قال : رضا ليس كرضا المخلوقين فليقل استطابة كاستطابة المخلوقين . وعلى هذا جميع ما يجىء من هذا الباب

ثم قال وأما ذكر يوم القيامة فى الحديث فلأنه يوم الجزاء وفيه يظهر رجحان الخلوف فى الميزان على المسك المستعمل لدفع الرائحة الكريهة طلبا لرضاء الله تعالى حيث يؤمر لاجتنابها واجتلاب الرائحة الطيبة كما فى المساجد والصلوات وغيرها من العبادات فخص يوم القيامة بالذكر فى بعض الروايات كما خص فى قول الله تعالى (إن ربهم بهم يومئذ لخبير) وأطلق فى باقيها نظرا إلى أن أصل أفضليته ثابت فى الدارين

قلت من العجب رده على أبى محمد بما لا ينكره أبو محمد ولا غيره فان الذى فسر به الاستطابة المذكورة فى الدنيا بثناء الله تعالى على الصائمين ورضاه بفعلهم أمر لا ينكره مسلم فان الله تعالى قد أثنى عليهم فى كتابه وفيما بلغه عنه رسوله ﷺ

ورضى بفعله . فان كانت هذه الاستطابة ، فيرى الشيخ أبو محمد ينكرها(١) والذى ذكره الشيخ أبو محمد أن هذه الرائحة إنما يظهر طيبها على طيب المسك فى اليوم الذى يظهر فيه طيب دم الشهيد ، ويكون كرائحة المسك . ولا ريب أن ذلك يوم القيامة فان الصائم يجىء ورائحة فمه أطيب من رائحة المسك كما يجىء المكلوم فى سبيل الله عز وجل ورائحة دمه كذلك لاسيما والجهاد أفضل من من الصيام فان كان طيب رائحته إنما يظهر يوم القيامة فكذلك الصائم .

وأما حديث جابر (فانهم يمسون وخلوف أفواههم أطيب من ريح المسك) فهذه جملة حالية لاخبرية فان خبر إمسائه لايقترن بالواو . لأنه خبر مبتدأ فلا يجوز اقترانه بالواو . وإذا كانت الجملة حالية فلأبى محمد أن يقول هى حال مقدرة والحال المقدرة يجوز تأخيرها عن زمن الفعل العامل فيها ، ولهذا لو صرح بيوم القيامة فى مثل هذا . فقال (يمسون وخلوف أفواههم أطيب من ريح المسك يوم القيامة) لم يكن التركيب فاسدا . كأنه قال يمسون وهذا حالهم يوم القيامة . وأما قوله (لخلوف فم الصائم حين يخلف) فهذا الظرف تحقيق للمبتدأ أو تأكيد له ، وبيان إرادة الحقيقة المفهومة منه لامجازه ولا استعارته وهذا كما تقول جهاد المؤمن حين يجاهد ، وصلاته حين يصلى يجزيه الله تعالى بها يوم القيامة ، ويرفع بها درجته يوم القيامة ، وهذا قريب من قوله ﷺ (لايزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن) وليس المراد تقييد نفى الإيمان المطلق عنه حالة مبشرة تلك الأفعال فقط بحيث إذا كملت مباشرته وانقطع فعله عاد إليه الإيمان ، بل هذا النفى مستمر إلى حين التوبة وإلا فمادام مصرا وإن لم يباشر الفعل فالنفى لاحق به ولا يزول عنه اسم الذم والأحكام المترتبة على المباشرة إلا بالتوبة النصوح والله سبحانه وتعالى أعلم

---

(١) مقتضى ما قبله أن يقول لاينكرها - فى نفسها - وإن أنكر أنها هى المرأة من الحديث . بل يفسره بما ذكره بعد وهو يتفق معه

وفصل النزاع فى المسألة أن يقال حيث أخبر النبى صلى الله عليه وسلم أن ذلك الطيب يكون يوم القيامة فلانه الوقت الذى يظهر فيه ثواب الأعمال وموجباتها من الخير والشر فيظهر للخلق طيب ذلك الخلوف على المسك كما يظهر فيه رائحة دم المكلوم فى سبيله كرائحه المسك وكما تظهر فيه السرائر وتبدو على الوجوه وتصير علانية ويظهر فيه قبح رائحة الكفار وسواد وجوههم وحيث أخبر بأن ذلك حين يخاف وحين يمسون فلأنه وقت ظهور أثر العبادة ويكون حينئذ طيبها على ريح المسك عند الله تعالى وعند ملائكته وإن كانت تلك الرائحه كريهة للعباد فرب مكروه عند الناس محبوب عند الله تعالى ، وبالعكس فان الناس يكرهونه لمنافرته طباعهم والله تعالى يستطيبه ويحبه لموافقته أمره ورضاه ومحبته فيكون عندة أطيب من ريح المسك عندنا فإذا كان يوم القيامة ظهر هذا الطيب للعباد وصار علانية وهكذا سائر آثار الأعمال من الخير والشر وإنه يكمل ظهورها ويصير علانيه فى الآخرة . وقد يقوى العمل ويتزايد حتى يستلزم ظهور بعض أثره على البعد فى الدنيا فى الخير والشر كما هو مشاهد بالبصر والبصيرة .

قال ابن عباس [ان الحسنة ضياء فى الوجه ونوران فى القلب وقرة فى البدن وسعة فى الرزق ومحبة فى قلوب الخلق وان للسيئة سوادا فى الوجه وظلمة فى القلب ووهنا فى البدن ونقصا فى الرزق وبغضة فى قلوب الخلق]
وقال عثمان بن عفان ما عمل رجل عملا إلا ألبسه الله تعالى رداءه ان خيرا فخير وإن اشرا فشر

وهذا أمر معلوم يشترك فيه وفى العلم به أصحاب البصائر وغيرهم حتى إن الرجل الطيب البر لتشم منه رائحة طيبة وان لم يمس طيبا فتظهر طيب رائحة روحه على بدنه وثيابه والفاجر بالعكس والمزكوم الذى أصابه الهوى لا يشم لا هذا ولا هذا بل ذكامه يحمله على الانكار .

فهذا فصل الخطاب فى هذه المسألة والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب

(فصل)

قوله [وآمركم بالصدقة فإن مثل ذلك مثل رجل أسره العدو فأوثقوا يده إلى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه فقال أنا أفدى نفسى منكم بالقليل والكثير ففدى نفسه منهم].

هذا أيضا من الكلام الذى برهانه وجوده ، ودليله وقوعه . فإن للصدقة تأثيرا عجيبا فى دفع أنواع البلاء ولو كانت من فاجر أو ظالم بل من كافر فإن الله تعالى يدفع بها عنه أنواعا من البلاء وهـذا أمر معلوم عنـد الناس خاصتهم وعامتهم . وأهل الأرض كلهم مقرن به لأنهم جربوه

وقد روى الترمذى فى جامعه من حديث أنس بن مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (إن الصدقة تطفىء غضب الرب ، وتدفع ميتة السوء) وكما أنها تطفىء غضب الرب تبارك وتعالى فهى تطفىء الذنوب والخطايا كما يطفىء الماء النار

وفى الترمذى عن معاذ بن جبل قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فأصبحت يوما قريبا منه ونحن نسير فقال ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جنة والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار وصلاة الرجل فى جوف الليل شعار الصالحين ، ثم تلا (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ)

وفى بعض الآثار (باكروا بالصدقة فإن البلاء لا يتخطى الصدقة)

وفى تمثيل النبى صلى الله عليه وسلم ذلك بمن قدم ليضرب عنقه فافتدى نفسه منهم بماله كفاية فإن الصدقة تفدى العبد من عذاب الله تعالى فإن ذنوبه وخطاياه تقتضى هلاكه فتجىء الصدقة تفديه من العذاب وتفكه منه)

ولهذا قال النبي ﷺ فى الحديث الصحيح لما خطب النساء يوم العيد « يامعشر النساء تصدقن ، ولو من حليكن فانى رأيتكن أكثر أهل النار) وكأنه حثهن ورغبهن على مايفدين به أنفسهن من النار .

وفى الصحيحين عن عدى بن حاتم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى الا ماقدم وينظر أشأم منه فلا يرى الا ما قدم وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة].

وفى حديث أبى ذر [أنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا ينجى العبد من النار؟ قال الإيمان بالله قلت يانبى الله مع الإيمان عمل؟ قال أن ترضخ مما خولك الله أو ترضخ مما رزقك الله قلت يانبى الله فان كان فقيراً لايجد مايرضخ؟ قال يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر قلت ان كان لا يستطيع أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر قال فليعن الأخرق يارسول الله أرأيت ان كان لا يحسن أن يصنع؟ قال فليعن مظلوما قلت يارسول الله أرأيت ان كان ضعيفا لا يستطيع أن يعين مظلوما؟ قال ماتريد أن تترك فى صاحبك من خير؟ ليمسك أذاه عن الناس قلت يارسول الله أرأيت إن فعل هذا يدخل الجنة؟ قال مامن مؤمن يصيب به خصلة من هذه الخصال إلا أخذت بيده حتى أدخلته الجنة] ذكره البيهقى فى كتاب شعب الإيمان.

وقال عمر بن الخطاب ذكر لى أن الأعمال تتباهى فتقول الصدقة أنا أفضلكم

وفى الصحيحين عن أبى هريرة قال ضرب رسول الله ﷺ مثل البخيل والمتصدق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد أو جنتان من حديد (١) قد

---

(١) الجنة بضم الجيم وفتح النون مشددة — ماأجن المرء وستره . والمراد به ههنا الدرع شبه صلى الله عليه وسلم نعم الله على العبد بالجنة أو الجبة فالمتفق كلما أنفق

اضطرت أيديهما إلى ثديهما وتراقيهما . فجعل المتصدق كلما تصدق بصدقة انبسطت عنه حتى تغشى أنامله وتعفو أثره وجعل البخيل كلما هم بصدقة قلصت وأخذت كل حلقة مكانها . قال أبو هريرة فأنا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بأصبعه هكذا فى جبته فرأيته يوسعها ولا تتسع)

ولما كان البخيل محبوسا عن الإحسان ممنوعا عن البر والخير كان جزاؤه من جنس عمله فهو ضيق الصدر ممنوع من الانشراح ضيق العطن صغير النفس قليل الفرح كثير الهم والغم والحزن لا يكاد تقضى له حاجة ولا يعاد على مطلوب فهو كرجل عليه جبة من حديد قد جمعت يداه إلى عنقه بحيث لا يتمكن من إخراجها ولا حركتها وكلما أراد إخراجها أو توسيع تلك الجبة لزمت كل حلقة من حلقها موضعها وهكذا البخيل كلما أراد أن يتصدق منعه بخله فبقى قلبه فى سجنه كما هو والمتصدق كلما تصدق بصدقة انشرح لها قلبه وانفسح بها صدره فهو بمنزلة اتساع الجبة عليه فكلما تصدق اتسع وانفسح وانشرح وقوى فرحه وعظم سروره ولو لم يكن فى الصدقة إلا هذه الفائدة وحدها لكان العبد حقيقا بالاستكثار منها والمبادرة إليها

وقد قال تعالى (وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِه فَأولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) .

وكان عبد الرحمن بن عوف أو سعد بن أبى وقاص يطوف بالبيت وليس له دأب إلا هذه الدعوة (رب قنى شح نفسى ، رب قنى شح نفسى) فقيل له أما تدعو بغير هذه الدعوة ؟ فقال (إذا وقيت شح نفسى فقد أفلحت)

أخلف الله عليه فاتسعت عليه النعم سبغت ووفرت حتى تستره سترا كاملا فى الدنيا والآخرة والبخيل كلما أراد أن ينفق منعه الشح والحرص وخوف النقص لعدم ثقته بالله واطمئنانه لما عنده فيضيق الله عليه فى الدنيا والآخرة

والفرق بين الشح والبخل أن الشح هو شدة الحرص على الشيء والإحفاء في طلبه والاستقصاء في تحصيله وجشع النفس عليه والبخل منع إنفاقه بعد حصوله وحبه وإمساكه فهو شحيح قبل حصوله بخيل بعد حصوله فالبخل ثمرة الشح والشح يدعو إلى البخل والشح كامن في النفس فمن بخل فقد أطاع شحه ومن لم يبخل فقد عصى شحه ووقى شره وذلك هو المفلح (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون)

والسخي قريب من الله تعالى ومن خلقه ومن أهله وقريب من الجنة وبعيد من النار والبخيل بعيد من الله تعالى بعيد من خلقه بعيد من الجنة قريب من النار فجود الرجل يحببه إلى أضداده وبخله يبغضه إلى أولاده

ويظهر عيب المرء في الناس بخله	ويستره عنهم جميعا سخاؤه
تغط بأثواب السخاء فانني	أرى كل عيب فالسخاء غطاؤه
وقارن ـ إذا قارنت ـ حرا فانما	يزين ويزرى بالفتى قرناؤه
وأقلل إذا ما استطعت قولا فانه	إذا قل قول المرء قل خطاؤه
إذ قل مال المرء قل صديقه	وضاقت عليه أرضه وسماؤه
وأصبح لايدرى . وإن كان حازما	أقدامه خير له أم وراءه ؟
إذا المرء لم يختر صديقا لنفسه	فناد به في الناس : هذا جزاؤه

وحد السخاء بذل ما يحتاج إليه عند الحاجة وأن يوصل ذلك إلى مستحقه بقدر الطاقة

وليس كما قال بعض من نقص علمه حد الجود بذل الموجود ولو كان كما قال هذا القائل لارتفع اسم السرف والتبذير وقد ورد الكتاب بذمهما وجاءت السنة بالنهي عنهما

وإذا كان السخاء محمودا فمن أوقف على حده سمى كريما وكان للحمد مستوجبا ومن قصر عنه كان بخيلا وكان للذم مستوجبا وقد روى في

أثره [إن الله عز وجل أقسم بعزته ألا يجاوره بخيل]

والسخاء نوعان فأشرفهما سخاؤك عما بيد غيرك والثانى سخاؤك ببذل ما فى يدك فقد يكون الرجل من أسخى الناس وهو لا يعطيهم شيئاً لأنه سخا عما فى أيديهم وهذا معنى قول بعضهم [السخاء أن تكون بمالك متبرعا وعن مال غيرك متورعا]

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول أوحى الله إلى إبراهيم صلى الله عليه وسلم [أتدرى لم اتخذتك خليلا قال لا قال لأنى رأيت العطا أحب إليك من الأخذ] وهذه صفة من صفات الرب جل جلاله فانه يعطى ولا يأخذ ويطعم ولا يطعم وهو أجود الأجودين وأكرم الأكرمين وأحب الخلق إليه من اتصف بمقتضيات صفاته فانه كريم يحب الكريم من عباده وعالم يحب العلماء وقادر يحب الشجعان وجميل يحب الجمال

روى الترمذى فى جامعه قال حدثنا محمد بن بشار حدثنا أبو عامر أخبرنا خالد بن الياس عن صالح بن أبى حسان قال سمعت سعيد بن المسيب يقول [إن الله طيب يحب الطيب نظيف يحب النظافة كريم يحب الكرم جواد يحب الجود فنظفوا أخبيتكم ولا تشبهوا باليهود]

قال فذكرت ذلك للمهاجر بن مسمار فقال حدثنيه عامر بن سعد عن أبيه رضى الله عنه عن النبى ﷺ مثله إلا أنه قال [فنظفوا أفنيتكم] هذا حديث غريب خالد بن الياس يضعف

وفى الترمذى أيضا فى كتاب البر قال حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا سعيد بن محمد الوراق عن يحيى بن سعيد عن الأعرج عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال [السخى قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من

النار والجاهل سخى أحب إلى الله تعالى من عابد بخيل]

وفى الصحيح [أن الله تعالى وتر يحب الوتر] وهو سبحانه وتعالى رحيم يحب الرحماء وإنما يرحم من عباده الرحماء وهو ستير يحب من يستر على عباده وعفو يحب من يعفو عنهم وغفور يحب من يغفر لهم ولطيف يحب اللطيف من عباده ويبغض الفظ الغليظ القاسى الجعظرى الجواظ (١) ورفيق يحب الرفق وحليم يحب الحليم وبر يحب البر وأهله وعدل يحب العدل وقابل المعاذير يحب من يقبل معاذير عباده ويجازى عبده بحسب الصفات فيه وجوداً وعدما فمن عفا عفا عنه ومن غفر غفر له ومن سامح سامحه ومن حاقق حاققه ومن رفق بعباده رفق به ومن رحم خلقه رحمه ومن أحسن إليهم أحسن إليه ومن جاد عليهم جاد عليه ومن نفعهم نفعه ومن ستره ستره ومن صفح عنهم صفح عنه ومن تتبع عورتهم تتبع عورته ومن هتكهم هتكه وفضحه ومن منعهم خيره منعه خيره ومن شاق شاق الله تعالى به ومن مكر مكر به ومن خادعه خادعه ومن عامل خلقه بصفة عامله الله تعالى بتلك الصفة بعينها فى الدنيا والآخرة

فالله تعالى لعبده على حسب ما يكون العبد لخلقه ولهذا جاء فى الحديث [من ستر مسلما ستره الله تعالى فى الدنيا والآخرة ومن نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله تعالى عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله تعالى حسابه ومن أقال نادما أقاله الله تعالى عثرته ومن أنظر معسرا أو وضع عنه أظله الله تعالى فى ظل عرشه] (٢) لأنه لما جعله فى

---

(١) الجعظري - بفتح الجيم وسكون العين وفتح الظاء وكسر الراء والجواظ بفتح الجيم وتشديد الواو المفتوحة هو اللفظ الغليظ المتكبر المنتفخ بما ليس عنده

(٢) رواه مسلم وأبو داود والترمذى عن أبى هريرة إلى قوله [ستر الله عليه فى الدنيا والآخرة] وزادوا [والله فى عون العبد ما كان

ظل الأنظار والصبر ونجاه من حر المطالبة وحرارة تكلف الأداء مع عسرته وعجزه نجاه الله تعالى من حر الشمس يوم القيامة إلى ظل العرش

وكذلك الحديث الذى فى الترمذى وغيره عن النبى ﷺ أنه قال فى خطبته يوما [يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان إلى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من تتبع عورة أخيه يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو فى جوف بيته] (١) فكما تدين تدان وكن كيف شئت فان الله تعالى لك كما تكون أنت له ولعباده

ولما أظهر المنافقون الإسلام وأسروا الكفر أظهر الله تعالى لهم يوم القيامة نورا على الصراط وأظهر لهم أنهم يجوزون الصراط وأسر لهم أن يطفىء نورهم وأن يحال بينهم وبين الصراط من جنس أعمالهم

وكذلك من يظهر للخلق خلاف ما يعلمه الله فيه فان الله تعالى يظهر له فى الدنيا والآخرة أسباب الفلاح والنجاح والفوز ويبطن له خلافها

وفى الحديث « من راءى راءى الله به ، ومن سمع سمع الله به » (٢)

والمقصود أن الكريم المتصدق يعطيه الله ما لا يعطى البخيل الممسك ويوسع عليه فى ذاته وخلقه ورزقه ونفسه وأسباب معيشته جزاء له من جنس عمله

وقوله ﷺ (وآمركم أن تذكروا الله تعالى) فان مثل ذلك مثل رجل

العبد فى عون أخيه) وقوله (ومن أنظر معسرا) الخ حديث مستقل رواه الترمذى عن أبى هريره وقال حسن صحيح

(١) رواه الترمذى عن عبد الله بن عمر وفيه يامعشر من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه) وفيه (ولو فى جوف رحله)

(٢) رواه البخارى ومسلم عن جندب بن عبد الله بلفظ (ومن يراء يراء الله به) .

خرج العدو فى أثره سراعا حتى إذا أتى إلى حصن حصين فأحرز نفسه منهم كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله فلو لم يكن فى الذكر إلا هذه الخصلة الواحدة لكان حقيقا بالعبد أن لا يفتر لسانه عن ذكر الله تعالى وأن لا يزال لهجا بذكره فانه لا يحرز نفسه من عدوه إلا بالذكر ولا يدخل عليه العدو إلا من باب الغفلة فهو يرصده فاذا غفل وثب عليه وافترسه وإذا ذكر الله تعالى انخنس عدو الله تعالى وتصاغر وانقمع حتى يكون كالوصع(١) وكالذباب ولهذا سمى [الوسواس الخناس] أى يوسوس فى صدور الناس فاذا ذكرالله تعالى خنس أى كف وانقبض قال ابن عباس (الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فإذا سها وغفل وسوس فاذا ذكر الله تعالى خلس)

وفى مسند الإمام أحمد عن عبد العزيز أبى سلمة الماجشون عن زياد بن أبى زياد مولى عبد الله بن عباس بن أبى ربيعة أنه بلغه عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [ما عمل آدمى عملا قط أنجى له من عذاب من ذكر الله عز وجل](٢)

وقال معاذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة ومن أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا بلى يارسول الله قال ذكر الله عز وجل](٢)

---

(١) يروى بفتح الصاد وسكونها كما قال العلامة ابن الأثير فى النهاية وهو طائر أصغر من العصفور والجمع وصعان

(٢) قال المنذرى باسناد جيد إلا أن فيه انقطاعا ورواه الإمام أحمد باسناد حسن وابن أبى الدنيا والترمذى وابن ماجه والحاكم وقال صحيح الإسناد والبيهقى عن أبى الدرداء.

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة قال [كان رسول الله ﷺ يسير فى طريق مكة فمر على جبل يقال له جمدان فقال سيروا هذا جمدان سبق المفردون قيل وما المفردون يارسول الله؟ قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات (١)

وفى السنين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [مامن قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله تعالى فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار . وكان عليهم حسرة] .

وفى رواية الترمذى [ماجلس قوم مجلسا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم ترة (٢) فان شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم].

وفى صحيح مسلم عن الأغر أبى مسلم قال أشهد على أبى هريرة وأبى سعيد أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال [لا يقعد قوم يذكرون الله فيه إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده] .

وفى الترمذى عن عبد الله بن بشر أن رجلا قال يارسول الله [إن أبواب الخير كثيرة ولا أستطيع القيام بكلها . فأخبرنى بما شئت أتشبث به ولا تكثر على فأنسى - وفى رواية - إن شرائع الأسلام قد كثرت على وأنا قد كبرت فأخبرنى بشىء أتشبث به - قال لا يزال لسانك رطبا بذكر الله تعالى](٣)

---

(١) المفردون بضم الميم وفتح الفاء وتشديد الراء مكسورة يقال فرد برأيه وأفرد وفرد واستفرد بمعنى انفرد

(٢) الترة بكسر الراء المثناة وفتح الراء المهملة بعدها هاء بدل الواو التى كانت فى أولها لأن أصلها وترت هى النقص أو التبعة

(٣) هذه هى الراوية التى أخرجها الترمذى فى باب ماجاء فى فضل الذكر من جامعة ولكن ليس فيها (وأنا قد كبرت) ولعلها فى النسخ المخطوطة

وفى الترمذى أيضا عن أبى سعيد أن رسول الله ﷺ سئل [أى العباد أفضل وأرفع درجة عند الله يوم القيامة ؟ قال : الذاكرون الله كثيراً . قيل يا رسول الله ومن الغازى فى سبيل الله ؟ قال . لو ضرب بسيفه فى الكفار والمشركين حتى يتكسر ويختضب دما لكان الذاكر لله تعالى أفضل منه درجة] (١)

وفى صحيح البخارى عن أبى موسى عن النبى ﷺ قال : [مثل الذى يذكر والذى لا يذكر ربه مثل الحى والميت]

وفى الصحيحين عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ يقول الله تبارك وتعالى : [أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه إذا ذكرنى . فان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم ، وإن تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا ، وإن تقرب إلى ذراعا تقربت منه باعا ، وإذا أتانى يمشى أتيته هرولة]

وفى الترمذى عن أنس أن رسول الله ﷺ قال [إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا . قالوا يا رسول الله ، وما رياض الجنة ؟ قال . حلق الذكر]

وفى الترمذى أيضا عن النبى ﷺ عن الله عز وجل أنه يقول : [إن عبدى كل عبدى الذى يذكرنى وهو ملاق قرنه]

وهذا الحديث هو فصل الخطاب فى التفصيل بين الذاكر والمجاهد ، فان الذاكر المجاهد أفضل من الذاكر بلا جهاد ومن المجاهد الغافل . والذاكر بلا جهاد أفضل من المجاهد الغافل عن الله تعالى فأفضل الذاكرين المجاهدون ، وأفضل المجاهدين الذاكرون . قال الله تعالى (يَاَ أَيُّهَاَ الَّذِينَ آمَنُوا إذا لقيتُم فئةً فَاثْبَتُوا واذْكُرُوا الله كَثيرًا لَعَلَّكُمْ تُفلحُونَ) فأمرهم بالذكر

---

(١) رواه الترمذى وقال : حديث غريب ورواه البيهقى مختصرا

الكثير والجهاد معا ليكونوا على رجاء من الفلاح وقد قال تعالى : (يا أيُّها الَّذين آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْراً كَثيراً) . وقال تعالى (وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيراً والذَّاكِرَات) أى كثيرا . وقال تعالى (فإذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أو أَشَدَّ ذِكْرًا) ففيه الأمر بالذكر بالكثرة والشدة ، لشدة حاجة العبد اليه وعدم استغنائه عنه طرفة عين فأى لحظة خلا فيها العبد عن ذكر الله عز وجل كانت عليه لا له وكان خسرانه فيها أعظم مما ربح لم غفلته عن الله عز وجل .

وقال بعض العارفين [لو أقبل عبد على الله تعالى كذا وكذا سنة ثم أعرض عنه لحظة لكان مافاته أعظم مما حصله]

وذكر البيهقى عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال [مامن ساعة تمر بابن آدم لا يذكر الله تعالى فيها إلا تحسر عليها يوم القيامة] .

وذكر عن معاذ بن جبل يرفعه أيضا [ليس تحسر أهل الجنة على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله عز وجل فيها] .

وعن أم حبيبة زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت قال رسول الله ﷺ [كلام ابن آدم كله عليه لا له إلا أمرا بمعروف أو نهيا عن منكر أو ذكر الله عز وجل]

وعن معاذ بن جبل قال [سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الأعمال أحب إلى الله عز وجل ؟ قال أن تموت ولسانك رطب عن ذكر الله عز وجل]

وقال أبو الدرداء رضى الله تعالى عنه [لكل شىء جلاء . وإن جلاء القلوب ذكر الله عز وجل] .

وذكر البيهقى مرفوعا من حـــديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ . أنه كان يقول [لكل شىء صقالة . وإن صقالة القلوب ذكر الله عز وجل ومامن شىء أنجى من عذاب الله عز وجل من ذكر الله عز وجل قالوا : ولا الجهاد فى سبيل عز وجل ؟ قال ولو أن يضرب بسيفه حتى ينقطع]

ولا ريب أن القلب يصدأ كما يصدأ النحاس والفضة وغيرهما وجلاؤه بالذكر فانه يجلوه حتى يدعه كالمرآة البيضاء فاذا ترك صدىء فاذا ذكر جلاه

وصد القلب بأمرين بالغفلة والذنب وجلاؤه بشيئين بالاستغفار والذكر فمن كانت الغفلة أغلب أوقاته كان الصدأ متراكما على قلبه وصدؤه بحسب غفلته وإذا صدىء القلب لم تنطبع فيه صور المعلومات على ماهى عليه فيرى الباطل فى صورة الحق والحق فى صورة الباطل لأنه لما تراكم عليه الصدأ أظلم فلم تظهر فيه صور الحقائق كما هى عليه فاذا تراكم عليه الصدأ واسود وركبه الران (١) فسد تصوره وإدراكه فلا يقبل حقا ولا ينكر باطلا وهذا

---

(١) قال تعالى (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) روى ابن جرير والترمذى والنسائى . وابن ماجه من طرق عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال [ان العبد اذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء فى قلبه فان تاب منها صقل قلبه وان زاد زادت فذلك قوله تعالى (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون)] وقال الحسن البصرى هو الذنب على الذنب حتى يعمى القلب فيموت .

أعظم عقوبات القلب

وأصل ذلك من الغفلة واتباع الهوى فانهما يطمسان نور القلب ويعميان بصره قال تعالى : (وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا)

فإذا أراد العبد أن يقتدى برجل فلينظر هل هو من أهل الذكر أو من الغافلين وهل الحاكم عليه الهوى أو الوحى فان كان الحاكم عليه هو الهوى وهو من أهل الغفلة كان أمره فرطا ومعنى الفرط قد فسر بالتضييع أى أمره الذى يجب أن يلزمه ويقوم به وبه رشده وفلاحه بالخلاف للحق وكلها أقوال متقاربة

والمقصود أن الله سبحانه وتعالى نهى عن طاعة من جمع هذه الصفات فينبغى للرجل أن ينظر فى شيخه وقدوته ومتبوعه فان وجده كذلك فليبعد منه وإن وجده ممن غلب عليه ذكر الله تعالى عز وجل واتباع السنة وأمره غير مفروط عليه بل هو حازم فى أمره فليستمسك بغرزه ولا فرق بين الحى والميت إلا بالذكر فمثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكر ربه كمثل الحى والميت وفى المسند مرفوعا [أكثروا ذكر الله تعالى حتى يقال مجنون]

وفى الذكر أكثر من مائة فائدة .

(إحداها) أن يطرد الشيطان ويقمعه ويكسره

(الثانية) أنه يرضى الرحمن عز وجل

(الثالثة) أنه يزيل الهم والغم عن القلب

(الرابعة) أنه يجلب للقلب الفرح والسرور والبسط

(الخامسة) أنه يقوى القلب والبدن

(السادسة) أنه ينور الوجه والقلب

(السابعة) أنه يجلب الرزق .

(الثامنة) أنه يكسو الذاكر المهابة والحلاوة والنضرة .

(التاسعة) أنه يورث المحبة التى هى روح الإسلام ، وقطب رحى الدين ومدار السعادة والنجاة وقد جعل الله لكل شىء سببا ، وجعل سبب المحبة دوام الذكر . فمن أراد أن ينال محبة الله عز وجل فليلهج بذكره فان الدرس والمذاكرة كما أنه باب العلم فالذكر باب المحبة وشارعها الأعظم وصراطها الأقوم

(العاشرة) أنه يورث المراقبة حتى يدخله فى باب الإحسان فيعبد الله كأنه يراه ، ولا سبيل للغافل عن الذكر إلى مقام الإحسان ، كما لا سبيل للقاعد إلى الوصول إلى البيت

(الحادية عشرة) أنه يورث الإنابة وهى الرجوع إلى الله عز وجل فمتى أكثر الرجوع إليه بذكره أورثه ذلك رجوعه بقلبه إليه فى كل أحواله فيبقى الله عز وجل مفزعه وملجأه وملاذه ومعاذه وقبلة قلبه ومهربه عند النوازل والبلايا .

(الثانية عشرة) أنه يورث القرب منه فعلى قدر ذكره لله عز وجل يكون قربه منه وعلى قدر غفلته يكون بعده منه

(الثالثة عشرة) أنه يفتح له بابا عظيما من أبواب المعرفة وكلما أكثر من الذكر ازداد من المعرفة

(الرابعة عشرة) أنه يورثه الهيبة لربه عز وجل وإجلاله لشدة استيلائه على قلبه وحضوره مع الله تعالى بخلاف الغافل فان حجاب الهيبة رقيق فى قلبه

(الخامسة عشرة) أنه يورثه ذكر الله تعالى له كما قال تعالى : (فاذكرونى أذكركم) ولو لم يكن فى الذكر إلا هذه وحدها لكفى بها فضلا

وشرفا وقال ﷺ فيما يروى عن ربه تبارك وتعالى من ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ومن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم ٠

(السادسة عشرة) أنه يورثه حياة القلب وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله تعالى روحه يقول الذكر للقلب مثل الماء للسمك فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء

(السابعة عشرة) : أنه قوت القلب والروح فاذا فقد العبد صار بمنزلة الجسم إذا حيل بينه وبين قوته وحضرت شيخ الاسلام ابن تيمية مرة صلى الفجر ثم جلس يذكر الله تعالى إلى قريب من انتصاف النهار ثم التفت إلى وقال هذه غدوتى ولم أتغد ولو لم أتغد الغداء سقت قوتى أو كلاما قريبا من هذا وقال لى مرة لا أترك الذكر إلا بنية إجمام نفسى وإراحتها لأستعد بتلك الراحة لذكر آخر أو كلاما هذا معناه

(الثامنة عشر) أن يورث جلاء القلب من صدئه كما تقدم فى الحديث وكل شىء له صدأ وصدأ القلب الغفلة والهوى وجلاؤه الذكر والتوبة والاستغفار وقد تقدم هذا المعنى

(التاسعة عشر) أنه يحط الخطايا ويذهبها فانه من أعظم الحسنات والحسنات يذهبن السيئات

(العشرون) أنه يزيل الوحشة بين العبد وبين ربه تبارك وتعالى فان الغافل بينه وبين الله عز وجل وحشة لا تزول إلا بالذكر

(الحادية والعشرون) أن يذكر به العبد ربه عز وجل من جلاله وتسبيحه وتحميده ويذكر بصاحبه عند الشدة . فقد روى الإمام أحمد فى المسند عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال [إن ما تذكرون من جلال الله عز وجل من التهليل والتكبير والتحميد يتعاطفن حول العرش لهن دوى كدوى

النحل يذكرن بصاحبهن ، أفلا يحب أحدكم أن يكون له ما يذكر به ؟ ، هذا الحديث أو معناه

(الثانية والعشرون) أن العبد إذا تعرف إلى الله تعالى بذكره في الرخاء عرفه في الشدة وقد جاء أثر معناه ، أن العبد المطيع الذاكر لله تعالى إذا أصابته شدة أو سأل الله تعالى حاجة قالت الملائكة : يا رب صوت معروف من عبد معروف والغافل المعرض عن الله عز وجل إذا دعاه وسأله قالت الملائكة : يارب صوت منكر من عبد منكر

(الثالثة والعشرون) أنه منجى من عذاب الله تعالى كما قال معاذ رضى الله عنه ويروى مرفوعا [ما عمل آدمى عملا أنجى له من عذاب الله عز وجل من ذكر الله تعالى] (١)

(الرابعة والعشرون) أنه سبب تنزل السكينة وغشيان الرحمة وحفوف الملائكة بالذاكر كما أخبر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم

(الخامسة والعشرون) أنه سبب اشتغال اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب والفحش والباطل . فان العبد لابد له من أن يتكلم . فان لم يتكلم بذكر الله تعالى وذكر أوامره تكلم بهذه المحرمات أو بعضها. ولا سبيل إلى السلامة منها ألبتة إلا بذكر الله تعالى . والمشاهدة والتجربة شاهدان بذلك فمن عود لسانه ذكر الله صان لسانه عن الباطل واللغو ومن يبس لسانه عن ذكر الله ترطب بكل باطل ولغو وفحش ولاحول ولا قوة إلا بالله

(السادسة والعشرون) أن مجالس الذكر مجالس الملائكة ومجالس اللغو والغفلة مجالس الشياطين فليتخير العبد أعجبهما إليه وأولاهما به فهو مع أهله في الدنيا والآخرة

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط والصغير عن جابر بن عبد الله ورجال إسنادهما رجال الصحيح ورواه مالك والترمذى عن معاذ

(السابعة والعشرون) أنه يسعد الذاكر بذكره ويسعد به جليسه وهذا هو المبارك أينما كان . والغافل واللاغى يشقى بلغوه وغفلته ويشقى به مجالسه .

(الثامن والعشرون) أنه يؤمن العبد من الحسرة يوم القيامة . فان كل مجلس لا يذكر العبد فيه ربه تعالى كان عليه حسرة وترة يوم القيامة].

(التاسعة والعشرون) أنه مع البكاء فى الخلوة سبب لا ظلال الله تعالى العبد يوم الحر الأكبر فى ظل عرشه . والناس فى حر الشمس قد صهرتهم فى الموقف وهذ الذاكر مستظل بظل عرش الرحمن عز وجل

(الثلاثون) أن الاشتغال به سبب لعطاء الله للذاكر أفضل مايعطى السائلين فنى الحديث عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [قال سبحانه وتعالى من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ماأعطى السائلين]

(الحادية والثلاثون) أنه أيسر العبادات، وهو من أجلها وأفضلها فان حركة اللسان أخف حركات الجوارح وأيسرها ولو تحرك عضو من أعضاء الانسان فى اليوم والليله بقدر حركة لسانه لشق عليه غاية المشقة بل لا يمكنه ذلك .

(الثانيه والثلاثون) أنه غراس الجنة . فقد روى الترمذى فى جامعه من حديث عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [لقيت ليلة أسرى بى إبراهيم الخليل عليه السلام فقال يامحمد أقرىء أمتك السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر] قال الترمذى حديث حسن غريب من حديث ابن مسعود .

وفى الترمذى من حديث أبى الزبير عن جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال [من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة فى الجنة] قال الترمذى حديث حسن صحيح .

﴿ الثالثة والثلاثون ﴾ أن العطاء والفضل الذى رتب عليه لم يرتب على غيره من الأعمال ففى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير فى يوم مائة مرة كانت عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه ومن قال سبحان الله وبحمده فى يوم مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر.

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلى مما طلعت عليه الشمس

وفى الترمذي من حديث أنس أن رسول الله ﷺ قال [من قال حين يصبح أو يمسى اللهم إنى أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك إنك أنت الله لا إله إلا أنت وأن محمدا عبدك ورسولك أعتق الله ربعه] من النار ومن قالها مرتين أعتق الله نصفه من النار ومن قالها ثلاثا أعتق الله ثلاثة أرباعه من النار ومن قالها أربعا أعتقه الله تعالى من النار ، وفيه عن ثوبان أن رسول الله ﷺ قال « من قال حين يمسى وإذا أصبح رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ رسولا كان حقا على الله أن يرضيه

وفى الترمذى من دخل السوق فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شىء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة

(الرابعة والثلاثون) : أن دوام ذكر الرب تبارك وتعالى يوجب الأمان من نسيانه الذى هو سبب شقاء العبد فى معاشه ومعاده فان نسيان الرب سبحانه وتعالى يوجب نسيان نفسه ومصالحها قال تعالى :(وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولئكَ هُمُ الفَاسِقُونَ) .

وإذا نسى العبد نفسه أعرض عن مصالحها ونسيها واشغل عنها ، فهلكت وفسدت ولا بد كمن له زرع أو بستان أو ماشية أو غير ذلك مما صلاحه وفلاحه بتعاهده : والقيام عليه فأهمله ونسيه واشتغل عنه بغيره وضيع مصالحه فانه يفسد ولا بد هذا مع إمكان قيام غيره مقامه فيه فكيف الظن بفساد نفسه وهلاكها وشقائها إذا أهملها ونسيها ، واشتغل عن مصالحها وعطل مراعاتها وترك القيام عليها بما يصلحها ؟ فما شئت من فساد وهلاك وخيبة وحرمان .

وهذا هو الذى صار أمره كله : فانفرط عليه أمره وضاعت مصالحه وأحاطت به أسباب القطوع والخيبه والهلاك ولا سبيل إلى الأمان من ذلك إلا بدوام ذكر الله تعالى واللهج به وأن ولا يزال واللسان رطبا به وأن يتولى منزلة حياته التى لا غنى له عنها ومنزلة غذائه الذى إذا فقده فسد جسمه وهلك وبمنزلة الماء عند شدة العطش وبمنزلة اللباس فى الحر والبرد بمنزلة الكن فى شدة الشتاء والسموم .

فحقيق بالعبد أن ينزل ذكر الله منه بهذه المنزله وأعظم فأين هلاك الروح والقلب وفسادهما من هلاك البدن وفساده هذا هلاك لا بد منه وقد يعقبه صلاح لا بد وأما هلاك القلب والروح فهلاك لا يرجى منه صلاح ولا فلاح ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

ولو لم يكن فى فوائد الذكر وإدامته إلا هذه الفائدة وحدها لكفى

بها . فمن نسى الله تعالى أنساه نفسه فى الدنيا ونسيه فى العذاب يوم القيامة قال تعالى (ومن أعْرَضَ عَنْ ذكْرى فَإنَّ لَهُ مَعيشَةً ضَنْكاً ونَحْشُرُهُ يومَ القيَامَة أعمَى قالَ ربِّ لِمَ حَشَرتَنى أعمَى وقد كنتُ بَصيراً قالَ كذلكَ أتتكَ آيَاتنَا فَنَسيتَها وكَذَلكَ اليومَ تُنْسَى) أى تنسى فى العذاب (١) كما نسيت آياتى فلم تذكرها ولم تعمل بها وإعراضه عن ذكره يتناول إعراضه عن الذكر الذى أنزله ، وهو أن يذكر الذى أنزله فى كتابه وهو المراد بتناول إعراضه عن أن يذكر ربه بكتابه وأسمائه وصفاته وأوامره وآلائه ونعمه فإن هذه كلها توابع إعراضه عن كتاب ربه تعالى .

فان الذكر فى الآية إما مصدر مضاف إلى الفاعل ، أو مضاف إضافة الأسماء المحضة من أعرض عن كتابى ، ولم يتله ولم يتدبره ولم يعمل به ولا فهمه . فان حياته ومعيشته لا تكون إلا مضيقة عليه منكدة معذبا فيها ، والضنك الضيق ، والشدة ، والبلاء ، ووصف المعيشة نفسها بالضنك مبالغة . وفسرت هذه العيشة بعذاب البرزخ . والصحيح أنها تتناول معيشته فى الدنيا وحاله فى البرزخ فانه يكون فى ضنك فى الدارين ، وهو شدة وجهد وضيق ، وفى الآخرة ينسى فى العذاب : وهذا عكس أهل السعادة والفلاح فان حياتهم فى الدنيا أطيب الحياة فى البرزخ ولهم فى الآخرة أفضل الثواب .

قال تعالى : (مَنْ عَمِلَ صَالحًا منْ ذَكَر أو أنثَى وَهُوَ مُؤمنٌ فَلَنُحيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً) فهذا فى الدنيا ثم قال : (ولَنَجزيَنَّهُمْ أجرَهُمْ بأحْسَن مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) فهذا فى البرزخ والآخرة : وقال تعالى : (وَالَّذينَ هَاجَرُوا

(١) أى يترك كالمنسى وتسميته نسيانا من نوع المشاكلة كقوله تعالى : (نسوا الله فنسيهم) والنسيان الحقيق محال على الرب تعالى كما قال حكاية عن رسوله موسى عليه السلام (لا يضل ربى ولا ينسى) .

فى الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم فى الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) . وقال تعالى : (وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمى ويؤت كل ذى فضل فضله) فهذا فى الآخرة وقال تعالى : (قل يا عبادى الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) فهذا أربعة مواضع(١) ذكر الله تعالى فيها أنه يجزى المحسن بإحسانه جزاءين ، جزاء فى الدنيا وجزاء فى الآخرة . فالاحسان له جزاء معجل ولابد والإساءة لها جزاء معجل ولابد ولو لم يكن إلا ما يجازى به المحسن من انشراح صدره وانفساح قلبه وسروره ولذاته بمعاملة ربه عز وجل وطاعته وذكره ونعيم روحه بمحبته (٢) وذكره وفرحه بربه

---

(١) الآية الأولى هى من سورة النحل ٩٧ وقد ذكر المصنف فيها كلا من الجزأين فى موضعه . والثانية هى ٤١ من سورة النحل أيضا وقد كان صدرها فى النسخة الهندية صدر الآية الرابعة التى هى ١١ من سورة الزمر فصححناها والظاهر أن المصنف نبه فيها على كل من الجزأين فى موضعه . والثالثة هى الثالثة من سورة هود وقد حذف من النسخة الهندية جملة جزاء الشرط التى هى جزاء الدنيا وذكر ما عطف عليها وهو جزاء الآخرة مفصولا بينهما بجملة « قال تعالى » فالظاهر أنه قال بعد جملة الجزاء (فهذا فى الدنيا) لأنه قال بعد المعطوف عليها (فهذا فى الآخرة) والرابعة هى ١١ من سورة الزمر وقد تكلم بعدها على الآيات الأربع جملة واحدة

(٢) قد سقط من هنا جواب (لو) وأقله كلمة (لكفى) والأرجح أن المحذوف أكثر من ذلك لما يدل عليه العطف بعده

سبحانه وتعالى أعظم مما يفرح القريب منى السلطان الكريم عليه بسلطانه وما يجازى به المسىء من ضيق الصدر وقسوة القلب وتشتته وظلمته وحزازته وغمه وهمه وحزنه وخوفه (١) وهذا أمر لايكاد من له أدنى حس وحياة يرتاب فيه بل الغموم والهموم والأحزان والضيق عقوبات عاجلة ونار دنيوية وجهنم حاضرة والإقبال على الله تعالى والإنابة إليه والرضاء به وعنه وامتلأ القلب من محبته واللهج بذكره والفرح والسرور بمعرفته ثواب عاجل وجنة وعيش لانسبة لعيش الملوك إليه البتة .

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول : إن فى الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة . وقال لى مرة : ما يصنع أعدائى بى ؟ أنا جنتى وبستانى فى صدرى ، إن رحت فهى معى لا تفارقنى إن حبسى خلوة ، وقتلى شهادة ، وإخراجى من بلدى سياحة وكان يقول : فى محبسه فى القلعة لو بذلت ملء هــذه القلعة ذهبا ما عدل عندى شكر هذه النعمة أو قال ما جزيتهم على ما تسببوا لى فيه من الخير ، ونحو هذا وكان يقول فى سجوده وهو محبوس اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ما شاء الله وقال لى مرة : المحبوس من حبس قلبه عن ربه تعالى والمأسور من أسره هواه ، ولما دخل إلى القلعة وصار داخل سورها نظر إليه وقال : (فضرب بينهم بسور له باب . باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب)

وعلم الله ما رأيت أحداً طيب عيشا منه قط مع ما كان فيه من ضيق

---

(١) سقط من هنا خبر قوله « وما يجازى به المسىء » ويعلم من القرينة فى الجملة .

العيش وخلاف الرفاهية والنعيم بل ضدها ، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشا ، وأشرحهم صدرا ، وأقواهم قلبا ، وأسرهم نفسا تلوح نضرة النعيم على وجهه وكنا إذا اشتد بنا الخوف وساءت منا الظنون وضاقت بنا الأرض أتيناه فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله ، وينقلب انشراحا وقوة ويقينا وطمأنينة . فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه ، وفتح لهم أبوابها فى دار العمل ، فأتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها .

وكان بعض العارفين يقول : لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف .

وقال آخر : مساكين أهل الدنيا خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها قيل : وما أطيب ما فيها قال : محبة الله تعالى ومعرفته وذكره أو نحو هذا .

وقال آخر : إنه لتمر بالقلب أوقات يرقص فيها طربا .

وقال آخر : إنه لتمر بى أوقات أقول : إن كان أهل الجنة فى مثل هذا إنهم لفى عيش طيب .

فمحبة الله تعالى ومعرفته ودوام ذكره والسكون إليه والطمأنينة إليه وافراد بالحب ، والخوف ، والرجاء والتوكل والمعاملة بحيث يكون هو وحده المستولى على هموم العبد وعزماته وإراداته هو جنة الدنيا والنعيم الذى لا يشبهه نعيم ، وهو قرة عين المحبين وحياة العارفين وإنما تقر عيون الناس به على حسب قرة أعينهم بالله عز وجل ، فمن قرت عينه بالله قرت به كل عين ، ومن لم تقر عينه بالله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات وإنما يصدق هذا من فى قلبه حياة ، وأما ميت القلوب فيوحشك ماله ثم ، فاستأنس بغيبته ما أمكنك فانه لا يوحشك إلا حضوره عندك ، فاذا ابتليت به فاعطه ظاهرك ، وترحل عنه بقلبك ، وفارقه بسرك ، ولا تشتغل به عما هو أولى بك .

واعلم أن الحسرة كل الحسرة فى الاشتغال بمن لا يجر عليك الاشتغال إلا فوت نصيبك وحظك من الله عز وجل، وانقطاعك عنه. وضياع وقتك عليك، وشتات قلبك، وضعف عزيمتك وتفرق همك. فإذا بليت بهذا ولا بد لك منه فعامل الله تعالى فيه، واجعل اجتماعك به متجرا لك لا تجعله خسارة وكن معه كرجل سائر فى طريقه عرض له رجل وقفه عن سيره فاجتهد أن تأخذه معك وتسير به فتحمله ولا يحملك. فإن أبى ولم يكن فى سيره مطمع فلا تعق بالوقوف معه الركب ودعه ولا تلتفت إليه فانه قاطع الطريق ولو كان من كان فانج بقلبك وضن بيومك وليلتك لا تغرب عليك الشمس قبل وصل المنزلة فتؤخذ أو يطلع الفجر (١) أنى لك بلحاقهم

(الخامسة والثلاثون): أن الذكر يسير العبد وهو فى فراشه وفى سوقه وفى حال صحته وسقمه وفى حال نعيمه ولذته وليس شيء يعم الأوقات والأحوال مثله حتى أنه يسير العبد وهو نائم على فراشه فيسبق القائم مع الغفلة فيصبح هذا وقد قطع الركب وهو مستلق على فراشه ويصبح ذلك القائم الغافل فى ساقه الركب. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وحكى عن رجل من العباد: أنه نزل برجل ضيفا. فقام العابد ليله يصلى وذلك الرجل مستلق على فراشه. فلما أصبحا قال له العابد سبقك الركب أو كما قال. فقال. ليس الشأن فيمن بات مسافرا وأصبح مع الركب الشأن فى من بات على فراشه وأصبح قد قطع الركب.

وهذا ونحوه له محمل صحيح ومحمل فاسد. فمن حكم على أن الراقد المضطجع على فراشه يسبق القائم القانت فهو باطل وإنما محمله: أن هذا المستلقى على فراشه علق قلبه بربه عز وجل وألصق حبة قلبه بالعرش وبات قلبه يطوف حول العرش مع الملائكة قد غاب عن الدنيا وما فيها. وقد عاقه عن قيام الليل

---

(١) هنا بياض فى الأصل

عائق من وجع أو برد يمنعه عن القيام أو خوف على نفسه من رؤية عدو يطلبه أو غير ذلك من الأعذار فهو مستلق على فراشه وفى قلبه ما الله تعالى به عليم ـ وآخر قائم يصلى ويتلو وفى قلبه من الرياء والعجب وطلب الجاه والمحمدة عند الناس ما الله به عليم أو قلبه فى واد وجسمه فى واد فلا ريب أن ذلك الراقد يصبح وقد سبق هـذا القائم بمراحل كثيرة فالعمل على القلوب لا على الأبدان والمعول على الساكن لا على الاطلال والاعتبار بالمحرك الأول . فالذكر يثير العزم الساكن ويهيج الحب المتوارى ويبعث الطلب الميت

﴿ السادسة والثلاثون ﴾ أن الذكر نور الذاكر فى الدنيا ونور له فى قبره ونور له فى معاده يسعى بين يديه على الصراط فما استنارة القلوب والقبور بمثل ذكر الله تعالى . قال تعالى (أَوَ مَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وجعلناَ له نوراً يَمْشى به فى النَّاس كَمَنْ مَثَلُهُ فى الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ منهاَ ؟) فالأول هو المؤمن استنار بالإيمان بالله ومحبته ومعرفته وذكره والآخر هو الغافل عن الله تعالى المعرض عن ذكره ومحبته والشأن كل الشأن والفلاح كل الفلاح فى النور والشقاء كل الشقاء فى فواته ولهذا كان النبى ﷺ يبالغ فى سؤال ربه تبارك وتعالى حين يسأله أن يجعل فى لحمه وعظامه وعصبه وشعره وبشره وسمعه وبصره ومن فوقه ومن تحته وعن يمينه وعن شماله وخلفه وأمامه حتى يقول « واجعلنى نورا » (١) فسأل ربه تبارك وتعالى أن يجعل النور فى ذواته الظاهرة والباطنة وأن يجعله محيطاً به من جميع جهاته وأن يجعل ذاته وجملته نورا فدين الله عز وجل نور وكتابه نور ورسوله نور وداره التى أعدها لأوليائه نور يتلألأ وهو تبارك وتعالى نور السموات والأرض ومن أسمائه النور وأشرقت الظلمات لنور وجهه وفى دعاء النبى

---

(١) رواه أحمد والبخارى ومسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما

صلى الله عليه وسلم يوم الطائف « أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يحل على غضبك أو ينزل بى سخطك . لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك .

وقال ابن مسعود رضى الله عنه [ليس عند ربكم ليلا ولا نهار ، نور السموات من نور وجهه] : وفى بعض ألفاظ هذا الأثر [نور السموات من نور وجهه] ذكره عثمان الدارمى .

وقد قال تعالى (وأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا) فإذا جاء تبارك وتعالى يوم القيامة للفصل بين عباده أشرقت بنوره الأرض وليس إشراقها يومئذ لشمس ولا قمر . فإن الشمس تكور والقمر يخسف ويذهب نورهما وحجابه تبارك وتعالى النور

قال أبو موسى « قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات فقال إن الله لا ينام وينبغى له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل حجابه النور ، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهت إليه بصره من خلقه (١) » ثم قرأ (أَنْ بُورِكَ مَنْ فِى النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا) فاستنارة ذلك الحجاب بنور وجهه ولولاه لأحرقت سبحات وجهه ونوره ما انتهى إليه بصره

ولهذا لما تجلى تبارك وتعالى للجبل وكشف من الحجاب شيئا يسيرا ساخ الجبل فى الأرض وتدكدك ولم يقم لربه تبارك وتعالى وهـذا معنى قول ابن عباس فى قوله سبحانه وتعالى (لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ) قال « ذلك الله عز وجل إذا تجلى بنوره لم يقم له شىء وهذا من بديع فهمه

---

(١) رواه مسلم وابن ماجه . والسبحات : بضم السين والباء الموحدة

رضى الله تعالى عنه ودقيق فطنته كيف وقد دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعلمه الله التأويل (١) .

فالرب تبارك وتعالى يرى يوم القيامة بالأبصار عيانا ولكن يستحيل إدراك الأبصار له وان رأته فالادراك أمر وراء الرؤية وهذه الشمس - ولله المثل الأعلى - نراها ولا ندركها كما هى عليه ولا قريبا من ذلك ولذلك قال ابن عباس لمن سأله عن الرؤية وأورد عليه (لا تدركه الابصار) فقال [ألست ترى السماء ؟ قال : بلى . قال أفتدركها ؟ قال : لا قال فالله تعالى أعظم وأجل] (٢) .

---

(١) روى البخارى ومسلم ان النبى صلى الله عليه وسلم قال له [اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل] .

(٢) قال الأستاذ إمام وقته السيد محمد رشيد رضا أمطر الله عليه شآبيب رحمته ورضوانه . كان أهل النظر المشتغلون بالفلسفة اليونانية يتأولون جميع الآيات والأحاديث الواردة فى صفات الرب تعالى وينكرون على علماء الأثر الأخذ بظواهرها مع التنزيه والتفويض حتى أن الأشعرية الذين أرادوا أن يكونوا وسطا بين غلاة النظار من الجهمية وغيرهم وبين أهل الحديث كالحنابلة قد بالغ بعضهم فى التأويل حتى صار الخلاف بينهم وبين غلاة النظر لفظيا والباعث لهم على ذلك محاولة تطبيق النصوص على نظريات الفكر التى عدوا الكثير منها قطعيا وليس بقطعى ونحمد الله تعالى أن العلوم الكونية قد نقضت فى هذا العصر أكثر تلك النظريات الفلسفية اليونانية وقربت نصوص الكتاب والسنة من الافهام ومما ثبت بها أخيرا أن هذه الكهربائية التى رأى البشر كثيرا من عجائبها هى الأصل فى تكوين مادة العالم كله وأطوارها وهى نور أو مصدر النور والحركة التى يحدثها النور وإذا كان الخالق البارىء المنزه عن نقص المخلوقات والتى لا يكمل شىء منها إلا به قد حجب عنها بالنور فك

وقد ضرب سبحانه وتعالى النور فى قلب عبده مثلا لا يعقله إلا العالمون فقال سبحانه وتعالى : (اللهُ نُورُ السَّمَوَات والأرض مثَلُ نُوره كَمِشكاة فيها مِصباح المصباحُ فى زُجَاجَة الزُّجَاجَةُ كأنها كَوكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ من شَجَرَة مُبارَكة زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ ولا غَرْبيَّة يكادُ زَيتُهَا يُضيء ولو لم تَمسَسْهُ نارٌ نورٌ على نُور يهدى الله لنُوره من يشاء . ويَضربُ اللهُ الأمثالَ للنَّاس والله بكل شيء عليم) .

قال أبى بن كعب : (مثل نوره فى قلب المسلم) وهذا هو النور الذى أودعه فى قلبه معرفته ومحبته والايمان به وذكره وهو نوره الذى أنزله اليهم فأحياهم به وجعلهم يمشون به بين الناس وأصله فى قلوبهم ثم تقوى مادته فتتزايد حتى يظهر على جوفهم وجوارحهم وأبدانهم وثيابهم ودورهم يبصره من هو من جنسهم وسائر الخلق له منكر فإذا كان يوم القيامة برز ذلك النور وصار بإيمانهم يسعى بين أيديهم فى ظلمة الجسر حتى يقطعوه وهم فيه على حسب قوته وضعفه فى قلوبهم فى الدنيا فمنهم من نوره كالشمس وآخر كالقمر ، وآخر كالنجوم وآخر كالسراج وآخر يعطى نورا على إبهام

أن تفهم أن الكهربائية وما جعلها الله أصلاله من تكوين العالم المادى هى الحجاب المانع من رؤية الرب تعالى فيه كما ورد فى صحيح مسلم مرفوعا [نور أنى أراه] ؟ وان انكشاف هذا الحجاب لا يكون إلا فى الجنة وان انكشافه الذى يوصل أهلها إلى أعلى وأكمل درجات المعرفة به تعالى وهى الرؤية بغير كيف ولا إدراك ولكن مع بقاء حجاب الكبرياء كما ورد فى الصحيح وقد نصر العلم مذهب السلف على تأويلات الخلف ولله الحمد .

قدمه ، يضيء مرة ، ويطفأ أخرى ، إذا كانت هذه حال نوره فى الدنيا فاعطى على الجسر بمقدار ذلك ، بل هو نفس نوره ظهر له عيانا .

ولما لم يكن للمنافق نور ثابت فى الدنيا بل وكان نوره ظاهراً لا باطناأعطى نوراً ظاهرا مآله إلى الظلمة والذهاب .

وضرب الله عز وجل لهذا النور ومحله وحامله ومادته مثلا بالمشكاة ، وهى الكوة فى الحائط فهى مثل الصدر وفى تلك المشكاة زجاجة من أصفى الزجاج حتى شبهت بالكوكب الدرى فى بياضه وصفائه وهى مثل القلب وشبه بالزجاج لأنها جمعت أوصافا هى فى قلب المؤمن ، وهى الصفاء والرقة والصلابة . فيرى الحق والهدى بصفائه ، وتحصل منه الرأفة والرحمة والشفقة برقته ، ويجاهد أعداء الله تعالى ويغلظ عليهم ويشتد فى الحق ويصلب فيه بصلابته ولا تبطل صفة منه صفة أخرى ولا تعارضها بل تساعدها وتعاضدها قال تعالى (أشداء عَلَى الـكُفَّار رُحَمَاءُ بينَهُمْ) وقال تعالى (فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ الله لِنْتَ لهم ولو كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ القَلْب لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) وَقَالَ تعالى (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جاهد الـكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِم) : وفى أثر القلوب [آنية الله فى أرضه فأحبها إليه أرقها وأصلبها وأصفاها]

وبازاء هذا القلب قلبان مذمومان على طرفى نقيض أحدهما قلب حجرى قاس لا رحمة فيه ولا إحسان ولا بر ولا صفاء له يرى به الحق بل هو جبار جاهل لا علم له بالحق ولا رحمة فيه للخلق وبازائه قلب ضعيف مائى ولا قوة فيه ولا استمساك بل يقبل كل صورة وليس له قوة حفظ تلك الصور ولا قوة التأثير فى غيره وكل ما خالطه أثر فيه من قوى وضعيف وطيب وخبيث .

وفى الزجاج مصباح وهو النور الذى فى الفتيلة وهى حاملته ولذلك النور مادة وهو زيت قد عصر من زيتونة فى أعدل الأماكن تصيبها الشمس أول النهار وآخره فزيتها من أصفى الزيت وأبعده من الكدر حتى إنه ليكاد من صفائه يضىء بلا نار فهذه مادة نور المصباح

وكذلك مادة نور المصباح الذى فى قلب المؤمن هو من شجرة الوحى التى هى أعظم الأشياء بركة وأبعدها من الانحراف بل هى أوسط الأمور وأعدلها وأفضلها لم تنحرف انحراف النصرانيه ولا انحراف اليهودية بل هى وسط بين الطرفين المذمومين فى كل شىء فهذه مادة مصباح الإيمان فى قلب المؤمن

ولما كان ذلك الزيت قد اشتد صفاؤه حتى كاد أن يضىء بنفسه ثم خالط النار فاشتدت بها إضاءته وقويت مادة ضوء النارية كان ذلك نورا على نور وهكذا المؤمن قلبه مضىء يكاد يعرف الحق بفطرته وعقله ولكن لا مادة له من نفسه فجاءت مادة الوحى فباشرت قلبه وخالطت بشاشته فازداد نورا بالوحى على نوره الذى فطره الله تعالى عليه فاجتمع له نور الوحى إلى نور الفطرة نور على نور فيكاد ينطق بالحق وإن لم يسمع فيه أثراً ثم يسمع الأثر مطابقا لما شهدت به فطرته فيكون نوراً على نور فهذا شأن المؤمن يدرك الحق بفطرته مجملا ثم يسمع الأثر جاء به مفصلا فينشأ إيمانه عن شهادة الوحى والفطرة فليتأمل اللبيب هذه الآية العظيمة ومطابقتها لهذه المعانى الشريفة

فذكر سبحانه وتعالى نوره فى السموات والأرض ونوره فى قلوب عباده المؤمنين النور المعقول المشهود بالبصائر والقلوب والنور المحسوس المشهود بالأبصار الذى استنارت به أقطار العالم العلوى والسفلى فهما نوران عظيمان وأحدهما أعظم من الآخر وكما أنه إذا فقد أحدهما

من مكان أو موضع لم يعش فيه آدمى ولا غيره . لأن الحيوان إنما يتكون حيث النور . ومواضع الظلمة التى لا يشرق عليها نور لا يعيش فيها حيوان ولا يتكون البتة فكذلك أمة فقد فيها نور الوحى والإيمان ميتة وقلب فقد منه هذا النور ميت ولا بد لا حياة له البتة كما لا حياة للحيوان فى مكان لا نور فيه

والله سبحانه وتعالى يقرن بين الحياة والنور كما فى قوله عز وجل (أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها) وكذلك قوله عز وجل (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا) وقد قيل : إن الضمير فى [جعلناه] عائد إلى [الأمر] وقيل [إلى الكتاب] وقيل : إلى [الإيمان] والصواب أنه عائد إلى [الروح] أى جعلنا ذلك الروح الذى أوحيناه إليك نورا فسماه روحا لما يحصل به من الحياة وجعله نوراً لما يحصل به من الإشراق والإضاءة وهما متلازمان فحيث وجدت هذه الحياة بهذا الروح وجدت الإضاءة والاستنارة وحيث وجدت الاستنارة والإضاءة وجدت الحياة فمن لم يقبل قلبه هذا الروح فهو ميت مظلم كما أن من فارق بدنه روح الحياة فهو هالك مضمحل فلهذا يضرب سبحانه وتعالى المثلين المائى والنارى معا لما يحصل بالماء من الحياة وبالنار من الإشراق والنور كما ضرب ذلك فى أول سورة البقرة فى قوله تعالى (مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون) وقال جل جلاله (ذهب الله بنورهم)

ولم يقل : بنارهم . لأن النار فيها الاحراق والاشراق . فذهب بما فيه من الاضاءة والاشراق وأبقى عليهم ما فيه من الأذى والاحراق .

وكذلك حال المنافقين ذهب نور ايمانهم بالنفاق وبقى فى قلوبهم حرارة الكفر والشكوك والشبهات تغلى فى قلوبهم وقلوبهم قد صليت بحرها وأذاها وسمومها ووهجها فى الدنيا فاصلاها الله تعالى إياها يوم القيامة نارا موقدة تطلع على الأفئدة .

فهذا مثل من لم يصحبه نور الايمان فى الدنيا بل خرج منه وفارقه بعد ان استضاء به وهو حال المنافق عرف ثم أنكر وأقر ثم جحد فهو فى ظلمات أصم أبكم أعمى كما قال تعالى فى حق إخوانهم من الكفار (والذينَ كَذَّبُوا بآياتنا صُمٌّ وبكمٌ فى الظُّلمات) وقال تعالى (ومَثَلُ الذينَ كَفَرُوا كمثَلِ الذى يَنعقُ بما لا يسْمَعُ إلاَّ دُعَاءً ونداء صمٌّ بكْمٌ عُمْيٌ فهم لا يعقلونَ) وشبه تعالى حال المنافقين فى خروجهم من النور بعد أن أضاء لهم بحال مستوقد النار وذهاب نورها عنه بعد أن أضاءت ما حوله لان المنافقين بمخالطتهم المسلمين وصلاتهم معهم وصيامهم معهم وسماعهم القرآن ومشاهدتهم أعلام الإسلام ومناره قد شاهدوا الضوء ورأوا النور عيانا ولهذا قال تعالى فى حقهم (فهم لَايَرجِعُونَ) إليه لأنهم فارقوا الإسلام بعد أن تلبسوا به واستناروا فهم لا يرجعون إليه وقال تعالى فى حق الكفار (فهم لا يعقلون) لأنهم لم يعقلوا الإسلام ولا دخلوا فيه ولا استناروا به بل لا يزالون فى ظلمات الكفر صم بكم عمى .

فسبحان من جعل كلامه لأدواء الصدور شافيا وإلى الإيمان وحقائقه مناديا إلى الحياة الأبدية والنعيم المقيم داعيا وإلى طريق الرشـاد هاديا لقد أسمع منادى الإيمان لو صادف آذانا واعية وشفت مواعظ القرآن لو

وافقت قلوباً خالية ولكن عصفت على القلوب أهوية الشباب والشهوات فأطفأت مصابيحها وتمكنت منها أيدى الغفلة والجهالة فأغلقت أبواب رشدها وأضاعت مفاتيحها ، وران عليها كسبها فلم ينفع فيها الكلام وسكرت بشهوات الغى وشبادة الباطل فلم تصغ بعده إلى الملام ، ووعظت بمواعظ أنكى فيها من الأسنة والسهام . ولكن ماتت فى بحر الجهل والغفلة وأسر الهوى والشهوة وما لجرح بميت إيلام (١) .

والمثل الثانى المائى قوله تعالى (أو كَصَيِّبٍ مِنَ السَّماءِ فيه ظُلُماتٌ ورعْدٌ وبرْقٌ يجعلُونَ أصابعَهُمْ فى آذانهمْ من الصَّواعق حذَرَ الموْتِ واللهُ مُحيط بالكافرينَ) الصيب الذى يصوب من السماء أى ينزل منها بسرعة ، وهو مثل القرآن الذى به حياة القلوب كالمطر الذى به حياة الأرض والنبات والحيوان فأدرك المؤمنون ذلك منه وعلموا ما يحصل به من الحياة لا خطر لها فلم يمنعهم منها ما فيه من الرعد والبرق وهو الوعيد والتهديد والعقوبات والمثلات التى حذر الله بها من خالف أمره ، وأخبره أنه منزلها بمن كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ما فيه من الأوامر الشديدة ، كجهاد الأعداء ، والصبر على الأمر أو الأوامر الشاقة على النفوس التى هى بخلاف إرادتها فهى كالظلمات والرعد والبرق ولكن من علم مواقع الغيث وما يحصل به من الحياة لم يستوحش بما معه من الظلمة والرعد والبرق ، بل يستأنس لذلك ويفرح به لما يرجو من الحياة والخصب . وأما المنافق فإنه عمى قلبه ولم يجاوز بصره الظلمة ولم ير إلا برقا يكاد يخطف البصر ورعدا عظيما وظلمة فاستوحش من ذلك وخاف منه فوضع أصابعه فى أذنيه لئلا يسمع صوت الرعد وهاله مشاهدة ذلك البرق وشدة لمعانه وعظم نوره فهو خائف أن يختطف معه بصره لأن بصره أضعف

---

(١) هنا بياض بالأصل

من أن يثبت معه فهو فى ظلمة يسمع أصوات الرعد القاصف . ويرى ذلك البرق الخاطف فان أضاء له ما بين يديه مشى فى ضوئه . وإن فقد الوضوء قام متحيراً لا يدرى أين يذهب . ولجهله لا يعلم أن ذلك من لوازم الصيب الذى به حياة الأرض والنبات وحياته هو فى نفسه . بل لا يدرك إلا رعدا وبرقا وظلمة ولا شعور له بما وراء ذلك ، فالوحشة لازمة له ، والرعب والفزع لا يفارقه ، وأما من أنس بالصيب وعلم ما يحصل به من الخير والحياة والنفع . وعلم أنه لابد فيه من رعد وبرق وظلمة بسبب الغيم استأنس بذلك ولم يستوحش منه ولم يقطعه ذلك عن أخذه بنصيبه من الصيب .

فهذا مثل مطابق للصيب الذى نزل به جبريل صلى الله عليه وسلم من عند رب العالمين تبارك وتعالى ، على قلب رسول الله ﷺ ليحيي به القلوب والوجود أجمع اقتضت حكمته أن يقارنه من الغيم والرعد والبرق ما يقارن الصيب من الماء حكمة بالغة وأسبابا منتظمة نظمها العزيز الحكيم ،

فكان حظ المنافق من ذلك الصيب سحابه ورعوده وبروقه فقط ، لم يعلم ما وراءه ، فاستوحش بما أنس به المؤمنون وارتاب بما اطمأن به العارفون فبصره فى المثل النارى كبصر الخفاش نحو الظهيرة وسمعه فى المثل المائى كسمع من يموت من صوت الرعد وقد ذكر عن بعض الحيوانات أنها تموت من سمع الرعد .

وإذا صادف هـــذه العقول والأسماع والأبصار شبهات شيطانية وخيالات فاسدة وظنون كاذبة جالت فيها وصالت وقامت بها وقعدت واتسع فيها مجالها وكثر بها قيلها وقالها فملأت الأسماع من هذيانها والأرض من دواوينها وما أكثر المستحبين لهؤلاء والقابلين منهم والقائمين بدعوتهم والمحامين عن حوزتهم والمقاتلين تحت ألويتهم والمكثرين لسوادهم ولعموم البلية بهم وضرر القلوب بكلامهم هتك الله أستارهم

فى كتابه غاية الهتك وكشف أستارهم غاية الكشف . وبين علاماتهم وأعمالهم وأقوالهم ولم يزل عز وجل يقول (ومنهم ومنهم ومنهم) (١) حتى انكشف أمرهم وبانت حقائقهم وظهرت أسرارهم .

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى فى سورة البقرة أوصاف المؤمنين والكفار والمنافقين فذكر فى أوصاف المؤمنين ثلاث آيات وفى أوصاف الكفار آيتين وفى أوصاف هؤلاء بضع عشرة آية لعموم الابتلاء بهم وشدة المصيبة بمخالطتهم فانهم من الجلدة مظهرون الموافقة والمناصرة بخلاف الكافر الذى قد تأبد بالعداوة وأظهر السريرة ودعاك بما أظهره إلى مزايلته ومفارقته . ونظير هذين المثلين المثلان المذكوران فى سورة الرعد فى قوله تعالى : (أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ ماءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِها فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رَابِياً)

فهذا هو المثل المائى شبه الوحى الذى أنزله لحياة القلوب بالماء الذى أنزله من السماء وشبه القلوب الحاملة له بالأودية الحاملة للسيل . فقلب كبير يسع علما عظيما كواد كبير يسع ماء كثيرا وقلب صغير كواد صغير يسع علما قليلا فحملت القلوب من هذا العلم بقدرها كما سالت الأودية بقدرها ولما كانت الأودية ومجارى السيول فيها الغثاء ونحوه مما يمر عليه السيل فيحتمله فيطفو على وجه الماء زبدا عاليا يمر عليه متراكبا ولكن تحته الماء الفرات الذى به حياة الأرض فيقذف الوادى ذلك الغثاء الى جنبتيه حتى لا يبقى منه شىء ويبقى الماء الذى تحت الغثاء يسقى الله تعالى به الأرض فيحيي به البلاد والعباد والشجر والدواب والغثاء يذهب جفاء يجفى ويطرح على شفير الوادى : فكذلك العلم والإيمان الذى أنزله الله فى القلوب فاحتمله : فأثار منها بسبب مخالطته لها ما فيها من غثاء الشهوات وزيد

---

(١) أقرأ سورة براءة فانها تسمى الفاضحة . لانها فضحت المنافقين

الشبهات الباطلة يطفو فى أعلاها . واستقر العلم والإيمان والهدى فى جذر القلب فلا يزال ذلك الغثاء والزبد يذهب جفاء ويزول شيئا فشيئا حتى يزول كله ويبقى العلم النافع والإيمان الخالص فى جذر القلب يرده الناس فيشربون ويسقون ويرعون .

وفى الصحيح من حديث أبى موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال [مثل مابعثنى الله تعالى به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكان منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكان منها طائفة أجادب أمسكت الماء فسقى الناس وزرعوا وأصاب منها طائفة أخرى إنما هى قيعان لاتمسك ماء ولا تنبت كلأ . فذلك مثل من فقه فى دين الله تعالى ونفعه ما بعثنى الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به] .

فجعل النبى ﷺ الناس بالنسبة إلى الهدى والعلم ثلاث طبقات .

(الطبقة الأولى) . ورثة الرسل وخلفاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهم الذين قاموا بالدين علما وعملا ودعوة إلى الله عز وجل ورسوله ﷺ فهؤلاء أتباع الرسل صلوات الله عليهم وسلامه حقا وهم بمنزلة الطائفة الطيبة من الأرض التى زكت فقبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير فزكت فى نفسها وزكا الناس بها وهؤلاء هم الذين جمعوا بين البصيرة فى الدين والقوة على الدعوة ولذلك كانوا ورثة الأنبياء ﷺ الذين قال الله تعالى فيهم (واذكر عبادنا إبراهيم وإسحق ويعقوب أولى الأيدى والابصار) أى البصائر فى دين الله عز وجل . فبالبصائر يدرك الحق ويعرف وبالقوى يتمكن من تبليغه وتنفيذه والدعوة إليه فهذه الطبقة كان لها قوة الحفظ والفهم والفقه فى الدين والبصر فى التأويل ففجرت من النصوص أنهار العلوم واستنبطت منها كنوزها ورزقت فيها فهما خاصا كما قال أمير

المؤمنين على بن أبى طالب وقد سئل : هل خصكم رسول الله ﷺ بشىء دون الناس فقال لا والذى فلق الحبة وبرء النسمة إلا فهما يؤتيه الله عبدا فى كتابه(١) فهذا الفهم هو بمنزلة الكلأ والعشب الكثير الذى أنبته الأرض وهو الذى تميزت به هذه الطبقة الثانية.

فانها حفظت النصوص وكان همها حفظها وضبطها فوردها الناس وتلقوها منهم فاستنبطوا منها واستخرجوا كنوزها واتجروا فيها وبذروها فى أرض قابلة الزرع والنبات ووردوها كل بحسبه (قد علم كل أناس مشربهم) وهؤلاء هم الذين قال فيهم النبى ﷺ نضر الله أمرا سمع مقالتى فوعاها ثم أدركها كما سمعها. فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه (٢)

وهذا عبد الله بن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن مقدار ما سمع من النبى ﷺ لم يبلغ نحو العشرين حديثا الذى يقول فيه سمعت ورأيت وسمع الكثير من الصحابة وبورك فى فهمه والاستنباط منه حتى ملأ الدنيا علما وفقها

قال أبو محمد بن حزم : وجمعت فتاويه فى سبعة أسفار كبار وهى بحسب ما بلغ جامعها وإلا فعلم ابن عباس كالبحر وفقهه واستنباطه وفهمه فى القرآن بالموضع الذى فاق به الناس وقد سمع كما سمعوا وحفظ القرآن كما حفظوا ولكن أرضه كانت من أطيب الاراضى وأقبلها للزرع فبذر فيها النصوص فأنبتت من كل زوج كريم (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)

---

(١) رواه أحمد والبخارى وأبو داود والنسائى عن أبى جحيفة.

(٢) رواه أبو داود والترمذى وابن حبان فى صحيحه عن ابن مسعود وقال الترمذى حسن صحيح و« نضر » بتشديد الضاد وتخفيفها دعاء له بالنضارة وهى النعمة والبهجة والحسن.

وأين تقع فتاوى ابن عباس وتفسيره واستنباطه من فتاوى أبي هريرة وتفسيره ؟ وأبو هريرة أحفظ منه بل هو حافظ الامة على الإطلاق يؤدى الحديث كما سمعه ويدرسه بالليل درسا فكانت همته مصروفة إلى الحفظ وتبليغ ماحفظه كما سمعه وهمة ابن عباس مصروفة إلى التفقه والاستنباط وتفجير النصوص وشق الأنهار منها واستخراج كنوزها وهكذا الناس بعده قسمان :

﴿ قسم حفاظ ﴾ معتنون بالضبط والحفظ والأداء كما سمعوا لا يستنبطون ولا يستخرجون كنوز ماحفظوه

﴿ وقسم معتنون ﴾ بالاستنباط واستخراج الأحكام من النصوص والتفقه فيها ، فالأول كأبي زرعه وأبي حاتم وابن دارة وقبلهم كبندار محمد ابن بشار وعمرو الناقد وعبد الرزاق وقبلهم كمحمد بن جعفر غندر وسعيد بن أبي عروبة وغيرهم من أهل الحفظ والإتقان والضبط لما سمعوه من غير استنباط وتصرف واستخراج الأحكام من ألفاظ النصوص .

﴿ والقسم الثاني ﴾ : كمالك والشافعي والأوزاعي وإسحق والإمام أحمد بن حنبل والبخاري وأبي داود ومحمد بن نصر المروزي وأمثالهم ممن جمع الاستنباط والفقه إلى الرواية فهاتان الطائفتان هما أسعد الخلق بما بعث الله تعالى به رسوله ﷺ وهم الذين قبلوه ورفعوا به رأسا .

(وأما الطائفة الثالثة) وهم أشقى الخلق فهم الذين لم يقبلوا هدى الله ولم يرفعوا به رأسا ولا حفظ لهم ولا فهم ولا رواية ولا دراية ولا دعاية .

(فالطبقة الأولى) أهل رواية ودراية .

(والطبقة الثانية) أهل رواية ورعاية ولهم نصيب من الدراية بل حظهم من الرواية أوفر .

(الطبقة الثالثة) الأشقياء لا رواية ولا دراية ولا رعاية إن هم إلا

كالأنعام بل هم أضل سبيلا فهم الذين يضيقون الديار ، ويغفلون الأسعار إن هم أحدهم إلا بطنه وفرجه فإن ترقت همته كان همه مع ذلك لباسه وزينته فإن ترقت همته فوق ذلك كانت فى الرياسة والانتصار للنفس الغضبية فدار تفعت همته عن نضرة النفس الكلبية إلى نضرة النفس السبعية فلم يعطها أحد من هؤلاء(١) فإن النفوس كلبية وسبعية وملكية فالكلبية تقنع بالعظم والكسرة والجيفة والعذرة والسبعية لا تقنع بذلك بل بقهر النفوس تريد الاستعلاء عليها بالحق والباطل وأما الملكيه فقد ارتفعت عن ذلك وشمرت إلى الرفيق الأعلى فهمتها العلم والإيمان ومحبة الله تعالى والإنابة إليه والطمأنينة به والسكون إليه وإيثار محبته ومرضاته وإنما تأخذ من الدنيا ما تأخذ لتستعين به على الوصول إلى فاطرها وربها ووليها لا لتنقطع به عنه

ضرب سبحانه وتعالى مثلا ثانيا وهو المثل النارى فقال : (ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله) وهذا كالحديد والنحاس والفضة والذهب وغيرها فانها تدخل الكير لتمحص وتخلص من الخبث فيخرج خبثها فيرمى به ويطرح ويبقى خالصها فهو الذى ينفع الناس

ولما ضرب الله سبحانه وتعالى هذين المثلين ذكر حكم من استجاب له ورفع بهداه رأسا وحكم من لم يستجب له ولم يرفع بهداه رأسا فقال (للذين استجابوا لربهم الحسنى . والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما فى الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به . أولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد)

والمقصود أن الله تعالى جعل الحياة حيث النور والموت حيث الظلمة فحياة الوجودين الروحى والجسمى بالنور وهو مادة الحياة كما أنه مادة

---

(١) هذا نص النسخة فليتأمل

الاضاءة فلا حياة بدونه كما لا إضاءة بدونه وكما أنه به حياة القلب فبه انفساحه وانشراحه وسعته كما فى الترمذى عن النبى ﷺ [إذا دخل النور القلب انفسح وانشرح قالوا : وما علامة ذلك ؟ قال : الإنابة إلى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله]

ونور العبد هو الذى يصعد عمله وكلمه إلى تعالى فان الله تعالى لا يصعد إليه من الكلم إلا الطيب وهو نور ومصـــدر عن النور ولا من العمل إلا الصالح ولا من الأرواح إلا الطيبة وهى أرواح المؤمنين التى استنارت بالنور الذى أنزله على رسوله ﷺ والملائكة الذين خلقوا من نور كما فى صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها عن النبى ﷺ قال [خلقت الملائكة من نور وخلقت الشياطين من نار وخلق آدم مما وصف لكم]

فلما كانت مادة الملائكة من نور كانوا هم الذين يعرجون إلى ربهم تبارك وتعالى وكذلك أرواح المؤمنين هى التى تعرج إلى ربها وقت قبض الملائكة لها فيفتح لها باب السماء الدنيا ثم الثانية ثم الثالثة ثم الرابعة إلى أن ينتهى بها إلى السماء السابعة فتوقف بين يدى الله عز وجل ثم يأمر أن يكتب كتابه فى أهل عليين فلما كانت هذه الروح روحا زاكية طيبة نيرة مشرقة صعدت إلى الله عز وجل مع الملائكة وأما الروح المظلمة الخبيثة الكدرة فانها لا تفتح لها أبواب السماء ولا تصعد إلى الله تعالى بل ترد من السماء الدنيا إلى عالمها وتحتقرها لأنها أرضية سفلية والأولى علوية سمائية فرجعت كل روح إلى عنصرها وما هى منه وهذا مبين فى حديث البراء بن عازب الطويل الذى رواه الإمام أحمد وأبو عوانه الاسفرائينى فى صحيحه والحاكم وغيره وهو حديث صحيح (١)

---

(١) ذكره الحافظ المنذرى فى الترغيب والترهيب فى عذاب القبر ج ٤ ص ١٠ عن البراء بن عازب قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولم يلحد فجلس

والمقصود أن الله عز وجل لا يصعد اليه من الاعمال والأقوال والأرواح إلا ما كان منها نورا وأعظم الخلق نورا أقربهم اليه وأكرمهم عليه

وفى المسند من حديث عبد الله بن عمر عن النبى ﷺ [ان الله تعالى خلق خلقه فى ظلمة وألقى عليهم من نوره فمن أصاب من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل فلذلك أقول : جف القلم على علم الله تعالى] وهذا الحديث العظيم أصل من أصول الإيمان وينفتح به باب عظيم من أبواب سر القدر وحكمته والله تعالى الموفق

وهذا النور الذى ألقاه عليهم سبحانه وتعالى هو الذى أحياهم وهداهم فأصاب الفطرة منه حظها ولكن لما لم يستقبل بتمامه وكماله أكمله لهم وأتمه بالروح الذى ألقاه على رسله عليهم الصلاة والسلام والنور الذى أوحاه اليهم فادركته الفطرة بذلك النور السابق الذى حصل لها يوم إلقاء النور فاضاف نور الوحى والنبوة الى نور الفطرة (نُورٌ عَلَى نُور) فأشرقت منه القلوب واستنارت به الوجوه وحييت به الأرواح وأذعنت به الجوارح للطاعات طوعا واختيارا فازدادت به القلوب حياة الى حياتها .

ثم دلها ذلك النور على نور آخر هو أعظم منه وأجل وهو نور الصفات العليا الذى يضمحل فيه كل نور سواه فشاهدته ببصائر الإيمان مشاهدة نسبتها الى القلب نسبة المرئيات الى العين ذلك لاستيلاء اليقين عليها وانكشاف حقائق الإيمان لها حتى كأنها تنظر الى عرش الرحمن تعا .

رسول الله ﷺ وجلسنا حوله - الحديث وهو طويل قال المنذرى: ورواته محتج بهم فى الصحيح

وتعالى بارزا وإلى استوائه عليه كما أخبر به سبحانه وتعالى فى كتابه وكما
أخبر به عنه رسوله صلى الله عليه وسلم يدبر أمر الممالك ويأمر وينهى
ويخلق ويرزق ويميت ويحيي ويقضى وينفذ ويعز ويذل ويقلب الليل والنهار
ويداول الأيام بين الناس ويقلب الدول فيذهب بدولة ويأتى بأخرى
والرسل من الملائكة عليهم السلام بين صاعد إليه بالأمر ونازل من عنده
به وأوامره ومراسمه متعاقبة على تعاقب الآيات نافذة بحسب إرادته فما شاء
كان كما شاء فى الوقت الذى يشاء على الوجه الذى يشاء من غير زيادة ولا
نقصان ولا تقدم ولا تأخر وأمره وسلطانه نافذ فى السموات وأقطارها
وفى الأرض وما عليها وما تحتها وفى البحار والجو وسائر أجزاء العالم
وذواته يقلبها ويصرفها ويحدث فيها ما يشاء وقد أحاط بكل شىء علما
وأحصى كل شىء عددا ووسع كل شىء رحمة وحكمة ووسع سمعه
الأصوات فلا تختلف عليه ولا تشتبه عليه بل يسمع ضجيجها على
اختلاف لغاتها وكثرة حاجاتها ولا يشغله سمع عن سمع ولا تغلطه
كثرة المسائل ولا يتبرم بالحاح ذوى الحاجات وأحاط بصره بجميع
المرئيات فيرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء
فالغيب عنده شهادة والسر عنده علانية يعلم السر وأخفى من السر
فالسر ما انطوى عليه ضمير العبد وخطر بقلبه ولم تتحرك به شفتاه
وأخفى منه ما لم يخطر به بعبد. فيعلم أنه سيخطر بقلبه كذا وكذا فى
وقت كذا وكذا. له الخلق والأمر، وله الملك والحمد، وله الدنيا
والآخرة، وله النعمة، وله الفضل، وله الثناء الحسن له الملك كله وله الحمد
كله وبيده الخير كله، وإليه يرجع الأمر كله، شملت قدرته على كل شىء،
ووسعت رحمته كل شىء وسعت نعمته كل حى (يَسْأَلُهُ مَنْ فى السَّمَوَاتِ
وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فى شأن) يغفر ذنبا ويفرج هما ويكشف كربا

ويجبر كسيراً ، ويغنى فقيراً ، ويعلم جاهلا ، ويهدى ضالا ويرشد حيران ويغيث لهفان ، ويفك عانيا ، ويشبع جائعا ، ويكسو عاريا ، ويشفى مريضا ويعافى مبتلى ، ويقبل تائبا ويجزى محسنا وينصر مظلوما ويقصم جبارا ويقيل عثرة ويستر عورة ويؤمن روعة ويرفع أقواما ويضع آخرين لاينام ولا ينبغى له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه يمينه ملأى لا تغيضها نفقة . سحاء الليل والنهار . أرأيتم ما أنفق منذ خلق الخلق ؟ فإنه لم يغض ما فى يمينه قلوب العباد ونواصيهم بيده وأزمة الأمور معقودة بقضائه وقدره الأرض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه يقبض سمواته كلها بيده الكريمة والأرض باليد الأخرى ثم يهزهن ثم يقول أنا الملك أنا الملك أنا الذى بدأت الدنيا ولم تكن شيئا وأنا الذى أعيدها كما بدأتها لا يعاظمه ذنب أن يغفره ولا حاجة يسألها أن يعطيها لو أن أهل سمواته وأهل أرضه وأول خلقه وآخرهم . وإنسهم وجنهم كانوا على أتقى قلب رجل منهم ما زاد ذلك فى ملكه شيئا . ولو أن أول خلقه وآخرهم وإنسهم وجنهم كانوا على أفجر قلب رجل منهم ما نقص ذلك من ملكه شيئا ولو أن أهل سمواته وأهل أرضه وإنسهم وجنهم وحيهم وميتهم ورطبهم ويابسهم قاموا فى صعيد واحد فسألوه فأعطى كلا منهم ما سأله ما نقص ذلك مما عنده مثقال ذرة ولو أن أشجار الأرض كلها من حين وجدت إلى أن تنقضى الدنيا أقلام .

والبحر ووراءه سبعة أبحر تمده من بعده مداد فكتب بتلك الأقلام وذلك المداد افنيت الأقلام ونفذ المداد ولم تنفذ كلمات الخالق تبارك وتعالى وكيف تفنى كلماته جل جلاله ؟ وهى لا بداية لها ولا نهاية والمخلوق له بداية ونهاية فهو أحق بالفناء والنفاد ؟ وكيف يفنى المخلوق غير المخلوق هو

الأول الذى ليس قبله شىء والآخر الذى ليس بعده شىء والظاهر الذى ليس فوقه شىء والباطن الذى ليس دونه شىء تبارك وتعالى أحق من ذكر وأحق من عبد وأحق من حمد وأولى من شكر وأنصر من ابتغى وأرأف من ملك وأجود من سئل وأعفى من قدر وأكرم من قصد وأعدل من انتقم حلمه بعد علمه وعفوه بعد قدرته ومغفرته عن عزته ومنعه عن حكمته وموالاته عن إحسانه ورحمته .

ما للعباد عليه حق واجب كلا ولا سعى لديه ضائع
إن عذبوا فبعدله ، أو نعموا فبفضله وهو الكريم الواسع

هو الملك لا شريك له والفرد فلا ند له والغنى فلا ظهير له والصمد فلا ولد له ولا صاحبة له والعلى فلا شبيه له ولا سمى له كل شىء هالك إلا وجهه وكل مالك زائل إلا ملكه وكل ظل قالص إلا ظله وكل فضل منقطع إلا فضله لن يطاع إلا بإذنه ورحمته ولن يعصى إلا بعلمه وحكمته يطاع فيشكر ويعصى فيتجاوز ويغفر كل نقمة منه عدل وكل نعمة منه فضل أقرب شهيد وأدنى حفيظ حال دون النفوس وأخذ بالنواصى وسجل الآثار وكتب الآجال فالقلوب له مفضية والسر عنده علانية والغيب عنده شهادة عطاؤه كلام وعذابه كلام (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) فاذا أشرقت على القلب أنوار هذه الصفات اضمحل عندها كل نور ووراء هذا ما لا يخطر بالبال ولا تناله عبارة .

والمقصود : أن الذكر ينور القلب والوجه والأعضاء وهو نور العبد فى دنياه وفى البرزخ وفى القيامة .

وعلى حسب نور الإيمان فى قلب العبد تخرج أعماله وأقواله ولها نور وبرهان . حتى ان من المؤمنين من يكون نور أعماله إذا صعدت إلى الله

تبارك وتعالى كنور الشمس . وهكذا نور روحه إذا قدم بها على الله عز وجل وهكذا يكون نوره الساعى بين يديه على الصراط . وهكذا يكون نور وجهه فى القيامة والله تعالى المستعان وعليه الاتكال .

(الخامسة والثلاثون) : أن الذكر رأس الأصول . وطريق عامة الطائفة ومنشور الولاية . فمن فتح له فيه فقد فتح له باب الدخول على الله عز وجل فليتطهر . وليدخل على ربه عز وجل : يجد عنده كل ما يريد فان وجد ربه عز وجل وجد كل شىء وإن فاته ربه عز وجل فاته كل شىء .

(السادسة والثلاثون) : أن فى القلب خلة وفاقة لا يسدها شىء البتة إلا ذكر الله عز وجل فاذا صار الذكر شعار القلب بحيث يكون هو الذاكر بطريق الإصالة واللسان تبع له فهذا هو الذكر الذى يسد الخلة ويغنى الفاقة فيكون صاحبه غنيا بلا مال عزيزا بلا عشيرة مهيبا بلا سلطان فاذا كان غافلا عن ذكر الله عز وجل فهو بضد ذلك فقير مع كثرة ماله ذليل مع سلطانه ، حقير مع كثرة عشيرته

(السابعة والثلاثون) : أن الذكر يجمع المتفرق ويفرق المجتمع ويقرب البعيد ويبعد القريب فيجمع ما تفرق على العبد من قلبه وإرادته وهمومه وعزمه والعذاب كل العذاب فى تفرقها وتشتتها عليه وانفراطها له والحياة والنعيم فى اجتماع قلبه وهمه وعزمه وإرادته

والذكر يفرق ما اجتمع عليه من الهموم والغموم والأحزان والحسرات على موت حظوظه ومطالبه ويفرق أيضا ما اجتمع عليه من ذنوبه وخطاياه وأوزاره حتى تتساقط عنه وتتلاشى وتضمحل ويفرق أيضا ما اجتمع على حربه من جند الشيطان فان إبليس لا يزال يبعث له سرية بعد سرية وكلما كان أقوى طلبا لله سبحانه وتعالى وأشد تعلقا به وإرادة له كانت السرية أكثف وأكثر وأعظم شوكة بحسب ما عند العبد من مواد الخير والإرادة

ولا سبيل إلى تفريق هذا الجمع إلا بدوام الذكر

وأما تقريبه البعيد فانه يقرب إليه الآخرة التى يبعدها منه الشيطان والأمل فلا يزال يلهج بالذكر حتى كأنه قد دخلها وحضرها فحينئذ تصغر فى عينه الدنيا وتعظم فى قلبه الآخرة ويبعد القريب إليه وهى الدنيا التى هى أدنى إليه من الآخرة فان الآخرة متى قربت من قلبه بعدت منه الدنيا ـ كلما قربت هذه مرحلة ولا سبيل إلى هذا إلا بدوام الذكر

(الثامنة والثلاثون) أن الذكر ينبه القلب من نومه ويوقظه من سنته والقلب إذا كان نائما فاتته الأرباح والمتاجر وكان الغالب عليه الخسران فاذا استيقظ وعلم مافاته فى نومته شد المئزر وأحيا بقية عمره واستدرك مافاته ولا تحصل يقظته إلا بالذكر فان الغفلة نوم ثقيل

(التاسعة والثلاثون) أن الذكر شجرة تثمر المعارف والأحوال التى شمر إليها السالكون فلا سبيل إلى نيل ثمارها إلا من شجرة الذكر وكلما عظمت تلك الشجرة ورسخ أصلها كان أعظم لثمرتها فالذكر يثمر المقامات كلها من اليقظة إلى التوحيد

وهو أصل كل مقام وقاعدته التى ينبنى ذلك المقام عليها كما تبنى الحائط على أسها وكما يقوم السقف على حائطه وذلك أن العبد إن لم يستيقظ لم يمكنه قطع منازل السير ولا يستيقظ إلا بالذكر كما تقدم فالغفلة نوم القلب أو موته

(الأربعون) أن الذاكر قريب من مذكوره ومذكوره معه وهذه المعية معية خاصة غير معية العلم والاحاطة العامة فهى معية بالقرب والولاية والمحبة والنصرة والتوفيق كقوله تعالى (إِنَّ اللهَ مَعَ الذِينَ اتَّقَوْا والَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ) (واللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) (وإِنَّ اللهَ لَمَعَ المُحْسِنِينَ) (لا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا) وللذاكر من هذه المعية نصيب وافر. كما فى الحديث

الإلهي « أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه » (١) وفي أثر آخر « أهل ذكري أهل مجالستي ، وأهل شكري أهل زيارتي ، وأهل طاعتي أهل كرامتي وأهل معصيتي لا أقنطهم من رحمتي ، إن تابوا فأنا حبيبهم ، فإني أحب التوابين وأحب المتطهرين . وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من المعايب»

والمعية الحاصلة للذاكر معية لا يشبهها شيء ، وهي أخص من المعية الحاصلة للمحسن والمتقي ، وهي معية لا تدركها العبارة ولا تنالها الصفة . وإنما تعلم بالذوق وهي مزلة أقدام إن لم يصحب العبد فيها تمييز بين القديم والمحدث ، بين الرب والعبد ، بين الخالق والمخلوق ، بين العابد والمعبود ، وإلا وقع في حلول يضاهي به النصارى ، أو اتحاد يضاهي به القائلين بوحدة الوجود ، وأن وجود الرب عين وجود هذه الموجودات ، بل ليس عندهم رب وعبد ، ولا خلق وحق ، بل الرب هو العبد والعبد هو الرب ، والخلق المشبه هو الحق المنزه . تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا .

والمقصود أنه إن لم يكن مع العبد عقيدة صحيحة وإلا فإذا استوى عليه سلطان الذكر وغاب بمذكوره عن ذكره وعن نفسه ولج في باب الحلول والاتحاد ولابد .

(الحادية والأربعون) : أن الذكر يعدل عتق الرقاب ونفقة الأموال والحمل على الخيل في سبيل الله عز وجل ، ويعدل الضرب بالسيف في سبيل الله عز وجل . وقد تقدم أن « من قال في يوم مائة مرة لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزا من الشيطان يومه حتى يمسي » الحديث .

وذكر ابن أبي الدنيا عن الأعمش عن سالم بن أبي الجعد قال : قيل لأبي

---

(١) رواه البخاري عن أبي هريرة

الدرداء : إن رجلا أعتق مائة نسمة . قال : « إن مائة نسمة من مال رجل كثير . وأفضل من ذلك وأفضله إيمان ملزوم بالليل والنهار ، وأن لايزال لسان أحدكم رطبا لذكرالله عز وجل » .

وقال ابن مسعود : « لأن أسبح الله تعالى تسبيحات أحب إلى من أن أنفق عددهن دنانير فى سبيل الله عز وجل » .

وجلس عبد الله بن عمرو . وعبد الله بن مسعود فقال عبد الله : « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، أحب إلى من أن أنفق عددهن دنانير فى سبيل الله عز وجل » فقال عبد الله بن عمرو : « لأن أجد فى طريق فأقولهن أحب إلى من أن أحمل عددهن على الخيل فى سبيل الله عز وجل » .

وقد تقدم حديث أبى الدرداء . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من إنفاق الورق والذهب وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : اذكروا الله] رواه ابن ماجه والترمذى وقال الحاكم : صحيح الإسناد

(الثانية والأربعون) : أن الذكر رأس الشكر فما شكر الله تعالى من لم يذكره وذكر البيهقى عن زيد بن أسلم [أن موسى عليه السلام قال : رب قد أنعمت على كثيرا . فدلنى على أن أشكرك كثيرا . قال : اذكرنى كثيرا فاذا ذكرتنى كثيرا فقد شكرتنى كثيرا . وإذا نسيتنى فقد كفرتنى] وقد ذكر البيهقى أيضا فى شعب الإيمان عن عبد الله بن سلام قال : قال موسى عليه السلام . (يارب ما الشكر الذى ينبغى لك ؟ فأوحى الله تعالى إليه أن لايزال لسانك رطبا من ذكرى . قال : يارب إنى أكون على حال أجلك أن أذكرك فيها . قال وما هى ؟ قال أكون جنبا أو على الغائط أو إذا بلت

فقال : وإن كان . قال : يا رب فما أقول ؟ قال تقول سبحانك وبحمدك . وجنبنى الأذى . وسبحانك وبحمدك فقنى الأذى]

قلت : قالت عائشة (كان رسول الله ﷺ يذكر الله تعالى على كل أحيانه ، ولم تستثن حالة من حالة . وهذا يدل على أنه كان يذكر ربه تعالى فى حال طهارته وجنابته وأما فى حال التخلى فلم يكن يشاهده أحد يحكى عنه . ولكن شرع لأمته من الأذكار قبل التخلى وبعده ما يدل على مزيد الاعتناء بالذكر وأنه لايخل به عند قضاء الحاجة وبعدها وكذلك شرع للأمة من الذكر عند الجماع أن يقول أحدهم « بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا) (١) وأما عند نفس قضاء الحاجة وجماع الأهل فلا ريب أنه لا يكره بالقلب لأنه لابد لقلبه من ذكر ولا يمكنه صرف قلبه عن ذكر من هو أحب شىء إليه فلو كلف القلب نسيانه لكان تكليفه بالمحال كما قال القائل :

يراد من القلب نسيانكم * وتأبى الطباع على الناقل

فأما الذكر باللسان على هذه الحالة فليس مما شرع لنا ولا ندبنا إليه رسول الله ﷺ ولا نقل عن أحد من الصحابة رضى الله عنهم وقال عبد الله بن أبى الهذيل (إن الله تعالى ليحب أن يذكر فى السوق ويحب أن يذكر على كل حال إلا على الخلاء ويكفى فى هذه الحال استشعار الحياء والمراقبة والنعمة عليه فى هذه الحالة وهى من أجل الذكر : فذكر كل حال بحسب ما يليق بها واللائق بهذه الحال التقنع بثوب الحياء من الله تعالى وإجلاله وذكر نعمته عليه وإحسانه إليه فى إخراج هذا العدو المؤذى له الذى لو بقى فيه لقتله فالنعمة فى تيسير خروجه كالنعمة فى التغذى به .

---

(١) عن ابن عباس رضى الله عنهما (لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتى أهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فانه إن قضى بينهما ولد من ذلك لم يضره الشيطان) رواه البخارى ومسلم وأحمد وأصحاب السنن الاربعة

وكان على بن أبى طالب إذا خرج من الخلاء مسح بطنه وقال [يالها نعمة لو يعلم الناس قدرها] وكان بعض السلف يقول [الحمد لله الذى أذاقنى لذة وأبقى فى منفعته وأذهب عنى مضرته] وكذلك ذكره حال الجماع ذكر هذه النعمة التى من بها على . وهى أجل نعم الدنيا . فاذا ذكر نعمة الله تعالى عليه بها هاج من قلبه هائج الشكر فالذكر رأس الشكر .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم لمعاذ [والله يامعاذ انى لأحبك] فلا تنس أن تقول دبر كل صلاة اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك](١) فجمع بين الذكر والشكر كما جمع سبحانه وتعالى بينهما فى قوله تعالى (فَاذْكُرُونى أذْكُرْكُمْ واشْكُرُوا لى ولاَ تَكْفُرُون) فالذكر والشكر جماع السعادة والفلاح .

(الثالثة والأربعون) أن أكرم الخلق على الله تعالى من المتقين من لايزال لسانه رطبا بذكره فانه أتقاه فى أمره ونهيه وجعل ذكره شعاره فالتقوى أوجبت له دخول الجنة والنجاة من النار وهذا هو الثواب والأجر . والذكر يوجب له القرب من الله عز وجل والزلفى لديه وهذه هى المنزلة .

وعمال الآخرة على قسمين منهم من يعمل على الاجر والثواب ومنهم من يعمل على المنزلة والدرجة فهو ينافس غيره فى الوسيله والمنزلة عند الله تعالى ويسابق إلى القرب منه وقد ذكر الله تعالى النوعين فى سورة الحديد فى قوله تعالى (إنَّ المُصَدِّقِينَ والمُصَدِّقَات وَأقْرَضُوا اللهَ قَرضاً حَسَناً يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُم أجرٌ كَرِيم) فهؤلاء أصحاب الاجور والثواب ثم قال (والَّذِينَ آمَنُوا بالله وَرُسُله أولئكَ هم الصِّدِّيقُونَ) فهؤلاء أصحاب المنزلة

(١) رواه أبو داود والنسائى

والقرب ثم قال (وَالشُّهَدَاء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم) فقيل هذا عطف على الخبر من (الَّذِينَ آمَنُوا بالله وَرُسُلِه) أخبرهم عنهم بأنهم هم الصديقون وأنهم الشهداء الذين يشهدون على الأمم ثم أخبر عنهم أن لهم أجرا وهو قوله تعالى : (لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ) فيكون قد أخبر عنهم بأربعة أمور أنهم صديقون وشهداء فهذه هى المرتبة والمنزلة وقيل تم الكلام عند قوله تعالى . (الصِّدِّيقُونَ) ثم ذكر بعد ذلك حال الشهداء فقال (والشُّهَدَاء عِنْدَ رَبِّهِم لَهُمْ أَجْرُهُم وَنُورُهُم) فيكون قد ذكر المتصدقين أهل البر والإحسان ثم المؤمنين الذين قد رسخ الايمان فى قلوبهم وامتلأ وامته فهم الصديقون وهم أهل العلم والعمل والأولون أهل البر والاحسان ولكن هؤلاء أكمل صديقية منهم ثم ذكر الشهداء وأنه تعالى يجرى عليهم رزقهم ونورهم لأنهم لما بذلوا أنفسهم لله تعالى أثابهم الله تعالى عليها أن جعلهم أحياء عنده يرزقون فيجرى عليهم رزقهم ونورهم فهؤلاء السعداء .

ثم ذكر الاشقياء فقال (والَّذِينَ كَفَرُوا وكَذَّبوا بآياتنا أولئكَ أصحابُ الْجَحِيم)

والمقصود أنه سبحانه وتعالى ذكر أصحاب الأجور واصحاب المراتب وهذان الأمران هما اللذان وعدهما فرعون السحرة إن غلبوا موسى عليه الصلاة والسلام فقالوا (إنَّ لَنَا لأجرًا إنْ كُنَّا نَحنُ الغَالبينَ قالَ نَعَمْ وإنَّكُم لمِنَ الْمُقَرَّبينَ) أجمع لكم بين الأجر والمنزلة عندى والقرب منى فالعمال عملوا على الاجور والعارفون عملوا على المراتب والمنزلة والزلفى عند الله وأعمال هؤلاء القلبية أكثر من أعمال أولئك وأعمال أولئك

البدنية قد تكون أكثر من أعمال هؤلاء . وذكر البيهق عن محمد بن كعب القرظي رحمه الله تعالى قال : قال (موسى عليه السلام يا رب خلقك أكرم عليك ؟ قال الذى لا يزال لسانه رطبا بذكرى . قال يا رب فأى خلقك أعلم قال الذى يلتمس إلى علمه علم غيره ، قال يارب أى خلقك أعدل ؟ قال الذى يقضى على نفسه كما يقضى على الناس قال يا رب أى خلقك أعظم ذنبا ؟ قال الذى يتهمنى قال يا رب وهل يتهمك أحـــد قال الذى يستخيرنى ولا يرضى بقضائى)

وذكرنى أيضا عن ابن عباس قال (لما وفد موسى عليه السلام إلى طور سيناء قال يارب أى عبادك أحب إليك قال الذى يذكرنى ولا ينسانى)

وقال كعب (قال موسى عليه السلام يارب أقريب أنت فأناجيك أم بعيد فأناديكَ ؟ فقال تعالى يا موسى أنا جليس من ذكرنى قال إنى أكون على حال أجلك عنها قال ما هى يا موسى ؟ قال عند الغائط والجنابة قال اذكرنى على كل حال) وقال عبيـــد بن عمير : تسبيحة بحمد الله فى صحيفة مؤمن خير له من جبال الدنيا تجرى معه ذهبا وقال الحسن (إذا كان يوم القيامة نادى مناد سيعلم الجمع من أولى بالكرم أين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون ؟ قال فيقومون فيتخطون رقاب الناس قال ثم ينادى مناد سيعلم أهل الجمع من أولى بالكرم أين الذين كانت (لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عن ذكر الله) ؟ قال فيقومون فيتخطون رقاب الناس قال ثم ينادى مناد سيعلم أهل الجمع من أولى بالكرم أين الحمادون لله على كل حال ؟ قال : فيقومون وهم كثير . ثم يكون التنعيم والحساب فيمن بقى) (١) وأتى

---

(١) روى القطعة الاولى منه التى فى قيام الليل ـ البيهقى عن أسماء بنت يزيد عن النبي ﷺ وذكرها الحافظ بن كثير فى تفسير الآية من سورة السجدة

رجل أبا مسلم الخولانى فقال له أوصنى يا أبا مسلم قال أذكر الله تعالى تحت شجرة كل ومدرة فقال زدنى فقال اذكر الله تعالى حتى يحسبك الناس من ذكر الله تعالى مجنونا قال وكان أبو مسلم يكثر ذكر الله تعالى فرآه رجل يذكر الله تعالى فقال أمجنون صاحبكم هذا ؟ فسمعه أبو مسلم فقال ليس هذا بالجنون ياابن أخى ولكن هذا دواء الجنون

(السادسة والأربعون) (١) أن فى القلب قسوة لا يذيبها إلا ذكر الله تعالى فينبغى للعبد أن يداوى قسوة قلبه بذكر الله تعالى وذكر حماد بن زيد عن المعلى بن زياد أن رجلا قال للحسن يا أبا سعيد أشكو اليك قسوة قلبي قال أذبه بالذكر ، وهذا لأن القلب كلما اشتدت به الغفلة اشتدت به القسوة . فاذا ذكر الله تعالى ذابت تلك القسوة كما يذوب الرصاص فى النار فما أذيبت قسوة القلوب بمثل ذكر الله عز وجل

(السابعة والاربعون) أن الذكر شفاء القلب ودواؤه والغفلة مرضه فالقلوب مريضة ودواؤها وشفاؤها ذكر الله تعالى قال مكحول [ذكر الله تعالى شفاء وذكر] الناس داء وذكر البيهقى عن مكحول مرفوعا مرسلا (٢) [ذكرته شفاء وعافاها فاذا غفلت عنه انتكست] كما قيل :

إذا مرضنا تداوينا بذكركم فنترك الذكر أحيانا فننتكس

(الثامنة والأربعون) أن الذكر أصل موالاة الله عز وجل ورأسها والغفلة أصل معاداته ورأسها فان العبد لا يزال يذكر ربه عز وجل حتى يحبه فيواليه . ولا يزال يغفل عنه حتى يبغضه فيعاديه قال الأوزاعى قال :

عن ابن أبى حاتم بسنده إلى أسماء

(١) حصل غلط فى عد فوائد الذكر واستدرك هنا

(٢) سقط هنا كلام ولعله « إن القلوب إذا مرضت وذكرته شفاها »

حسان بن عطيه « ما عادى عبد ربه بشىء أشد عليه من أن يكره ذكره أو من يذكره » فهذه المعاداة سببها الغفلة ولا تزال بالعبد حتى يكره ذكر الله ويكره من يذكره فحينئذ يتخذه الله عدوا كما اتخذ الذاكر وليا .

(التاسعة والأربعون) أنه ما استجلبت نعم الله عز وجل واستدفعت نقمه بمثل ذكر الله تعالى . فالذكر جلاب للنعم دفاع للنقم قال الله سبحانه وتعالى (إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا) وفى القراءة الأخرى (إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ) فدفعه ودفاعه عنهم بحسب قوة إيمانهم وكماله . ومادة الإيمان وقوته بذكر الله تعالى فمن كان أكمل إيمانا وأكثر ذكرا كان دفع الله تعالى عنه ودفاعه أعظم ومن نقص نقص ذكرا بذكر ونسيانا بنسيان . وقال سبحانه وتعالى (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) والذكر رأس الشكر كما تقدم والشكر جلاب النعم وموجب للمزيد قال بعض السلف رحمة الله عليهم « ما أقبح الغفلة عن ذكر من لا يغفل عن برك »

(الخمسون) أن الذكر يوجب صلاة الله عز وجل وملائكته على الذاكر ومن صلى الله تعالى عليه وملائكته فقد أفلح كل الفلاح وفاز كل الفوز . قال سبحانه وتعالى (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا) فهذه الصلاة منه تبارك وتعالى ومن ملائكته إنما هى سبب الاخراج لهم من الظلمات إلى النور وإذا حصلت لهم صلاة من الله تبارك وتعالى وملائكته وأخرجوهم من الظلمات إلى النور فأى خير لم يحصل لهم ؟ وأى شر لم يندفع عنهم ؟ فياحسرة الغافلين عن ربهم ماذا حرموا من خيره وفضله وبالله التوفيق

(الحادية والخمسون) : أن من شاء أن يسكن رياض الجنة فى الدنيا فليستوطن مجالس الذكر فانها رياض الجنة وقد ذكر ابن أبى الدنيا وغيره من حديث جابر بن عبد الله قال . خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس ارتعوا فى رياض الجنة قلنا يارسول الله وما رياض الجنة ؟ قال مجالس الذكر ثم قال . اغدوا وروحوا واذكروا فمن كان يحب أن يعلم منزلته عند الله تعالى فلينظر كيف منزلة الله تعالى عنده فان الله تعالى ينزل العبد من حيث أنزله العبد من نفسه »

(الثانية والخمسون) أن مجالس الذكر مجالس الملائكة فليس من مجالس الدنيا لهم مجلس إلا مجلس يذكر الله تعالى فيه كما أخرجا فى الصحيحين من حديث الأعمش عن أبى صالح (١) عن أبى هريرة قال . قال رسول الله ﷺ إن لله ملائكة فضلا عن كتاب الناس (٢) يطوفون فى الطرق يلتمسون أهل الذكر فاذا وجدوا قوما يذكرون الله تعالى تنادوا . هلموا إلى حاجتكم قال

---

(١) انما رواه من هذا الطريق البخارى وأما مسلم فرواه من طريق وهيب عن سهيل عن أبى هريرة

(٢) قال الأستاذ الامام السيد رشيد رضا رحمه الله ورضى عنه فى صحيح مسلم « سيارة فضلا » وليس فيه عن كتاب الناس ولا فى البخارى وليس فى هذا « سيارة فضلا » أيضا ولكن فى رواية الاسماعيلى له لفظة «فضلا» فقط وهى بضمتين والثالث القاضى عياض فى شرحهما لمسلم . وروى فضلا . قال العلماء ومعناه على جميع الروايات أنهم ملائكة زائدون على الحفظ وغيرهم من المرتبين مع الخلائق فالظاهر مما فى النسخة الهندية من زيادة عن كتاب الناس أنها تفسير للفضل أدرج فى الأصل غلطا وربما كان فى الأصل ما يبين ذلك فسقط عند النسخ أو الطبع وكان فى الحديث أغلاط أخرى فى النسخة صححناها على رواية البخارى

فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا قال فيسألهم ربهم تعالى وهو أعلم بهم (١) مايقول عبادى ؟ قال يقولون يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك : قال : فيقول هل رأونى قال فيقولون لا والله مارأوك قال فيقول كيف لو رأونى قال فيقولون لورأوك كانوا أشد لك عبادة ، وأشد لك تحميدا وتمجيدا وأكثر لك تسبيحا قال : فيقول : ما يسألونى قال يسألونك الجنة قال : يقول وهل رأوها قال يقولون لا والله يارب ما رأوها ، قال فيقول : فكيف لو أنهم رأوها قال يقولون لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصا ، وأشد لها طلبا وأعظم فيها رغبة فيقول فمم يتعوذون ؟ قال يقولون من النار قال : يقول وهل رأوها ؟ قال يقولون لاوالله يارب مارأوها .قال يقول فكيف لورأوها ؟ قال يقولون لو رأوها كانوا أشد منها فرارا ، وأشد لها مخافة. قال يقول فأشهدكم أنى قد غفرت لهم . فيقول ملك من الملائكة . فيهم فلان ، ليس منهم إنما جاء لحاجة قال هم الجلساء لايشقى بهم جليسهم » (٢)

فهذا من بركتهم على نفوسهم وعلى جليسهم فلهم نصيب من قوله(وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أينما كُنتُ)فهذا المؤمن مبارك أين ما حل ، والفاجر مشؤم أين حل ، فمجالس الذكر مجالس الملائكة و مجالس الغفلة مجالس الشياطين . وكل مضاف إلى شكله وأشباهه وكل امرىء يصير الى ماينا سبه .

(الثالثه والخمسون) أن الله عز وجل يباهى بالذاكرين ملائكته كما روى مسلم فى صحيحة عن أبى سعيد الخدرى قال خرج معاوية على حلقة فى المسجد فقال ماأجلسكم قالوا جلسنا نذكر الله تعالى قال والله ما أجلسكم إلا ذاك قالوا والله ما أجلسنا إلا ذاك قال

---

(١) أى بالذاكرين وفى رواية منهم أى من الملائكة

(٢) وفى رواية مسلم هم القوم لا يشقى جليسهم

أما انى لم استحلفكم تهمة لكم وما كان أحد بمنزلتى من رسول الله ﷺ أقل عنه حديثا منى . وإن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال : [ما أجلسكم قالوا جلسنا نذكر الله تعالى ونحمده على ماهدانا للاسلام ومن علينا بك قال الله ماأجلسكم إلا ذاك قالوا والله ماأجلسنا إلا ذاك . قال أما إنى لم أستحلفكم تهمة لكم ولكنه أتانى جبريل فأخبرنى أن الله تبارك وتعالى يباهى بكم الملائكة] .

فهذه المباهاة من الرب تبارك وتعالى دليل على شرف الذكر عنده ومحبته له وأن له مزية على غيره من الأعمال .

(الرابعة والخمسون) أن مدمن الذكر يدخل الجنة وهو يضحك لما ذكره ابن أبى الدنيا عن عبد الرحمن بن مهدى عن معاوية بن صالح عن عبد الرحمن أبن جبير بن نفير الحضرمى عن أبيه عن أبى الدرداء قال [الذين لاتزال ألسنتهم رطبة من ذكر الله عز وجل يدخل أحدهم الجنة وهو يضحك] .

(الخامسة والخمسون) أن جميع الأعمال إنما شرعت إقامة لذكر الله تعالى فالمقصود بها تحصيل ذكر الله تعالى قال سبحانه وتعالى (وأقم الصَّلَاةَ لذكْرى) قيل المصدر مضاف إلى الفاعل أى لأذكرك بها وقيل مضاف إلى المذكور أى لتذكرنى بها واللام على هذا لام التعليل وقيل هى اللام الوقتية أى أقم الصلاة عند ذكرى كقوله (أقم الصَّلَاةَ لدُلُوك الشَّمْس) وقوله تعالى (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ) وهذا المعنى براد بالآية لكن تفسيرها به يجعل معناها فيه نظر لان هذه اللام الوقتية يليها أسماء الزمان والظروف والذكر مصدر الا أن يقدر زمان محذوف أى عند وقت ذكرى وهذا محتمل والأظهر انها لام التعليل أى

أقم الصلاة لأجل ذكرى ويلزم من هذا أن تكون إقامتها عند ذكره وإذا ذكر العبد ربه فذكر الله تعالى سابق على ذكره فانه لما ذكره ألهمه ذكره فالمعانى الثلاثة حق .

وقال سبحانه وتعالى : (أُتْلُ مَاأُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ الكِتَابِ وأقم الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الفَحْشَاءِ والمُنكَرِ ولَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ) فقيل المعنى أنكم فى الصلاة تذكرون الله وهو ذاكر من ذكره ولذكر الله تعالى إياكم أكبر من ذكركم إياه . وهذا يروى عن ابن عباس . وسلمان . وأبى الدرداء وابن مسعود رضى الله عنهم .

وذكر ابن أبى الدنيا عن فضل بن مرزوق عن عطية (وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ) قال هو قوله تعالى (فَاذْكُرُونِى أَذْكُرْكُمْ) فذكر الله تعالى لكم أكبر من ذكركم إياه وقال ابن زيد وقتاده معناه ولذكر الله أكبر من كل شىء

وقيل لسلمان أى الأعمال أفضل ؟ فقال اما تقرأ القرآن (ولَذِكر الله أكبر) .

ويشهد لهذا حديث أبى الدرداء المتقدم [ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق] الحديث .

وكان شيخ الإسلام أبوا العباس قدس الله روحه يقول الصحيح ان معنى الآية ان الصلاة فيها مقصودان عظيمان واحداهما أعظم من الآخر فانها تنهى عن الفحشاء والمنكر وهى مشتملة على ذكر الله تعالى وما فيها من ذكر الله أعظم من نهيها عن الفحشاء والمنكر .

وذكر ابن أبى الدنيا عن ابن عباس أنه سئل أى العمل أفضل ؟ قال [ذكر الله أكبر]

وفى السنن عن عائشة عن النبي ﷺ قال [إنما جعل الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة ورمى الجمار لإقامة ذكر الله تعالى] رواه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن صحيح.

(السادسة والخمسون) ان أفضل أهل كل عمل أكثرهم فيه ذكرا لله عز وجل فأفضل الصوم أكثرهم ذكر الله عز وجل فى صومهم وأفضل المتصدقين أكثرهم ذكرا لله عز وجل. وأفضل الحاج أكثرهم ذكر الله عز وجل. وهكذا سائر الأحوال.

وقد ذكر ابن أبى الدنيا حديثا مرسلا فى ذلك [أن النبي ﷺ سئل أى أهل المسجد خير ؟ قال ، أكثرهم ذكرا لله عز وجل قيل أى أهل الجنازة خير ؟ قال : أكثرهم ذكر الله عز وجل. قيل : فأى المجاهدين خير ؟ قال أكثرهم ذكرا لله عز وجل : فأى الحجاج خير (١) ؟ قال ، أكثرهم ذكرا لله عز وجل. قيل فأى العباد خير ؟ قال أكثرهم ذكرا لله عز وجل]

قال أبو بكر (٢) ذهب الذاكرون بالخير كله.

وقال عبيد بن عمير [إن أعظمكم هذا الليل أن تكابدوه وبخلتم بالمال أن تنفقوه وجبنتم عن العدو أن تقاتلوه فأكثروا من ذكر الله عز وجل]

(السابعة والخمسون) أن إدامته تنوب عن التطوعات وتقوم مقامها سواء كانت بدنية ، أو مالية أو بدنية مالية ، كحج التطوع. وقد جاء ذلك صريحا فى حديث أبى هريرة [أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا يا رسول الله : ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم. يصلون كما نصلى ، ويصومون كما نصوم

---

(١) فى نزل الابرار [وأى العواد خير]

(٢) هو ابن أبى الدنيا مخرج الحديث

ولهم [فضل أموالهم يحجون بها . ويعتمرون ، ويجاهدون . فقال : ألا أعلمكم شـيئا تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم ، ولا أحد يكون أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم قالوا بلى يا رسول الله قال تسبحون ، وتحمدون ، وتكبرون دبر كل صلاة] الحديث متفق عليه

فجعل الذكر عوضا لهم عما فاتهم من الحج والعمرة والجهاد ، وأخبر أنهم يسبقونهم بهذا الذكر ، فلما سمع أهل الدثور بذلك عملوا به ، فازدادوا إلى صدقاتهم وعبادتهم بما لهم التعبد بهذا الذكر فحازوا الفضيلتين فنفسهم الفقراء وأخبروا رسول الله صـلى الله عليه وسلم بأنهم قد شاركوهم فى ذلك وانفردوا عنهم بما لا قدرة لهم عليه فقال [ذلك فضل يؤتيه من يشاء]

وفى حديث عبد الله بن بسر قال . [جاء أعرابى ، فقال يا رسول الله : كثرت على خلال الإسلام وشرائعه فأخبرنى بأمر جامع يكفينى ؟ قال عليك بذكر الله تعالى قال ويكفينى يا رسول الله قال نعم ويفضل عنك] (١) فدله الناصح الأمين صلى الله عليه وآله وسلم على شىء يعينه على شرائع الإسلام والحرص عليها والاستكثار منها فانه إذا اتخذ ذكر الله تعالى شعاره أحبه وأحب ما يحب ، فلا شىء أحب إليه من التقرب إليه بشرائع الإسلام فدله صلى الله عليه وسلم على ما يتمكن به من شرائع الإسلام وتسهل به عليه وهو ذكر الله عز وجل يوضحه

(الثامنة والخمسون) أن ذكر الله عز وجل من أكبر العون على

---

(١) وفى رواية بلفظ [أن رجلا قال يا رسول الله ان شرائع الإسلام قد كثرت على فاخبرنى بشىء أتشبث به قال لا يزال لسانك رطبا بذكر الله] رواه الترمذى وقال حسن غريب .

طاعته فانه يحببها إلى العبد ويسهلها عليه ، ويلذذها له . ويجعل قرة عينه فيها ونعيمه وسروره بها ، بحيث لا يجد من الكلفة والمشقة والثقل ما يجد الغافل والتجربه شاهدة بذلك يوضحه .

(التاسعة والخمسون) أن ذكر الله عز وجل يسهل الصعب ، وييسر العسير ويخفف المشاق فما ذكر الله عز وجل على صعب إلا هان ولا على عسير إلا تيسر ولا مشقة إلا خفت ولا شدة إلا زالت ولا كربة إلا انفرجت فذكر الله تعالى هو الفرج بعد الشـــدة واليسر بعد العسر والفرج بعد الغم والهم يوضحه

(الستون) أن ذكر الله عز وجل يذهب عن القلب مخاوفه كلها وله تأثير عجيب فى حصول الأمن فليس للخائف الذى قد اشتد خوفه أنفع من ذكر الله عز وجل إذ بحسب ذكره يجد الأمن ويزول خوفه حتى كأن المخاوف الذى يجدها أمان له والغافل خائف مع أمنه حتى كأن ما هو فيه من الأمن كله مخاوف ومن له أدنى حسن قد جرب هذا وهذا والله المستعان

(الحادية والستون) أن الذكر يعطى الذاكر قوة حتى أنه ليفعل مع الذكر ما لم يظن فعله بدونه

وقد شاهدت من قوة شيخ الإسلام ابن تيمية فى سننه وكلامه واقدامه وكتابته أمرا عجيبا . فكان يكتب فى اليوم من التصنيف ما يكتبه الناسخ فى جمعة ، وأكثر : وقد شاهد العسكرى من قوته فى الحرب أمرا عظيما . وقد علم النبى صلى الله عليه وسلم ابنته فاطمة وعليا رضى الله تعالى عنهما أن يسبحا كل ليلة إذا أخذا مضاجعهما ثلاثا وثلاثين ويحمدا ثلاثا وثلاثين ويكبرا أربعا وثلاثين ، لما سألته الخادم ، وشكت إليه ما تقاسيه من الطحن والسعى ، والخدمة . فعلمهما ذلك ، وقال « انه خير

لـكما من خادم](١) فقيل : ان من داوم على ذلك وجد قوة فى نومه ، مغنيه عن خادم .

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى يذكر أثرا فى هذا الباب ويقول : إن الملائكة لما أمروا بحمل العرش قالوا يا ربنا كيف نحمل عرشك وعليه عظمتك وجلالك ؟ فقال قولوا لاحول ولا قوة إلا بالله فلما قالوا حملوه ، حتى رأيت ابن أبى الدنيا قد ذكر هذا الأثر بعينه عن الليث ابن سعد عن معاوية بن صالح قال حدثنا مشيختنا أنه بلغهم [أن أول ما خلق الله عز وجل حين كان عرشه على الماء حملة العرش قالوا ربنا لم خلقتنا ؟ قال خلقتكم لحمل عرشى قالوا : ربنا ومن يقوى على حمل عرشك . وعليه عظمتك وجلالك ووقارك ؟ قال لذلك خلقتكم فأعادوا عليه ذلك مرار فقال لهم قولوا لا حول ولا قوة إلا بالله فحملوه]

وهذه الكلمة لها تأثير عجيب فى معاناة الأشغال الصعبة وتحمل المشاق والدخول على الملوك ومن يخاف وركوب الاهوال ولها أيضا تأثير فى رفع الفقر كما روى ابن أبى الدنيا عن الليث بن سعد عن معاوية بن صالح عن أسد ابن وداعة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ [من قال لا حول ولا قوة إلا بالله مائة مرة فى كل يوم لم يصبه فقرا أبدا] وكان حبيب بن سلمة يستحب اذا لقى عدوا أو ناهض حصنا قول (لاحول ولا قوة إلا بالله) وانه ناهض يوما حصنا للروم فانهزم فقالها المسلمون وكبروا فانهدم الحصن

(الثانية والستون) أن عمال الآخرة كلهم فى مضمار السباق والذاكرون هم أسبقهم فى ذلك المضمار ولـكن الفترة والغبار يمنع من رؤية سبقهم فاذا انجلى الغبار وانـكشف رآهم الناس وقد حازوا قصب السبق

---

(١) رواه البخارى

قال الوليد بن مسلم قال محمد بن عجلان سمعت عمر مولى غفرة يقول : « إذا انكشف الغطاء (للناس) يوم القيامة عن ثواب أعمالهم لم يروا عملا أفضل ثوابا من الذكر فيتحسر عند ذلك أقوام فيقولون ما كان شيء أيسر علينا من الذكر »

وقال أبو هريرة . قال رسول الله ﷺ « سيروا سبق المفردون قالوا وما المفردون ؟ قال الذين اهتروا فى ذكر الله تعالى يضع الذكر عنهم أوزارهم » اهتروا بالشيء وفيه أولعوا به ولزموه وجعلوه دأبهم .

وفى بعض ألفاظ الحديث « المستهترون بذكر الله » ومعناه الذين أولعوا به يقال استهتر فلان بكذا إذا ولع به

وفى تفسير آخر أن « اهتروا فى ذكر الله » أى كثروا وهلك أقرانهم وهم فى ذكر الله تعالى يقال أهتر الرجل فهو مهتر إذا سقط فى كلامه من الكبر . « والهتر » السقط من الكلام كانه بقى فى ذكر الله تعالى حتى خرف وأنكر عقله « والهتر » الباطل أيضا ورجل مستهتر إذا كان كثير الأباطيل .

وفى حديث ابن عمر « أعوذ بالله أن أكون من المستهترين »

وحقيقة اللفظة أن (الاستهتار) الإكثار من الشيء والولع به حقا كان أو باطلا . وغلب استعماله على المبطل حتى إذا قيل فلان مستهتر لايفهم منه إلا الباطل وإنما إذا قيد بشيء تقيد به نحو هو مستهتر وقد أهتر فى ذكر الله تعالى أى أولع به وأغرى به يقال استهتر فيه وبه (١) وتفسير

---

(١) قال فى المصباح المنير استهتر اتبع هواه فلا يبالى بما يصنع وقال الزمخشرى فى الفائق بن عمر رضى الله عنه أعوذ بك أن أكون من المستهترين هم السقاط الذين لايبالون ماقيل لهم وما شتموا به اه . والحديث رواه الترمذى والحاكم بلفظ (سبق المفردون المستهترون فى ذكر الله يضع الذكر عنهم أثقالهم فيأتون يوم القيامة خفافا) وسنده صحيح

هذا فى الأثر الآخر (أكثروا ذكر الله تعالى حتى يقال مجنون)

(الثالثة والستون) أن الذكر سبب لتصديق الرب عز وجل عبده فانه أخبر عن الله تعالى بأوصاف كماله ونعوت جلاله فاذا أخبر بها العبد صدقه ربه. ومن صدقه الله تعالى لم يحشر مع الكاذبين ورجى له أن يحشر مع الصادقين.

روى أبو اسحق عن الأعور مسلم(١) أنه شهد على أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى رضى الله عنهما أنهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال [إذا قال العبد : لا إله إلا الله والله أكبر قال : يقول الله تبارك وتعالى صدق عبدى لا إله إلا أنا وأنا أكبر . واذا قال لا إله إلا الله وحده قال صدق عبدى لا إله إلا أنا لا شريك لى واذا قال لا إله إلا الله له الملك وله الحمد قال صدق عبدى لا اله الا أنا لى الملك ولى الحمد وإذا قال : لا إله لا حول ولا قوة إلا بالله قال صدق عبدى لا إله إلا أنا ولا حول ولا قوة إلا بى] قال أبو إسحق ثم قال الآخر شيئا لم أفهمه . قلت لأبى جعفر ما قال قال [من رزقهن عند موته لم تمسه النار].

(الرابعة والستون) أن دور الجنة تبنى بالذكر . فاذا أمسك الذاكر عن الذكر أمسكت الملائكة عن البناء .

ذكر ابن أبى الدنيا فى كتابه عن حكيم بن محمد الاخنسى قال [بلغنى ان دور الجنة تبنى بالذكر . فاذا أمسك عن الذكر أمسكوا عن البناء . فيقال لهم فيقولون حتى تأتينا نفقة] .

---

(١) هو مسلم بن كيسان الأعور روى له النسائى عن أبى هريرة وأبى سعيد حديثا فى فضل سبحان الله والحمد لله والله اكبر ذكره الحافظ المنذرى فى الترغيب والترهيب .

وذكر ابن أبى الدنيا من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ قال (من قال سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم - سبع مرات - بنى له برج فى الجنة)

وكما أن بناءها بالذكر فغراس بساتينها بالذكر ، كما تقدم فى حديث النبى ﷺ عن إبراهيم الخليل عليه السلام (إن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فالذكر غراسها وبناؤها .

وذكر ابن أبى الدنيا من حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال أكثروا من غراس الجنة قالوا يا رسول الله وما غرسها ؟ قال ما شاء الله لاحول ولا قوة إلا بالله

(الخامسة والستون) أن الذكر سد بين العبد وبين جهنم . فاذا كانت له إلى جهنم طريق من عمل من الأعمال كان الذكر سداً فى تلك الطريق فاذا كان ذكراً دائماً كاملا كان سداً محكما لا منفذ فيه وإلا فبحسبه

قال عبد العزيز بن أبى رواد كان رجل بالبادية قد اتخذ مسجداً فجعل فى قبلته سبعة أحجار كان إذا قضى صلاته قال يا أحجار أشهدكم أن لا إله إلا الله قال فمرض الرجل فعرج بروحه قال فرأيت فى منامى أنه أمر بى الى النار قال فرأيت حجراً من تلك الأحجار أعرفه قد عظم فسد عنى باباً من أبواب جهنم ثم أتى بى الى الباب الآخر واذا حجر من تلك الأحجار أعرفه قد عظم فسد عنى باباً من أبواب جهنم ، حتى سدت عنى بقية الأحجار أبواب جهنم .

(السادسة والستون) أن الملائكة تستغفر للذاكر كما تستغفر للتائب كما روى حسين المعلم عن عبد الله بن بريدة عن عامر الشعبى عن عبد الله بن عمرو ابن العاص قال (أجد فى كتاب الله المنزل . أن العبد إذا قال الحمد لله قالت الملائكة رب العالمين ، وإذا قال الحمد لله رب العالمين . قالت الملائكة

اللهم اغفر لعبدك . وإذا قال سبحان الله قالت الملائكة وبحمده ، وإذا قال سبحان الله وبحمده قالت الملائكة اللهم اغفر لعبدك وإذا قال لا إله إلا الله قالت الملائكة اللهم اغفر لعبدك)

(السابعة والستون) أن الجبال والقفار تتباهى وتستبشر بمن يذكر الله عز وجل عليها .

قال ابن مسعود (إن الجبل لينادى الجبل باسمه أمر بك اليوم أحد يذكر الله عز وجل ؟ فإذا قال نعم استبشر)

وقال عون بن عبد الله (إن البقاع لينادى بعضها بعضا ياجارتاه أمر بك اليوم أحد يذكر الله ؟ فقائلة نعم وقائلة لا

وقال الأعمش عن مجاهد (ان الجبل لينادى الجبل باسمه يا فلان هل مر بك اليوم ذاكر لله عز وجل ؟ فمن قائل : لاومن قائل نعم)

(الثامنة والستون) أن كثرة ذكر الله عز وجل أمان من النفاق فان المنافقين قليلو الذكر لله عز وجل . قال الله عز وجل فى المنافقين (وَلَاَ يَذْكُرُونَ اللهَ إلَّا قَلِيلاً) وقال كعب (من أكثر ذكر الله عز وجل برىء من النفاق) .

ولهذا والله أعلم ختم الله تعالى سورة المنافقين بقوله تعالى (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوالُكُمْ ولاَ أولادُكم عَنْ ذِكْرِ الله ومَن يَفْعَل ذَلكَ فَأُولئَكَ هم الخاسرون) فإن فى ذلك تحذيرا من فتنة المنافقين الذين غفلوا عن ذكر الله عز وجل ، فوقعوا فى النفاق

وسئل بعض الصحابة رضى الله عنهم عن الخوارج منافقون هم ؟ قال لا المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلا فهذا من علامة النفاق قلة ذكر الله عز وجل

وكثرة ذكره أمان من النفاق . والله عز وجل أكرم من أن يبتلى قلبا ذاكرا بالنفاق . وانما ذلك لقلوب غفلت عن ذكر الله عز وجل

(التاسعة والستون) أن الذكر من بين الأعمال لذة لا يشبهها شيء فلو لم يكن للعبد من ثوابه إلا اللذة الحاصلة الذاكر والنعم الذى يحصل لقلبه لكفى به ولهذا سميت مجالس الذكر رياض الجنة :

قال مالك بن دينار [ماتلذذ المتلذذون بمثل ذكر الله عز وجل] فليس شيء من الأعمال أخف مؤنة منه ولا أعظم لذة ولا أكثر فرحة وابتهاجا للقلب .

(السبعون) أنه يكسوا الوجه نضرة فى الدنيا ونورا فى الآخرة فالذاكرون أنضر الناس وجوها فى الدنيا وأنورهم فى الآخرة .

ومن المراسيل عن النبى صلى الله عليه وسلم قال [من قال كل يوم مائة مرة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير . أتى الله تعالى يوم القيامة ووجهه أشد بياضا من القمر ليلة البدر

(الحادية والسبعون) أن فى دوام الذكر فى الطريق والبيت والحضر والسفر والبقاع تكثيرا لشهود العبد يوم القيامة فان البقعة والدار والجبل والأرض تشهد للذاكر يوم القيامة قال تعالى (إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا وَقَالَ الإِنسَانُ مَالَهَا ؟ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا)

فروى الترمذى فى جامعه من حديث سعيد المقبرى عن أبى هريرة قال قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية [يومئذ تحدث أخبارها] ثم قال أتدرون

ماأخبارها ؟ قالوا . الله ورسوله أعلم . قال [فإن اخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها تقول ، عمل يوم كذا وكذا] قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح

والذاكر لله عز وجل فى سائر البقاع مكثر شهوده ولعلهم أو أكثرهم أن يقبلوا يوم القيامة يوم قيام الاشهاد وأداء الشهادات فيفرح العبد ويغتبط بشهادتهم

(الثانية والسبعون) أن فى الاشتغال بالذكر اشتغالا عن الكلام الباطل من الغيبة والنميمة واللغو ومدح الناس وذمهم وغير ذلك فان اللسان لا يسكت البتة فاما لسان ذاكر وإما لسان لاغ ولا بد من أحدهما فهى النفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل وهو القلب إن لم تسكنه محبة الله عز وجل سكنه محبة المخلوقين ولا بد وهو اللسان إن لم تشغله بالذكر شغلك باللغو وما هو عليك ولا بد فاختر لنفسك إحدى الخطتين وأنزلها فى إحدى المنزلتين

(الثالثة والسبعون) وهى التى بدأنا بذكرها وأشرنا اليها إشارة فنذكرها ها هنا مبسوطة لعظيم الفائدة بها وحاجة كل أحد بل ضرورته اليها وهى أن الشياطين قد احتوشت العبد وهم أعداؤه فما ظنك برجل قد احتوشته أعداؤه الحنقين عليه غيظا وأحاطوا به وكل منهم يناله بما يقدر عليه من الشر والأذى ولا سبيل إلى تفريق جمعهم عنه إلا بذكر الله عز وجل

وفى هذا الحديث العظيم الشريف القدر الذى ينبغى لكل مسلم أن يحفظه فنذكره بطوله لعموم فائدته وحاجة الخلق اليه

وهو حديث سعيد بن المسيب عن عبد الرحمن بن سمرة بن جندب قال [خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وكنا فى صفة بالمدينة

فقام علينا فقال : إنى رأيت البارحة عجبا : رأيت رجل من أمتى أتاه ملك الموت ليقبض روحه ، فجاءه بره بوالديه فرد ملك الموت عنه ، ورأيت رجل من أمتى قد بسط عليه عذاب القبر فجاء وضوؤه فاستنقذه من ذلك ورأيت رجـلا من أمتى قد احتوشته الشياطين فجاءه ذكر الله عز وجل فطرد الشيطان عنه ورأيت رجل من أمتى قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم ورأيت رجلا من أمتى يتلهب — وفى روايه يلهث — عطشا كلما دنا من حوض منع وطرد فجاءه صيام شهر رمضان فأسقاه وأرواه ورأيت رجلا من أمتى ورأيت النبيين جلوسا حلقا حلقا كلما دنا إلى حلقه طرد فجاءه غسله من الجنابة فأخذ بيده فأقعده إلى جنبى ورأيت رجل من أمتى بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن يساره ظلمة ومن فوقه ظلمة ومن تحته ظلمة وهو متحير فيها فجاءه حجه وعمرته فاستخرجاه من الظلمة وأدخلاه فى النور ورأيت رجل من أمتى يتقى بيديه وهج النار وشررها فجاءته صدقته فصارت سترة بينه وبين النار وظللت على رأسه ورأيت رجلا من أمتى يكلم المؤمنين ولا يكلمونه جاءته صلته لرحمه فقالت : يا معشر المسلمين انه كان وصولا لرحمه فكلموه فكلمه المؤمنون وصافحوه وصافحهم ورأيت رجل من أمتى قد احتوشته الزبانية فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذه من أيديهم وأدخله فى ملائكة الرحمة ورأيت رجـلا من أمتى جاثيا على ركبتيه وبينه وبين الله عز وجل حجاب فجاءه حسن خلقه فأخذ بيده فأدخله على الله عز وجل ورأيت رجلا من أمتى قد ذهبت صحيفته من قبل شماله فجاءه خوفه من الله عز وجل فأخذ صحيفته فوضعها فى يمينه . ورأيت رجلا من أمتى خف ميزانه فجاءه أفراطه (١) فثقلوا ميزانه

---

(١) إفراطه جمع فرط والمراد به من مات له من الأطفال .

ورأيت رجلا من أمتى قائما على شفير جهنم فجاءه رجاؤه فى الله عز وجل فاستنقذه من ذلك ومضى ورأيت رجلا من أمتى قد أهوى فى النار فجاءته دمعته التى بكى من خشية الله عز وجل فاستنقذته من ذلك ورأيت رجلا من أمتى قائما على الصراط يرعد كما ترعد السعفة فى ريح عاصف فجاءه حسن ظنه بالله عز وجل فسكن رعدته ومضى ورأيت رجلا من أمتى يزحف على الصراط ويحبوا أحيانا ويتعلق أحيانا فجاءته صلاته على فأقامته على قدميه وأنقذته ورأيت رجلا من أمتى انتهى إلى أبواب الجنة فغلقت الأبواب دونه فجاءته شهادة أن لا إله الا الله ففتحت له الابواب وأدخلته الجنة] رواه الحافظ أبو موسى المدينى فى كتاب (الترغيب فى الخصال المنجية والترهيب من الخلال المردية) وبنى كتابه عليه وجعله شرحا له وقال: هذا حديث حسن جدا رواه عن سعيد بن المسيب عمرو بن آزر، وعلى بن زيد بن جدعان وهلال أبو جبلة

وكان شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه يعظم شان هذا الحديث وبلغنى عنه أنه كان يقول: شواهد الصحة عليه

والمقصود منه قوله ﷺ [ورأيت رجلا من أمتى قد احتوشته الشياطين فجاءه ذكر الله عز وجل فطرد الشيطان عنه] فهذا مطابق لحديث الحارث الأشعرى الذى شرحناه فى هذه الرسالة وقوله فيه [وآمركم بذكر الله عز وجل وان مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو فانطلقوا فى طلبه سراعا وانطلق حتى أتى حصنا حصينا فأحرز نفسه فيه فكذلك الشيطان لا يحرز العباد أنفسهم منه إلا بذكر الله عز وجل]

وفى الترمذى عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ [من قال - يعنى إذا خرج من بيته - بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله. يقال له كفيت وهديت ووقيت وتنحى عنه الشيطان فيقول لشيطان

آخر : كيف لك برجل قد هدى وكفى ووقى ؟] رواه أبو داود والنسائى والترمذى وقال : حديث حسن

وقد تقدم قوله ﷺ [من قال فى يوم مائة مرة لا إله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير وكانت له حرزا من الشيطان حتى يمسى]

وذكر سفيان عن أبى الزبير عن عن عبد الله بن ضمرة عن كعب قال اذا خرج الرجل من بيته فقال بسم الله قال الملك هديت واذا قال توكلت على الله قال الملك كفيت واذا قال لا حول ولا قوة الا بالله الا بالله قال الملك حفظت فيقول الشياطين بعضهم لبعض ارجعوا ليس لكم عليه سبيل كيف لكم بمن كفى وهدى وحفظ ؟

وقال أبو خلاد المصرى [من دخل فى الاسلام دخل فى حصن ومن دخل المسجد فقد دخل فى حصين ومن جلس فى حلقة يذكر الله عز وجل فيها فقد دخل فى بيته ثلاث حصون]

وقد روى الحافظ أبو موسى فى كتابه من حديث أبى عمران الجونى عن أنس عن النبى ﷺ قال [اذا وضع العبد جنبه على فراشه فقال بسم الله وقرأ فاتحة الكتاب أمن من سر الجن والانس ومن كل شىء]

وفى صحيح البخارى عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة قال [ولانى رسول الله ﷺ زكاة رمضان أن أحتفظ بها فأتانى آت فجعل يحثوا من الطعام فأخذته فقال دعنى فانى لا أعود - فذكر الحديث - وقال فقال له فى الثالثة أعلمك كلمات ينفعك الله بهن إذا أويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسى من أولها الى آخرها فانه لا يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح فخلى سبيله فاصبح فاخبر النبى ﷺ بقوله صدقك وهو كذوب]

وذكر الحافظ أبو موسى من حديث أبي الزبير عن جابر قال رسول الله ﷺ [اذا آوى الإنسان إلى فراشه ابتدره ملك وشيطان فيقول الملك اختم بخير ويقول الشيطان اختم بشر فاذا ذكر الله تعالى حتى يغلبه - يعنى النوم - طرد الملك الشيطان وبات يكلؤه فاذا استيقظ ابتدره ملك وشيطان فيقول الملك افتح بخير ويقول الشيطان افتح بشر فان قال الحمد لله الذى أحيا نفسى بعد موتها ولم يمتها فى منامها الحمد لله الذى يمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى الى أجل مسمى الحمد لله الذى يمسك السموات والارض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده الحمد لله الذى يمسك السماء أن تقع على الأرض بإذنه طرد الملك الشيطان وظل يكلؤه]

وفى الصحيحين من حديث سالم بن أبى الجعد عن كريب عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ [أما ان أحدكم اذا أتى أهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فيولد بينهما ولد لا يضره الشيطان أبدا]

وذكر الحافظ أبو موسى عن الحسن بن على قال [أنا ضامن لمن قرأ هذه العشرين الآية أن يعصمه الله تعالى من كل شيطان ظالم ومن كل شيطان مريد ومن كل سبع ضار ومن كل لص عاد آية الكرسى وثلاث آيات من من الأعراف (إنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ) وعشرا من الصافات وثلاث آيات من الرحمن (يَا مَعْشَرَ الجِنِّ والأُنْس) وخاتمة سورة الحشر (لوأَنْزَلْنَا هٰذَا القُرْآنَ)

وقال محمد بن أبان ، بينما رجل يصلى فى المسجد إذا هو بشىء إلى جنبه فجفل منه . فقال ليس عليك منى بأس إنما جئتك فى الله تعالى ، أئت عروة

فسله ما الذى يتعوذه يعنى من إبليس الأباليس قال قل آمنت بالله العظيم وحده وكفرت بالجبت والطاغوت واعتصمت بالعروة الوثق لا انفصام لها والله سميع عليم حسبي الله وكفى ، سمع الله لمن دعا ليس وراء الله منتهى .

وقال بشر بن منصور عن وهيب بن الورد قال خرج رجل إلى الجبانة بعد ساعة من الليل قال فسمعت حسا أو صوتا شديدا وجيء بسرير حتى وضع وجاء شيء حتى جلس عليه قال واجتمعت اليه جنوده ثم صرخ فقال من لى بعروة بن الزبير ؟ فلم يجبه أحد حتى تتابع ما شاء الله عز وجل من الأصوات فقال واحد أنا أكفيكه قال فتوجه نحو المدينة وأنا ناظر ثم أوشك الرجعة فقال لا سبيل إلى عروة فقال ويلكم قال وجدته يقول كلمات إذا أصبح وإذا أمسى فلا نخلص اليه معهن قال الرجل فلما أصبحت قلت لأهلى جهزونى فأتيت المدينة فسألت عنه حتى دللت عليه فاذا شيخ كبير فقلت أى شيء تقوله إذا أصبحت واذا أمسيت ؟ فأبى أن يخبرنى فاخبرته بما رأيت وما سمعت فقال ماأدرى غير أنى أقول اذا أصبحت آمنت بالله العظيم وكفرت بالجبت والطاغوت واستمسكت بالعروة الوثق التى لا انفصام لها والله سميع عليم اذا أصبحت قلت ثلاث مرات واذا أمسيت قلت ثلاث مرات وذكر أبو موسى عن مسلم البطين (١) قال جبريل للنبى ﷺ ان عفريتا من الجن يكيدك فاذا أويت الى فراشك فقل أعوذ بكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ماينزل من السماء ومايعرج فيها ومن شر ماذرأ إلى الأرض وما يخرج منها ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر طوارق الليل والنهار إلا طارقا يطرق بخير يارحمن]

---

(١) هو مسلم بن عمران أو ابن أبى عمران البطين

وقد ثبت فى الصحيح أن الشيطان يهرب من الأذان (١).

قال سهل بن صالح أرسلنى أبى إلى بنى حارثة ومعى غلام أو صاحب لنا فنادى مناد من حائط باسمه فأشرف الذى معى على الحائط فلم يرشيئا فذكرت ذلك لأبى فقال لو شعرت أنك تلقى هذا لم أرسلك ولكن إذا سمعت صوتا فناد بالصلاة فانى سمعت أبا هريرة يحدث عن رسول الله ﷺ أنه قال ان الشيطان اذا نودى بالصلاة ولى وله خصاص وفى رواية اذا سمع النداء ولى وله ضراط حتى لايسمع التأذين الحديث .

وذكر الحافظ أبو موسى من حديث أبى رجاء عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم استكثروا من لا إله إلا الله والاستغفار فان الشيطان قال قد أهلكتكم بالذنوب فاهلكونى بقول لا إله إلا الله والاستغفار فلما رأيت ذلك منهم اهلكتهم بالأهوا حتى يحسبون أنهم مهتدون فلايستغفرون .

وذكر أيضا عن إبراهيم بن الحكم عن أبيه عن عكرمة قال بينا رجل مسافر إذ مر برجل نائم ورأى عنده شيطانين فسمع المسافر أحد الشيطانين يقول لصاحبه اذهب فافسد على هذا النائم قلبه فلما دنا منه رجع إلى صاحبه فقال لقد نام على آية ما لنا اليه سبيل فذهب إلى النائم فلما دنا منه رجع فقال صدقت فذهب ثم ان المسافر أيقظه وأخبره بما رأى من الشيطانين فقال أخبرنى على أى آية نمت قال على هذه الآية (إِنَّ رَبَّكُمُ الذى خَلَقَ السَّمٰوات والأرضَ فى سِتَّةِ أيَّامٍ ثم اسْتَوَى على العَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً والشَّمسَ والقَمَرَ والنُّجومَ مُسَخَّراتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الخَلْقُ والأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ العالَمِينَ)

---

(١) رواه مالك والبخارى ومسلم وأبو داود عن أبى هريرة

وقال أبو النضر هاشم بن القاسم : [كنت أرى فى دارى . . . (١)
فقيل . يا أبا النضر ، تحول عن جوارنا قال فاشتد ذلك على فكتبت إلى الكوفة إلى أبى إدريس . والمحاربى . وأبى أسامة فكتب إلى المحاربى أن بئرا بالمدينة كان يقطع رشاؤها . فنزل بهم ركب فشكوا ذلك إليهم ، فدعوا بدلو من ماء ثم تكلموا بهذا الكلام فصبوه فى البئر فخرجت نار من البئر فطفئت على رأس البئر قال أبو النضر فأخذت تورا من ماء ثم تكلمت فيه بهذا الكلام ثم تتبعت به زوايا الدار فرششته ، فصاحوا بى يا أبا النضر أحرقتنا نحن نتول عنك .
وهو : بسم الله أمسينا بالله الذى ليس منه شىء ممتنع وبعزة الله التى لا ترام ولا تضام ، وبسلطان الله المنيع نحتجب وبأسمائه الحسنى كلها نعوذ من الأبالسة ومن شر شياطين الإنس والجن . ومن شر كل معلن أو مسر . من شر ما يخرج بالليل ويكمن بالنهار ويكمن بالليل ويخرج بالنهار . ومن شر ما خلق وذرأ وبرأ . ومن شر إبليس وجنوده . ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربى على صراط مستقيم . أعوذ بالله بما استعاذ به موسى وعيسى وإبراهيم الذى وفى : من شر ما خلق وذرأ وبرأ ومن شر إبليس وجنوده ومن شر ما يبغى . أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم (بِسْمِ الله الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ، فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ، فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا إِنَّ إِلٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ . رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ . وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ . وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ . دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ . إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ) .

---

(١) لم يذكر فى نسختنا ما رآه ولكن قوله فقيل يا أبا النضر — يدل على شىء سقط من الكلام . والمفهوم بالقرينة أنه كلم من كان يراهم فقيل له يا أبا النضر الخ

فهذا بعض ما يتعلق بقوله ﷺ : كذلك العبد يحرز نفسه من الشيطان بذكر الله تعالى .

ولنذكر فصولا نافعة تتعلق بالذكر تكميلا للفائدة

(الفصل الأول) الذكر نوعان : أحدهما ذكر أسماء الرب تبارك وتعالى وصفاته والثناء عليه بهما وتنزيهه وتقديسه عما لا يليق به تبارك وتعالى .
وهذا أيضا نوعان

(أحدهما) انشاء الثناء عليه بها من الذاكر وهذا النوع هو المذكور فى الأحاديث نحو [سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده ولا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير] ونحو ذلك

فأفضل هذا النوع أجمعه للثناء وأعمه نحو [سبحان الله عدد خلقه] فهذا أفضل من مجرد (سبحان الله) وقولك (الحمد لله عدد ما خلق فى السماء) وعدد ما خلق فى الأرض وعدد ما بينهما وعدد ما هو خالق أفضل من مجرد قولك ـ الحمد لله وهذا فى حديث جويرية [أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن (١) سبحان الله عدد خلقه سبحان الله رضاء نفسه سبحان الله زنة عرشه سبحان الله مداد كلماته] رواه مسلم (٢)

وفى الترمذى وسنن أبى داود عن سعد بن أبى وقاص [أنه دخل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على امرأة بين يديها نوى أو حصى تسبح بها فقال أخبرك

---

(١) أى لرجحت بهن فى الوزن

(٢) وفى رواية أخرى له [سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضاء نفسه ومداد كلماته] والمراد بمثل مداد كلماته أى انها لا تنفذ

بما هو أيسر عليك من هذا وأفضل؟ فقال : سبحان الله عدد ما خلق فى السماء وسبحان الله عدد ما خلق فى الأرض وسبحان الله عدد ما بين ذلك وسبحان الله عدد ما هو خالق والله أكبر مثل ذلك والحمد لله مثل ذلك . ولا إله إلا الله مثل ذلك ولا حول ولا قوة إلا بالله مثل ذلك]

(النوع الثانى) الخبر عن الرب تعالى بأحكام أسمائه وصفاته نحو قولك الله عز وجل يسمع أصوات عباده ويرى حركاتهم ولا تخفى عليه خافية من أعمالهم وهو أرحم بهم من آبائهم وأمهاتهم وهو على كل شىء قدير وهو أفرح بتوبة عبده من الفاقد راحلته(١) ونحو ذلك

وأفضل هذا النوع الثناء عليه بما أثنى على نفسه وبما أثنى به عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تشبيه ولا تمثيل

(وهذ النوع أيضا) ثلاثة أنواع حمد وثناء ومجد فالحمد لله الأخبار عنه بصفات كماله سبحانه وتعالى مع محبته والرضاء به . فلا يكون المحب الساكت حامدا ولا المثنى بلا محبة حامدا حتى تجتمع له المحبة والثناء فان كرر المحامد شيئا بعد شىء كانت ثناء فان كان المدح بصفات الجلال والعظمة والكبرياء والملك كان مجدا

وقد جمع الله تعالى لعبده الانواع الثلاثة فى أول الفاتحة فاذا قال العبد : (الْحَمْدُ لله رَبِّ العالَمِينَ) قال الله حمدنى عبدى وإذا قال (الرَّحْمنِ الرَّحيم) قال أثنى على عبدى وإذا قال (مَالِكِ يَوْمِ الدِّين)

---

(١) أى إذا وجدها وهو معنى حديث رواه البخارى ومسلم عن أنس بن مالك ولفظه الله فرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله بأرض فلاة

قال مجدني عبدي](١)

(النوع الثاني) من الذكر ذكر أمره ونهيه وأحكامه وهو أيضا نوعان

(أحدهما) ذكره بذلك اخبارا عنه بأنه أمر بكذا ونهى عن كذا وأحب. كذا وسخط كذا ورضى عن كذا

(والثاني) ذكره عند أمره فيبادر إليه وعند نهيه فيهرب منه فذكر أمره ونهيه شيء وذكره عند أمره ونهيه شيء آخر فاذا اجتمعت هذه الأنواع للذاكر فذكره أفضل الذكر وأجله وأعظمه .

(فائدة) فهذا الذكر من الفقه الأكبر وما دونه أفضل الذكر اذا صحت فيه النية .

ومن ذكره سبحانه وتعالى ذكره آلائه وأنعامه وإحسانه وأياديه ومواقع فضله على عبيده وهذا أيضا من أجل أنواع الذكر

فهذه خمسة أنواع : وهى تكون بالقلب . واللسان تارة . وذلك أفضل الذكر : وبالقلب وحده تارة . وهى الدرجة الثانية وباللسان وحده تارة. وهى الدرجة الثالثة فأفضل الذكر ما توطأ عليه القلب واللسان

وإنما كان ذكر القلب وحده أفضل من ذكر اللسان وحده لأن ذكر القلب يثمر المعرفة ويهيج المحبة . ويثير الحياء ويبعث على المخافة . ويدعو الى المراقبة ويزع عن التقصير فى الطاعات والتهاون فى المعاصى والسيئات : وذكر اللسان وحده لا يوجب شيئا من هذه الآثار وإن أثمر شيئا منها فثمرة ضعيفة .

(الفصل الثاني) الذكر أفضل من الدعاء . الذكر ثناء على الله عز وجل بجميع أوصافه وآلائه وأسمائه والدعاء سؤال العبد حاجته . فأين هذا من هذا ؟

---

(١) رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة بلفظ [قسمت الصلاة بينى وبين عبدى ولعبدى ماسأل] الحديث

ولهذا جاء فى الحديث [من شغله ذكرى عن مسالتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين] ولهذا كان المستحب فى الدعاء أن يبدأ الداعى بحمد الله تعالى والثناء عليه بين يدى حاجته ثم يسال حاجته . كما فى حديث فضالة بن عبيد [أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سمع رجلا يدعو فى صلاته لم يحمد الله تعالى ولم يصل على النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال رسول الله ﷺ : عجل هذا ثم دعاه فقال له أو لغيره اذا صلى أحدكم فليبدأ بتمجيد ربه عز وجل والثناء عليه ثم يصلى على النبى صلى الله عليه وآله وسلم ثم يدعو بماشاء. رواه الإمام أحمد والترمذى وقال حديث حسن صحيح رواه الحاكم فى صحيحه

وهكذا دعا ذى النون عليه السلام الذى قال فيه النبى ﷺ [دعوة أخى ذى النون ما دعا بها مكروب إلا فرج الله كربته لا إله الا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين] وفى الترمذى [دعوة أخى ذى النون إذ دعا وهو فى بطن الحوت (لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين) فانه لم يدع بها مسلم فى شىء قط الا استجاب له] (١)

وهكذا عامة الأدعية النبوية على قائلها أفضل الصلاة والسلام .

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم دعاء الكرب [إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم] (٢)

ومنه حديث بريدة الاسلمى الذى رواه أهل السنن وابن حبان فى صحيحه [أن رسول الله ﷺ سمع رجلا يدعو وهو يقول اللهم إنى أسألك بأنى أشهد بأنك أنت الله إلا إله إلا أنت الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فقال والذى نفسى بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم

---

(١) أخرجه الترمذى والامام أحمد والحاكم وابو يعلى وقال صحيح الاسناد عن سعد بن ابى وقاص (٢) رواه البخارى ومسلم عن ابن عباس

الذى اذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى]. (١)

وروى أبو داود والنسائى من حديث أنس [أنه كان مع النبى صلى الله عليه وسلم جالسا ورجل يصلى (٢) ثم دعا : اللهم إنى أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض ياذا الجلال والإكرام ياحى ياقيوم . فقال النبى ﷺ لقد دعا الله باسمه الأعظم الذى إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى

فأخبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم أن الدعاء يستحب اذا تقدمه هذا الثناء والذكر وإنه اسم الله الأعظم فكان ذكر الله عز وجل والثناء عليه أنجح واطلب به العبد حوائجه

وهذه فائدة أخرى من فوائد الذكر والثناء وهى الرابعة والسبعون أنه يجعل الدعاء مستجابا فالدعاء الذى تقدمه الذكر والثناء أفضل وأقرب إلى الإجابة من الدعاء المجرد فان انضاف إلى ذلك إخبار العبد بحاله ومسكنته وافتقاره واعترافه كان أبلغ فى الاجابة وأفضل فانه يكون قد توسل إلى المدعو بصفات كماله وإحسانه وفضله وعرض بل صرح بشدة حاجة وضرورته وفقره ومسكنته فهذا المقتضى منه وأوصاف المسؤل مقتضى من الله فاجتمع المقتضى من السائل والمقتضى من المسؤل فى الدعاء وكان أبلغ وألطف موقعا وأتم معرفة وعبودية وأنت ترى فى الشاهد ـ ولله المثل الأعلى أن الرجل اذا توسل إلى من يريد معروفه بكرمه وجوده وبره وذكر حاجته هو وفقره ومسكنته كان أعطف لقلب المسؤل وأقرب لقضاء حاجته فاذا قال

---

(١) قال الحافظ المنذرى قال شيخنا الحافظ أبو الحسن المقدسى وإسناده لامطعن فيه ولم يرد فى هذا الباب حديث أجود منه

(٢) هو أبو عياش الزرقى زيد بن الصامت كما رواه أحمد . وكذلك روى الحديث ابن ماجه وابن حبان

له انت جودك قد سارت به الركبان وفضلك كالشمس لا تنكر - ونحو ذلك - وقد بلغت بى الحاجة والضرورة مبلغا لا صبر معه - ونحو ذلك كان أبلغ فى قضاء حاجته من أن يقول ابتداء أعطنى كذا وكذا .

فاذا عرفت هذا فتأمل قول موسى صلى الله عليه وسلم فى دعائه : (رَبِّ إِنِّى لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) وقول ذى النون صلى الله عليه وسلم فى دعائه (لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّى كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) وقول أبينا آدم صلى الله عليه وسلم (رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (١) .

وفى الصحيحين [أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه قال يا رسول الله علمنى دعاء أدعو به فى صلاتى فقال قل اللهم إنى ظلمت نفسى ظلما كثيرا وإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفرلى مغفرة من عندك وارحمنى إنك أنت الغفور الرحيم] .

فجمع فى هذا الدعاء الشريف العظيم القدر بين الاعتراف بحاله والتوسل إلى ربه عز وجل بفضله وجوده وإنه المنفرد بغفران الذنوب ثم سأل حاجته بعد التوسل بالأمرين معا فهكذا أدب الدعاء وآداب العبودية

(الفصل الثالث) قراءة القرآن أفضل من الذكر والذكر أفضل من الدعاء

هذا من حيث النظر لكل منهما مجردا وقد يعرض للمفضول ما يجعله أولى من الفاضل بل يعينه فلا يجوز أن يعدل عنه إلى الفاضل وهذا كالتسبيح فى الركوع والسجود فإنه أفضل من قراءة القرآن

---

(١) الآية ٢٣ من سورة الأعراف

فيهما بل القراءة فيهما منهى عنها نهى تحريم أو كراهة (١) وكذلك التسميع والتحميد فى محلهما أفضل من القراءة وكذلك التشهد وكذلك [رب اغفرلى وارحمنى واهدنى وعافنى وارزقنى] بين السجدتين أفضل من القراءة ، وكذلك الذكر عقيب السلام من الصلاة - ذكر التهليل والتسبيح والتكبير والتحميد أفضل - من الاشتغال عنه بالقراءة وكذلك إجابة المؤذن والقول كما يقول أفضل من القراءة وإن كان فضل القرآن على كل كلام كفضل الله تعالى على خلقه لكن لكل مقام مقال متى فات مقاله فيه وعدل عنه إلى غيره اختلت الحكمة وفقدت المصلحة المطلوبة منه وهكذا الأذكار المقيدة بمحال مخصوصة أفضل من القراءة المطلقة والقراءة المطلقة أفضـــل من الأذكار المطلقة اللهم إلى أن يعرض للعبد مايجعل الذكر أو الدعاء أنفع له من قراءة القرآن .

مثاله أن يتفكر فى ذنوبه فيحدث ذلك له توبة من استغفار أو يعرض له مايخاف أذاه من شياطين الإنس والجن فيعدل إلى الأذكار والدعوات التى تحصنه وتحوطه .

وكذلك أيضا قد يعرض للعبد حاجة ضرورية إذا اشتغل عن سؤالها بقراءة أو ذكر لم يحضر قلبه فيهما وإذا أقبل على سؤالها والدعاء اليهما اجتمع قلبه كله على الله تعالى وأحدث له تضرعا وخشوعا وابتهالا فهذا

(١) عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : كشف رسول الله صلى الله عليه وسلم الستارة والناس صفوف خلف أبى بكر فقال [ياأيها الناس إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له الأوانى نهيت أن أقرأ القرآن راكعا أو ساجدا أما الركوع فعظموا فيه الرب وأما السجود فاجتهدوا فى الدعاء فقمن أن يستجاب لكم] رواه أحمد ومسلم والنسائى وأبو داود وقوله [قمن] أى خليق

قد يكون اشتغاله بالدعاء والحالة هذه أنفع وإن كان كل من القراءة والذكر أفضل وأعظم أجرا

وهذا باب نافع يحتاج إلى فقه نفس وفرقان بين فضيلة الشيء فى نفسه وبين فضيلة العارضة فيعطى كل ذى حق حقه ويوضع كل شىء موضعه فللعين موضع وللرجال موضع وللماء موضع وللحم موضع وحفظ المراتب هو من تمام الحكمة التى هى نظام الأمر والنهى والله تعالى الموفق .

وهكذا الصابون والأشنان أنفع للثوب فى وقت والتجمير وماء الورد وكوة (؟) أنفع له فى وقت .

وقلت لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى يوما سئل بعض أهل العلم أيما أنفع للعبد التسبيح أو الاستغفار ؟ فقال إذا كان الثوب نقيا فالبخور وماء الورد أنفع له وإن كان دنسا فالصابون والماء الحار أنفع له فقال لى رحمه الله تعالى فكيف والثياب لا تزال دنسة

ومن هذا الباب أن سورة (قل هو الله أحد) تعدل ثلث القرآن ومع هذا فلا تقوم مقام آيات المواريث والطلاق والخلع والعدد ونحوها . بل هذه الآيات فى وقتها وعند الحاجة اليها أنفع من تلاوة سورة الاخلاص

ولما كانت الصلاة مشتملة على القراءة والذكر والدعاء وهى جامعة لأجزاء العبودية على أتم الوجوه كانت أفضل من كل من القراءة والذكر والدعاء بمفرده لجمعها ذلك كله مع عبودية سائر الأعضاء.

فهذا أصل نافع جدا يفتح للعبد باب معرفة مراتب الأعمال وتنزيلها منازلها لئلا يشتغل . بمفضولها عن فاضلها فيربح إبليس الفضل الذى بينهما أو ينظر إلى فاضلها فيشتغل به عن مفضولها وإن كان ذلك فى وقته فتفوته مصلحته بالكلية لظنه أن اشتغاله بالفاضل أكثر ثوابا وأعظم أجرا وهذا يحتاج إلى معرفة بمراتب الأعمال وتفاوتها ومقاصدها وفقه فى اعطاء كل

عمل منها حقه ، وتنزيله فى مرتبته ، وتفويته لما هو أهم منه أو تفويت ما هو أولى منه وأفضل لامكان تداركه والعود إليه ، وهذا المفضول إن فات لا يمكن تداركه فالاشتغال به أولى ، وهذا كترك القراءة لرد السلام ، وتشميت العاطس ، وإن كان القرآن أفضل لأنه يمكنه الاشتغال بهذا المفضول ، والعود إلى الفاضل بخلاف ما إذا اشتغل بالقراءة فإنه تفوته مصلحة رد السلام وتشميت العاطس وهكذا سائر الأعمال اذا تزاحمت والله تعالى الموفق .

﴿ الفصل الأول ﴾

فى الأذكار الموظفة التى لا ينبغى للعبد أن يخل بها لشدة الحاجة إليها وعظم الانتفاع فى الآجل والعاجل بها وفيه فصول

﴿ الفصل الأول ﴾

فى ذكر طرفى النهار وهما ما بين الصبح وطلوع الشمس ، وما بين العصر والغروب .

قال سبحانه وتعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) (١) والأصيل قال الجوهرى هو الوقت بعد العصر إلى المغرب وجمعه (أصل ، وآصال وأصائل) كأنه جمع أصيلة قال الشاعر

لعمرى لأنت البيت أكرم أهله * واقعد فى أفيائه بالأصائل

ويجمع أيضاً على (أصلان) مثل ، بعير ، وبعران ، ثم صغروا الجمع فقالوا (أصيلان) ثم أبدلوا من النون لاما فقالوا (أصيلال) قال الشاعر

وقفت فيها أصيلا لا أسائلها * أعيت جوابا وما بالربع من أحد

وقال تعالى (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ) (٢) فالابكار

(١) سورة الأحزاب آيتى (٤١ ، ٤٢) (٢) سورة غافر آية (٥٥)

أول النهار والعشى آخره ، وقال تعالى : (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الغُرُوبِ) (١) وهذا تفسير ما جاء فى الأحاديث من قال كذا وكذا حين يصبح وحين يمسى أن المراد به قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وأن محل هذه الأذكار بعد الصبح وبعد العصر

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : [من قال حين يصبح وحين يمسى : سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال : مثل ما قال : أو زاد عليه]

وفى صحيحه أيضا عن ابن مسعود قال : [كان نبى الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا أمسى قال : أمسينا وأمسى الملك لله ، والحمد لله لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير رب أسألك خير ما فى هذه الليلة و خير ما بعدها وأعوذ بك من شر ما فى هذه الليلة وشر ما بعدها رب أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر رب أعوذ بك من عذاب فى النار وعذاب فى القبر وإذا أصبح قال ذلك أيضا . أصبحنا وأصبح الملك لله]

وفى السنن عن عبد الله بن حبيب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [قل قلت : يا رسول الله ما أقول ؟ قال : قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمسى وحين تصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شىء] قال الترمذى : حديث حسن صحيح

وفى الترمذى أيضا عن أبى هريرة [ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يعلم أصحابه يقول إذا أصبح أحدكم فليقل : اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك النشور وإذا أمسى فليقل اللهم بك أمسينا وبك أصبحنا وبك نحيا وبك نموت وإليك المصير] قال الترمذى : حديث حسن صحيح .

---

(١) سورة ق آية (٤٠)

وفى صحيح البخارى عن شداد بن أوس عن النبى ﷺ قال : [سيد الاستغفار اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبى فاغفر لى فانه لا يغفر الذنوب إلا أنت . من قالها حين يمسى فمات من ليلته دخل الجنة . ومن قالها حين يصبح فمات من يومه دخل الجنة]

وفى الترمذى عن أبى هريرة [أن أبا بكر الصديق قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم مرنى بشىء أقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت قال قل اللهم عالم الغيب والشهادة] فاطر السموات والأرض رب كل شىء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسى ومن شر الشيطان وشركه وأن نقترف سوءا على أنفسنا أو نجره إلى مسلم قله إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعك] (١) قال الترمذى : حديث حسن صحيح .

وفى الترمذى أيضا عن عثمان بن عفان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [ما من عبد يقول فى صباح كل يوم ومساء كل ليلة : بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم - ثلاث مرات - فلا يضره شىء] قال الترمذى حديث حسن صحيح (٢)

وفيه أيضا عن ثوبان وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال [من قال حين يمسى

---

(١) أخرجه أبو داود والترمذى والنسائى وابن حبان والحاكم بدون لفظ [وأن نقترف سوءا على أنفسنا ونجره مسلم] قال الخطابى روى ﴿ شركه ﴾ على وجهين أحدهما بكسر الشين وسكون الراء ومعناه ما يدعو إليه الشيطان ويوسوس به من الإشراك بالله والثانى بفتح الشين والراء يريد حبائل الشيطان ومصايده

(٢) ورواه أبو داود والنسائى وابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال صحيح الاسناد وفى رواية لأبى داود [لم تصبه فجاءة بلاء]

وإذا أصبح ، رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيئا كان حقا على الله أن يرضيه وقال حديث حسن صحيح

وفى الترمذى عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال من قال حين يصبح أو يمسى اللهم انى أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك إنك أنت الله لا إله إلا أنت وأن محمداً عبدك ورسولك أعتق الله ربعه من النار فمن قالها مرتين أعتق الله نصفه من النار ومن قالها ثلاثا أعتق الله ثلاثة أرباعه من النار ومن قالها أربعا أعتقه الله من النار (١)

وفى سنن أبى داود عن عبد الله بن غنام أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال من قال حين يصبح اللهم ماأصبح بى من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لاشريك لك لك الحمد ولك الشكر فقد أدى شكر يومه ومن قال مثل ذلك حين يمسى فقد أدى شكر ليلته

وفى السنن وصحيح الحاكم (٢) عن عبد الله بن عمر قال لم يكن النبى صلى الله عليه وآله وسلم يدع هؤلاء الكلمات حين يمسى وحين يصبح اللهم إنى أسألك العافية فى الدنيا والآخرة اللهم إنى أسألك العفو والعافية فى دينى ودنياى وأهلى ومالى اللهم استرعورتى وآمن روعتى اللهم احفظنى من بين يدى ومن خلفى وعن يمينى وعن شمالى ومن فوقى وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتى قال وكيع يعنى الخسف (٣)

وعن طريق ابن حبيب قال جاء رجل إلى أبى الدرداء فقال :

---

(١) ورواه أبو داود وهذا لفظه وأخرجه النسائى وقال الترمذى حديث غريب

(٢) قال النووى بأسانيد صحيحة وعورتى وروعتى بالافراد عند الجميع وعند ابن أبى شيبة عوراتى وروعاتى بالجمع

(٣) قال وكيع بن الجراح يعنى بالاغتيال من تحت الخسف

ياأبا الدرداء قد احترق بيتك فقال : ما احترق لم يكن الله ليفعل ذلك لكلمات سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قالها أول النهار لم تصبه مصيبة حتى يمسى ومن قالها آخر النهار لم تصبه مصيبة حتى يصبح [اللهم أنت ربى لا إله الا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم - أعلم أن الله على كل شىء قدير وان الله قد أحاط بكل شىء علما اللهم إنى أعوذ بك من شر نفسى ومن شر كل دابة ربى آخذ بناصيتها إن ربى على صراط مستقيم] (١) .

﴿ الفصل الثانى فى أذكار النوم ﴾

فى الصحيحين عن حذيفة قال [كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن ينام قال باسمك اللهم أموت وأحيا وإذا استيقظ من منامه قال الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا واليه النشور]

وفى الصحيحين أيضا عن عائشة أن النبي ﷺ كان إذا آوى الى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما يقرأ فيهما (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ) و (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) و (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ) ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات] (٢)

وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة [أنه أتاه آت يحثو من الصدقة وكان قد جعله النبي ﷺ عليها ليلة بعد ليله فلما كان فى الليلة الثالثه قال

(١) ساقه فى نزل الأبرار مختصرا وقال اخرجه ابن السنى وأبو داود موقوفا على أبى الدرداء وله حكم الرفع

(٢) قال أبو عبيدة النفث شبيه بالنفخ وقال الصغانى وهو أقل من التفل وهو نفخ معه ريق قليل

لارفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بهن - وكان أحرص شيء على الخير - (١) فقال إذا آويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي . الله لا إله إلا هو الحي القيوم . حتى ختمها فإنه لا يزال عليك حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدقك وهو كذوب]

وقد روى الإمام أحمد نحو هذه القصة فى مسنده أنها جرت لأبى الدرداء ورواها الطبرانى فى معجمه أنها جرت لأبى بن كعب

وفى الصحيحين عن أبى مسعود الانصارى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة كفتاه »(٢)

الصحيح : أن معناها كفتاه من شر ما يؤذيه وقيل : كفتاه من قيام الليل وليس بشيء .

قال على بن أبى طالب كرم الله [وجهه ماكنت أرى أحدا يغفل قبل أن يقرأ الآيات الثلاث الأواخر من سورة البقرة]

وفى الصحيحين عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال اذا قام أحدكم عن فراشه ثم رجع اليه فلينفضه بصنفة (٣) إزاره ثلاث مرات فانه لا يدرى

---

(١) هذه جملة معترضة مدرجة من الراوى لتعليل تخلـه أبى هريرة رضى الله عنه سبيله وهى كما فى كتاب الوكالة من البخارى بلفظ وكانوا يعنى الصحابة وموقعها بعـد قوله : (ولا يقربك شيطان) والقصة هنا ملخصة بالمعنى .

(٢) المراد بهما آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه إلى آخر السورة

(٣) لفظ الصحيحين (إذا آوى أحدكم إلى فراشه بداخلة إزاره فإنه لايدرى) الخ وفى كتاب التوحيد من البخارى عنه (إذا جاء أحدكم إلى فراشه فلينفضه بصنفة ثوبه ثلاث مرات وليقل الخ) صنفة الإزار - بفتح

ما خلفه عليه بعده ، وإذا اضطجع فليقل : باسمك اللهم ربى وضعت جنبي وبك أرفعه ، فان أمسكت نفسى فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين] .

وفى الصحيحين عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم [إذا استيقظ أحدكم فليقل : الحمد لله الذى عافانى فى جسدى ، ورد على روحى ، وأذن لى بذكره] (١) .

وقد تقدم حديث على ووصية النبي ﷺ له ولفاطمة رضى الله تعالى عنهما [أن يسبحا إذا أخذا مضاجعهما للنوم ثلاثا وثلاثين ويحمدا ثلاثا وثلاثين ويكبرا أربعا وثلاثين وقال هو خير لكما من خادم] (٢)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه ، بلغنا أنه من حافظ على هذه الكلمات لم يأخذه إعياء فيما يعانيه من شغل وغيره

وفى سنن أبي داود ، والترمذى عن حفصة أم المؤمنين [أن النبي صلى الله وآله وسلم كان إذا أراد أن يرقد وضع يده اليمنى تحت خده ثم يقول اللهم قنى عذابك يوم تبعث عبادك] ثلاث مرات ، قال الترمذى حديث حسن (٣) وفى صحيح مسلم عن أنس [أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم

الصاد وكسر النون ـ طرفه مما يلى طرته أو هى الجانب الذى لا هدب له وفى وفى رواية مسلم [فليأخذ داخلة إزاره فلينفض بها فراشه وليسم الله فانه لا يعلم ماخلفه على فرشه]

(١) ذكر فى نزل الأبرار أن هذا الحديث زيادة للترمذى عما رواه البخارى ، ومسلم من حديث أبي هريرة المتقدم

(٢) رواه البخارى ، ومسلم وأبو داود والنسائى عن على رضى الله عنه

(٣) وأخرجه الترمذى أيضا من حديث حذيفة وقال صحيح حسن ومن حديث البراء ولم يذكر فيه ثلاث مرات

كان إذا آوى إلى فراشه قال : الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا فكم ممن لا كافى له ولا مؤوى] (١)

وفى صحيحه أيضا عن ابن عمر . انه أمر رجلا اذا اتخذ مضجعه أن يقول اللهم أنت خلقت نفسى وأنت تتوفاها (٢) لك مماتها ومحياها ان أحييتها فاحفظها وإن أمتها فاغفر لها اللهم إنى أسألك العافية فقال رجل سمعتهن من عمر قال من خير من عمر من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

وفى الترمذى عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [من قال حين يأوى إلى فراشه استغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب اليه ثلاث مرات غفر الله له ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر وان كانت عدد رمل عالج وان كانت عدد أيام الدنيا (٣)

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة [أن النبى ﷺ كان اذا آوى إلى فراشه قال اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شىء فالق الحب والنوى منزل التورات والإنجيل والفرقان أعوذ بك من شر كل ذى شر آخذ بناصيته أنت الأول فليس قبلك وأنت الآخر فليس بعدك شىء وأنت الظاهر فليس فوقك شىء وأنت الباطن فليس دونك شىء اقض عنا الدين واغننا من الفقر] .

وفى الصحيحين عن البراء بن عازب قال : قال لى رسول الله ﷺ [إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن وقل اللهم أسلمت نفسى إليك ووجهت وجهى اليك وفوضت أمرى إليك وألجأت ظهرى اليك رغبة ورهبة اليك لا ملجأ ولا منجى منك الا اليك آمنت بكتابك

---

(١) رواه أبو داود والترمذى وقال حسن صحيح

(٢) أشارة الى قوله تعالى (الله يتوفى الأنفس) الاية

(٣) العالج ما تراكم من الرمل

الذى أنزلت وبنبيك الذى أرسلت فان مت من ليلتك فانت على الفطرة واجعلهن آخر ما تتكلم به](١)

﴿ الفصل الثالث فى أذكار الانتباه من النوم ﴾

روى البخارى فى صحيحه عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : [من تعار (٢) من الليل فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير . الحمد لله وسبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال اللهم اغفرلى أو دعا استجيب له فإن توضأ وصلى قبلت صلاته](٣)

وفى الترمذى (٤) عن أبى أمامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول [من آوى الى فراشه طاهرا وذكر الله تعالى حتى يدركه النعاس لم ينقلب ساعة من الليل يسأل الله تعالى فيها خيرا الا أعطاه إياه] حديث حسن

وفى سنن أبى داود عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان اذا استيقظ من الليل قال لا إله إلا أنت سبحانك اللهم استغفرك لذنبى

---

(١) وفى رواية [قال يعنى البراء فرددتها على النبى صلى الله عليه وآله وسلم فلما بلغت آمنت بكتابك الذى أنزلت قلت ورسولك . قال لا ونبيك الذى أرسلت]

(٢) [تعار] استيقظ من النوم مع كلام وقيل تمطى

(٣) قال النووى فى الأذكار هكذا ضبطناه فى أصل سماعنا المحقق وفى النسخ المعتمدة من البخارى وسقط قول لا إله إلا الله قبل والله أكبر فى كثير من النسخ ولم يذكره الحميدى أيضا فى الجمع بين الصحيحين وثبت هذا اللفظ فى رواية الترمذى وغيره وسقط فى رواية أبى داود

(٤) عزاه النووى فى الأذكار الى ابن السنى

وأسألك رحمتك اللهم زدنى علما ولا تزغ قلبى بعد إذ هديتنى وهب لى من لدنك رحمة انك أنت الوهاب] (١).

﴿ الفصل الرابع فى أذكار الفزع والأرق فى النوم والفكر ﴾

روى الترمذى عن بريدة قال: [شكا خالد بن الوليد الى النبى ﷺ فقال: يارسول الله ما أنام الليل من الأرق فقال النبى ﷺ: اذا أويت الى فراشك فقل اللهم رب السموات السبع وما أظلت ورب الارضين وما أقلت ورب الشياطين وما أضلت كن لى جارا من شر خلقك كلهم جميعا أن يفرط على أحد منهم أو أن يبغى على عز جارك وجل ثناؤك، ولا إله غيرك ولا إله إلا أنت] (٢)

وفى الترمذى عن عبد الله بن عمرو [أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم من الفزع كلمات أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون] وكان عبد الله بن عمرو يعلمهن من عقل من بنيه ومن لم يعقل كتبه وعلقه عليه (٣)

---

(١) قال النورى فى الأذكار إسناده لم يضعف اه ورواه الترمذى وابن حبان والنسائى والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين وصححه ابن حبان

(٢) قال فى الاذكار: باسناد ضعيف وضعفه أيضا الترمذى وعزاه المنذرى فى الترغيب والترهيب الى الطبرانى فى الكبير والاوسط وقال وإسناده جيد إلا أن عبد الرحمن بن سابط لم يسمع من خالد بن الوليد. ورواه الترمذى باسناد ضعيف ورواية الطبرانى فيها [عز جارك وتبارك اسمك] وليس فيها [وجل ثناؤك] الخ.

(٣) قال الترمذى حسن غريب. وعزاه المنذرى فى الترغيب والترهيب الى أبى داود والنسائى والحاكم

﴿ الفصل الخامس فى أذكار من رأى رؤيا يكرهها أو يحبها ﴾

فى الصحيحين عن أبى قتادة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول [الرؤيا من الله والحلم من الشيطان فاذا رأى أحدكم الشيء يكرهه فلينفث عن يساره ثلاث مرات إذا استيقظ وليتعوذ بالله من الشيطان فانها لن تضره ان شاء الله] .

قال أبو قتادة : كنت أرى الرؤيا تمرضنى حتى سمعت رسول ﷺ يقول [الرؤيا الصالحة من الله فاذا رأى أحدكم مايحب فلا يحدث به الا من يحب وإذا رأى مايكرهه فلا يحدث به وليتفل عن يساره وليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ومن شر مارأى فانها لا تضره] (١)

وفى صحيح مسلم عن جابر عن رسول الله ﷺ قال : [إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان ثلاثا وليتحول عن جنبه الذى كان عليه] (٢)

ويذكر عن النبى ﷺ [أن رجلا قص عليه رؤيا فقال خيرا رأيت وخيرا يكون]

---

(١) قال فى نزل الأبرار حديث أبى سلمة فى الصحيحين وغيرهما قال [لقد كنت أرى الرؤيا فتمرضنى حتى سمعت أبا قتادة يقول وأنا كنت أرى الرؤيا فتمرضنى حتى سمعت النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقول الرؤيا الحسنة من الله فاذا رأى أحدكم مايحب فلا يحدث به الا من يحب واذارأى ما يكره فليتعوذ بالله من شرها وشر الشيطان وليتفل ثلاثا ولا يحدث بها أحدا فانها لا تضره]

(٢) وعزاه المنذرى الى مسلم .وأبى داود . والنسائى وابن ماجه وفيه [وليتحول عن مكانه الذى كان عليه]

وفى رواية [خيرا تلقاه وشرا توقاه خيرا لنا وشرا على أعدائنا والحمد لله رب العالمين] (١)

﴿ الفصل السادس فى اذكار الخروج من المنزل ﴾

فى السنن عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ [من قال - يعنى إذا خرج من بيته - بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله يقال له كفيت ووقيت وهديت وتنحى عنه الشيطان فيقول لشيطان آخر كيف لك برجل قد هدى وكفى ووقى ؟].

وفى مسند الإمام أحمد عن أنس [بسم الله آمنت بالله اعتصمت بالله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله] حديث حسن .

وفى السنن الأربع عن سلمة قالت [ماخرج رسول الله ﷺ من بيتى إلا رفع طرفه إلى السماء فقال اللهم إنى أعوذ بك أن أضل أو أضل أو أزل أو أزل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل على] قال الترمذى حديث حسن صحيح

﴿ الفصل السابع فى أذكار دخول المنزل ﴾

فى صحيح مسلم عن جابر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول [إذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان لا مبيت لكم ولا عشاء. وإذا دخل فلم يذكر الله تعالى عند دخوله قال الشيطان أدركتم المبيت فاذا لم يذكر الله تعالى عند طعامه قال أدركتم المبيت والعشاء] .

وفى سنن أبى داود عن أبى مالك الأشعرى قال قال رسول الله ﷺ [إذا ولج الرجل بيته فليقل اللهم إنى أسألك خير المولج وخير المخرج بسم الله ولجنا وبسم الله خرجنا وعلى الله ربنا توكلنا ثم ليسلم على أهله

وفى الترمذى عن أنس قال [قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) قال فى نزل الأبرار أخرجه ابن السنى .

يابنى إذا دخلت على أهلك فسلم تكن بركة عليك وعلى أهل بيتك] قال الترمذى حديث حسن صحيح .

﴿ الفصل الثامن فى اذكار دخول المسجد والخروج منه ﴾

فى صحيح مسلم عن أبى حميد أو أبى أسيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. إذا دخل أحدكم إلى مسجد فليسلم على النبى صلى الله عليه وسلم وليقل [اللهم افتح لى أبواب رحمتك] وإذا خرج فليقل [اللهم إنى أسألك من فضلك] (١) .

وفى سنن أبى داود عن عبد الله بن عمرو عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا دخل المسجد قال أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم قال فاذا قال ذلك قال الشيطان حفظ منى سائر اليوم (٢)

﴿ الفصل التاسع فى أذكار الآذان ﴾

فى الصحيحين عن أبى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [إذا سمعتم النداء فقولوا مثل مايقول المؤذن] .

وفى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول [إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل مايقول ثم صلوا على فانه من صلى على صلاة صلى الله بها عشرا ثم سلوا الله لى الوسيلة فانها منزلة فى الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله وأرجو ان أكون أنا هو فمن سأل لى الوسيلة حلت عليه الشفاعة] .

وفى صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [إذا قال المؤذن الله أكبر الله أكبر قال أحدكم الله أكبر الله أكبر ثم

---

(١) قال النووى فى الأذكار ليس فى رواية مسلم [فليسلم على النبى ﷺ وهو فى رواية أبى داود النسائى وابن ماجه وأسانيدهم كلها صحيحة

(٢) قال النووى فى الأذكار حديث حسن بإسناد جيد .

قال أشهد أن لا إله إلا الله قال أشهد أن لا إله إلا الله . ثم قال أشهد أن محمداً رسول الله قال أشهد أن محمداً رسول الله ثم قال حى على الصلاة قال لا حول ولا قوة إلا بالله . ثم قال حى على الفلاح قال لا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال الله أكبر الله أكبر قال الله أكبر الله أكبر . ثم قال لا إله إلا الله قال لا إله إلا الله من قلبه دخل الجنة] (١) .

وفى صحيح البخارى عن جابر : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : [من قال حين يسمع النداء . اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته ـ حلت له شفاعتى يوم القيامة] (٢)

وفى سنن أبى داود عن عبد الله بن عمرو قال : [يا رسول الله إن المؤذنين يفضلوننا فقال رسول الله ﷺ قل كما يقولون فاذا انتهيت فسل تعطه] (٣)

وفى الترمذى عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة قالوا فماذا نقول يا رسول الله ؟ قال سلوا الله العافية فى الدنيا والآخرة] قال الترمذى حديث حسن صحيح (٤)

---

(١) وأخرجه البخارى أيضا وأبو داود والنسائى

(٢) ورواه مسلم وفيه [حلت عليه] فتكون اللام هنا بمعنى على كما قال الحافظ فى الفتح ورواه أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه والبيهقى فى سننه الكبرى وزاد [إنك لا تخلف الميعاد] قال فى الفتح قال الطيبي المراد بذلك قوله تعالى (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) قال ابن الجوزى والأكثر على أن المقام المحمود الشفاعة .

(٣) ورواه النسائى وابن حبان فى صحيحه وقال [تعط] بدون هاء

الذى فى جامع الترمذى المطبوع فى الهند أنه قال حديث أنس حسن ولم يقل صحيح وعزاه فى الجامع الصغير إلى أحمد . وأبى داود والترمذى والنسائى وابن حبان . وعلم عليه بالصحة

وفى سنن أبى داود عن سهل بن سعد قال قال رسول الله ﷺ [ثنتان لا تردان أو قلما تردان الدعاء عند النداء وعند البأس حين يلحم بعضهم بعضا] (١)

وفى سنن ابى داود عن أم سلمة قالت علمنى رسول الله ﷺ أن أقول عند المغرب اللهم هذا إقبال ليلك وإدبار نهارك واصوات دعاتك وحضور صلواتك فاغفر لى »

وفى سنن أبى داود عن بعض اصحاب النبى ﷺ ان بلالا أخذ فى الاقامة فلما ان قال قد قامت الصلاة قال النبى ﷺ أقامها الله وأدامها » (٢)

فهذه خمس سنن فى الآذان إجابته وقول [رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد ﷺ رسولا] وسؤال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم الوسيلة والفضيلة والصلاة عليه ﷺ والدعاء لنفسه بما شاء

عن سعد بن أبى وقاص عن رسول الله ﷺ قال من قال حين يسمع المؤذن وأنا أشهد أن لا إله إلا وحده لاشريك له وأن محمدا عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد ﷺ رسولا غفر الله له ذنوبه » (٣)

الفصل العاشر فى أذكار الاستفتاح

فى الصحيحين أن النبى ﷺ كان يقول فى استفتاحه اللهم باعد بينى وبين

---

(١) « يلحم » بالحاء المهملة أى حين ينشب بعضهم ببعض فى الحرب

(٢) رواه أبو داود عن رجل من أهل الشام عن شهر بن حوشب عن أبى أمامة أو عن بعض أصحاب النبى ﷺ قال المنذرى فى إسناده رجل مجهول وشهر بن حوشب تكلم فيه غير واحد ووثقه الإمام أحمد ويحيى ابن معين اه وقال البيهقى هذا إن صح شاهد لما استحسنه الشافعى رحمه الله من قولهم « اللهم أقمها وأدمها واجعلنا من صالحى أهلها عملا

(٣) رواه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه

خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب ، اللهم نقنى من خطاياى كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس اللهم اغسلنى من خطاياى بالماء والثلج والبرد » (١)

وفى سنن أبى داود عن جبير بن مطعم أنه رأى رسول الله صلى عليه وآله وسلم يصلى صلاة قال [الله أكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا ، وسبحان الله بكرة وأصيلا (ثلاثا) أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، من نفخه ونفثه وهمزه قال نفثه الشعر ونفخه الكبر وهمزه الموتة] (٢)

---

(١) رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة قال [كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسكت بين التكبير وبين القراءة سكتة قال : أحسبه هنية فقلت ، بأبى وأمى أنت يارسول الله فى سكتتك بين التكبير والقراءة ما تقول ؟ قال : أقول اللهم باعد الخ] وهذه الألفاظ كناية عن محو الذنوب ورفع أثرها قال فى شرح العدة وهذا الحديث أصح الأحاديث الواردة فى التوجه وكل ما صح من التوجهات كان مجزئا ولا وجه للقول بأنه لا يجزىء إلا واحدا منها معين كما يقول بعض أهل العلم ولكن ينبغى العدول إلى الأصح وإن كان غيره من الصحيح مجزئا اه وقال النووى فى الأذكار وجاء فى الباب أحاديث أخر منها حديث عائشة [كان النبى ﷺ إذا افتتح الصلاة قال سبحانك اللهم وبحمدك الخ] رواه الترمذى وأبو داود وابن ماجه بأسانيد ضعيفة وضعفه أبو داود والترمذى والبيهقى وغيرهم ورواه أصحاب السنن الأربعة عن أبى سعيد قال الترمذى هذا حديث لا نعرفه إلا عن حارثة . وقد تكلم فيه غير واحد من قبل حفظه وقال البيهقى روى عن أنس وابن مسعود مرفوعا وكلها ضعيفة وأصح ما روى فيه عن عمر موقوفا

(٢) هى بواو ساكنة غير مهموزة ـ الجنون قال الصغانى فى العباب سمى الشعر نفثا لأنه كالشىء ينفث من الفم كالرقية وسمى الكبر نفخا لما يوسوس إليه الشيطان فى نفسه ليعظها عنده ويحقر الناس فى عينه حتى يدخله الزهو وهمزات الشياطين خطراتها التى تخطرها بقلب الانسان

وفى السنن الأربعة عن عائشة . وأبى سعيد وغيرهما [أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا استفتح الصلاة قال : سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك] وهو فى صحيح مسلم عن عمر موقوفا عليه .

وفى صحيح مسلم (١) عن على بن أبى طالب قال كان رسول الله صلى الله الله عليه وسلم إذا قام إلى الصلاة قال [وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين ﴿ إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ﴿ لا شريك له وبذلك أمرت وما أنا من المسلمين . اللهم أنت لا إله إلا أنت ، أنت ربى وأنا عبدك ، ظلمت نفسى ، واعترفت بذنبى فاغفر لى ذنوبى جميعاً إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت . واصرف عنى سيئها لا يصرف عنى سيئها إلا أنت : لبيك وسعديك . والخير كله فى يديك والشر ليس إليك ، أنا بك وإليك تباركت وتعاليت أستغفرك وأتوب إليك - وكان إذا ركع يقول فى ركوعه - اللهم ركعت ، وبك آمنت ولك أسلمت خشع لك سمعى وبصرى ، ومخى وعظمى وعصبى وإذا رفع رأسه من الركوع يقول سمع الله لمن حمده . ربنا ولك الحمد ، ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شىء بعد ، إذا سجد يقول فى سجوده . اللهم لك سجدت ، وبك آمنت ولك أسلمت سجد وجهى للذى خلقه وصوره وشق سمعه وبصره تبارك الله أحسن الخالقين وكان آخر ما يقول بين التشهد والتسليم اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت وما أنت أعلم به منى إنك أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت] (٢)

---

(١) ورواه أيضا الشافعى وأحمد وأصحاب السنن وغيرهم مختصرا ومطولا
(٢) ورواه أحمد وأبو داود والنسائى والترمذى وقال حسن

وفى صحيح مسلم عن عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يفتتح صلاته إذا قام من الليل اللهم رب جبريل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون أهدنى لما اختلف فيه من الحق باذنك إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم.

وفى الصحيحين عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول إذا قام إلى الصلاة من جوف الليل اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت قيام (١) السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت رب السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق وقولك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد حق والساعة حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لى ماقدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت إلهى لاإله إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك

﴿ الفصل الحادى عشر ﴾

(فى ذكر الركوع والسجود والفصل بينهما وبين السجدتين)

فى السنن الأربعة عن حذيفة رضى الله تعالى عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول إذا ركع سبحان ربى العظيم ثلاث مرات وإذا سجد قال سبحان ربى الأعلى ثلاث مرات وفيه حديث على رضى الله تعالى عنه وقد سبق فى الفصل قبله بطوله .

صحيح وابن حبان وزاد بعد قوله حنيفا مسلما وقد جاء فى روايات أن هذا الحديث فى صلاة مكتوبه وفى بعضها مقيدا بصلاة الليل وفى بعضها مطلقا

(١) قال أبو عبيد : القيوم القائم على كل شىء أى المدبر أمر خلقه وفيه لغات قيوم وقيام وقيم ولفظ الموطأ أنت قيام السموات والأرض

وفى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى عليه وآله وسلم يكثر أن يقول فى ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفرلى »(١)

وفى صحيح مسلم عنها رضى الله تعالى عنها كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول فى ركوعه وسجوده سبوح قدوس رب الملائكة والروح(٢)

وفى سنن أبى داود عن عوف بن مالك رضى الله عنه أن النبى ﷺ

---

(١) فى البخارى فى آخره يتأول القرآن قال الحافظ فى الفتح : أى يفعل ماأمر به فيه وقد تبين من رواية الأعمش أن المراد بالقرآن بعضه وهو السورة المذكورة أى سورة إذا جاء نصر الله ووقع فى رواية ابن السكن عن الفربرى قال أبو عبد الله يعنى قوله تعالى (فسبح بحمد ربك واستغفره) قال ابن دقيق العيد يؤخذ من هذا الحديث اباحة الدعاء فى الركوع وإباحة التسبيح فى السجود ولا يعارضه قوله صلى الله عليه وآله وسلم أما الركوع فعظموا فيه الرب وأما السجود فاجتهدوا فيه من الدعاء اخرجه مسلم وأبو داود وفيه فقمن ان يستجاب لكم اه باختصار وروى احمد وابو داود وابن ماجه من حديث عقبة بن عامر قال لما نزلت (فسبح اسم ربك العظيم) قال لنا رسول الله ﷺ اجعلوها فى ركوعكم فلما نزلت (سبح اسم ربك الأعلى قال اجعلوها فى سجودكم ، وأخرج أبو داود والترمذى من حديث ابن مسعود أن النبى ﷺ قال (اذا ركع أحدكم فقال فى ركوعه سبحان ربى العظيم ثلاث مرات وذلك أدناه فقد تم ركوعه وإذا سجد وقال فى سجوده سبحان ربى الأعلى ثلاث مرات وذلك أدناه فقد تم سجوده)

(٢) أخرجه مسلم عن عقبة بن عامر

كان يقول فى ركوعه وسجوده سبحان ذى الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة]

وفى صحيح مسلم عن أبى سعيد رضى الله عنه قال [كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا رفع رأسه من الركوع قال [اللهم ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شىء بعد أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد] (١)

وفى صحيح البخارى عن رفاعة بن رافع رضى الله عنه قال [كنا نصلى يوما وراء النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلما رفع رأسه من الركعة قال سمع الله لمن حمده فقال رجل من ورائه ربنا ولك الحمد حمداً كثيرا طيبا مباركا فيه فلما انصرف قال من المتكلم ؟ قال أنا يا رسول الله قال [لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكا يبتدرونها أيهم يكتبها أولى] (٢)

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه [أن رسول الله ﷺ قال أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء]

وعنه رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول فى سجوده [اللهم اغفر لى ذنبى كله دقه وجله أوله وآخره وعلانيته وسره]

وقالت عائشة رضى الله عنها [افتقدت النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فالتمسته فوقعت يدى على بطن قدميه وهو فى المسجد وهما منصوبتان وهو يقول [اللهم إنى أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك

---

(١) أى لا ينفع ذا الحظ والغنى والجاه من قوتك وقدرتك وسطوتك غناه وجاهه

(٢) وأخرجه أبو داود والنسائى وأخرجه الشيخان وغيرهما من حديث أنس بن مالك [أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال إذا قال الإمام سمع الله لمن حمده فقولوا ـ الحديث

منك لاأحصى ثناء عليه أنت كما أثنيت على نفسك] روى مسلم هذه الأحاديث
وفى سنن أبى داود عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال كان رسول الله ﷺ يقول بين السجدتين اللهم اغفرلى وارحمنى واهدنى واجبرنى وعافنى وارزقنى].

وفى السنن أيضا عن حذيفة رضى الله تعالى عنه وأرضاه أن رسول الله ﷺ كان يقول بين السجدتين [رب أغفرلى رب اغفرلى](١)

(الفصل الثانى عشر)
(فى أدعية الصلاة بعد التشهد)

فى الصحيحين عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم [إذا فرغ أحدكم من التشهد فليتعوذ بالله من أربع من عذاب القبر ومن عذاب جهنم .ومن فتنة المحيا والممات .ومن شر فتنة المسيح الدجال].

وفيهما أيضا عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ كان يدعو فى الصلاة [اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات .اللهم إنى أعذ بك من المأثم والمغرم (١) فقال قائل ما أكثر ماتستعيذ من المغرم ؟ فقال : ان الرجل إذا غرم حدث فكذب ووعد فاخلف].

---

(١) وفى الصحيحين وغيرهما من حديث أنس قال [رأيت رسول الله ﷺ يصلى بنا وكان إذا رفع رأسه من الركوع انتصب قائما حتى يقول الناس قد نسى] وكذلك فى الرفع من السجود

(٢) المأثم مايوجب الإثم والمغرم الدين وفتنة المحيا ما يعرض للإنسان طول حياته من فتن الدنيا وفتنة الممات عند الموت أو فى القبر والمسيح بالحاء المهملة يظهر على يده أمور يضل بها من ضعف إيمانه كما جاء ذلك فى أحاديث كثيرة صحيحة وقوله صلى الله عليه وسلم [فليتعوذ] بلام الامر

وقد تقدم فى الصحيحين أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه قال لرسول الله ﷺ [علمنى دعاء أدعو به فى صلاتى فقال : قل اللهم إنى ظلمت نفسى ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت . فاغفرلى مغفرة من عندك وارحمنى إنك أنت الغفور الرحيم] .

وفى صحيح مسلم من حديث على رضى الله عنه فى صفة صلاة رسول الله ﷺ وقد تقدم بطوله فى الفصل العاشر .

وفى سنن أبى داود أن النبى ﷺ قال لرجل [كيف تقول فى الصلاة قال أتشهد وأقول اللهم إنى أسألك الجنة وأعوذ بك من النار أما أنى لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ فقال النبى صلى الله عليه وسلم حولها ندندن] .

وفى المسند والسنن عن شداد ابن أوس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول فى صلاته [اللهم إنى أسألك الثبات فى الأمر

يدل على أن ذلك الدعاء واجب بعد التشهد وقد جاء فى حديث ابن مسعود ان النبى صلى الله عليه وسلم ـ كان يعلمهم التشهد كما يعلمهم السورة من القرآن وقال فى آخره [ثم ليتخير من الدعاء أعجبه اليه فيدعو] أخرجه البخارى ومسلم وفيه أمر المصلى أن يدعو الله فى آخر صلاته بأحب الأشياء اليه من أمور الدنيا والآخرة ويطيل فى ذلك أو يقصر حسب حاجته وقد روى عن ابن عمر انه قال [إنى لأدعو الله فى صلاتى حتى لشعير حمارى وملح بيتى] وعن عروة بن الزبير مثله وكان على رضى الله عنه يقنت على قوم يسميهم بأسمائهم فى صلاته وكان أبو الدرداء يدعو لسبعين رجلا فى صلاته ويقول انى لأدعوك لسبعين أخا من اخوتى أسميهم بأسمائهم وكان ابن الزبير يدعو للزبير فى صلاته وكان أحمد بن حنبل يدعو الشافعى فى صلاته وبعد صلاته اه من نزل الأبرار .

والعزيمة على الرشد وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك وأسألك قلبا سليما ولسانا صادقا وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم واستغفرك لما تعلم إنك أنت علام الغيوب].

وفى سنن النسائى أن عمار بن ياسر صلى صلاة ودعا فيها بدعوات وقال سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحينى إذا علمت الحياة خيرا لى وتوفنى إذا علمت الوفاة خيرا لى اللهم إنى أسألك خشيتك فى الغيب والشهادة وأسألك كلمة الحق فى الغضب والرضا وأسألك القصد فى الفقر والغنى وأسألك نعيما لا ينفد وأسألك قرة عين لا تنقطع وأسألك الرضا بعد القضاء وأسألك برد العيش بعد الموت وأسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم والشوق إلى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين].

﴿ الفصل الثالث عشر ﴾

﴿ فى الأذكار المشروعة بعد السلام وهو إدبار السجود ﴾

فى صحيح مسلم عن ثوبان رضى الله عنه قال [كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاته استغفر الله ثلاثا وقال اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام] (١)

وفى الصحيحين عن المغيرة بن شعبة [أن رسول الله ﷺ كان إذا فرغ من الصلاة قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد

وفى صحيح مسلم عن عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما [أن رسول الله ﷺ كان يهلل دبر كل صلاة حين يسلم بهؤلاء الكلمات

(١) ورواه أحمد وأصحاب السنن

لا اله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا حول ولا قوة إلا بالله لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن لا إله الا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون] .

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال : [من سبح الله فى دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وكبر الله ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين وقال تمام المائة لا إله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر]

وفى السنن عن عبد الله بن عمر عن النبى ﷺ قال : [خصلتان أو خلتان لا يحافظ عليهما عبد مسلم إلا دخل الجنة هما يسير ومن يعمل بهما قليل يسبح الله فى دبر كل صلاة عشرا ويحمده عشرا ويكبره عشرا فذلك خمسون ومائة باللسان وألف وخمسمائة فى الميزان ويكبره أربعا وثلاثين إذا أخذ مضجعه ويحمد ثلاثا وثلاثين فذلك مائة باللسان وألف فى الميزان قال ولقد رأيت رسول الله صلى الله ويسبح ثلاثا عليه وسلم يعقدها بيده قالوا :

يارسول الله كيف هما يسير ومن يعمل بهما قليل قال يأتى أحدكم - يعنى الشيطان - فى منامه فينومه قبل أن يقولها ويأتيه فى صلاته فيذكره حاجته قبل أن يقولها] .

وفى السنن عن عقبة بن عامر قال أمرنى رسول الله ﷺ أن أقرأ بالمعوذتين دبر كل صلاة .

وفى النسائى الكبير عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : [من قرأ آية الكرسى عقب كل صلاة لم يمنعه من دخول الجنة الا أن يموت يعنى لم يكن بينه وبين دخول الجنة الا الموت

﴿ الفصل الرابع عشر فى ذكر التشهد ﴾

فى الصحيحين عن عبدالله بن مسعود قال : [علمنى رسول الله صلى عليه وسلم التشهد وكفى بين كفيه كما يعلمنى السورة من القرآن التحيات لله والصلوات

والطيبات والسلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله والصالحين أشهد أن لا إله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله](١).

---

(١) روى البخارى . وأبو داود عن عبد الله بن مسعود قال [كنا اذا صلينا خلف النبى ﷺ وفى رواية أبى داود : كنا اذا جلسنا فى الصلاة مع النبى ﷺ — قلنا السلام على الله السلام على جبريل وميكائيل . السلام على فلان وفلان فالتفت الينا رسول الله ﷺ فقال . ان الله هو السلام . فاذا صلى أحدكم فليقل التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته . السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فانكم اذا قلتموها أصاب كل عبد لله صالح فى السماء والأرض . أشهد لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله] قال الحافظ فى الفتح (التحيات) جمع تحية ومعناها السلام . وقيل البقاء وقيل العظمة وقيل : السلامة من الآفات والنقص . وقيل الملك . وقال أبو سعيد الضرير ليست التحية الملك نفسه . لكنها الكلام الذى يحيا به الملك . وقال ابن قتيبة لم يكن يحيا الا الملك خاصة وكان لكل ملك تحية تخصه فلهذا جمعت فكان المعنى التحيات التى كانوا يسلمون بها على الملوك كلها مستحقة لله وقال الخطابى ثم البغوى ولم يكن فى تحياتهم شىء يصلح للثناء على الله فلهذا أبهمت ألفاظها واستعمل منها معنى التعظيم فقال قولوا التحيات لله أى أنواع التعظيم له . قال الترمذى حديث ابن مسعود روى عنه من غير وجه وهو أصح حديث روى فى التشهد والعمل عليه عند أكثر أهل العلم من الصحابة ومن بعدهم . قال وذهب الشافعى إلى حديث ابن عباس فى التشهد وقال البزار لما سئل عن أصح حديث فى التشهد — هو عندى حديث ابن مسعود وروى من نيف وعشرين طريقا ثم سردا أكثرها . وقال لا أعلم فى التشهد أثبت منه ولا أصلح أسانيد ولا أشهر رجالا اهوالا اختلاف بين أهل الحديث فى ذلك وممن جزم بذلك البغوى فى شرح السنة ومن مرجحاته أنه

وفى صحيح مسلم عن ابن عباس قال : [كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن وكان يقول التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله]

وفى صحيح مسلم عن أبى موسى أن النبي ﷺ علمهم التشهد [التحيات الطيبات والصلوات لله السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله]

وروى أبو داود عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ فى التشهد [التحيات لله الصلوات الطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله]

متفق عليه دون غيره وأن الرواة عنه من الثقات لم يختلفوا فى ألفاظه بخلاف غيره وإنه تلقاه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم تلقيناً فروى الطحاوى من طريق الأسود بن يزيد عنه قال [أخذت التشهد من رسول الله ولقننيه كلمة كلمة ولأحمد من حديث ابن مسعود [ان رسول الله علمه التشهد وأمره أن يعلمه الناس] ولم ينقل ذلك لغيره ففيه دليل مزيته

(فائدة) قال القفال فى فتاويه ترك الصلاة يضر بجميع المسلمين لأن المصلى يقول اللهم اغفر لى وللمؤمنين والمؤمنات ولا بد أن يقول فى التشهد [السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين] فيكون مقصرا فى خدمة الله وفى حق رسول الله وفى حق نفسه وفى حق كافة المسلمين ولذلك عظمت المصيبة بتركها واستنبط منه السبكى أن فى الصلاة حقا للعباد مع حق الله وان من تركها أخل بحق جميع المؤمنين من مضى ومن يجيء إلى يوم القيامة لوجوب قوله فيها [السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين] اه (ج ٢ ص ٢١١ - ٢١٥) باختصار

وروى أبو داود عن سمرة بن جندب [اما بعد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا كان فى وسط الصلاة أو حين انقضائها فابدؤا قبل السلام فقولوا التحيات والصوات الملك لله ثم سلموا على اليمين ثم على قارئكم وعلى أنفسكم].

وذكر مالك فى الموطأ أن عمر كان يعلم الناس التشهد وهو على المنبر يقول [قولوا التحيات لله الزاكيات لله الصلوات الطيبات لله السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله] فأى تشهد أتى به من هذه التشهدات أجزأه.

وذهب الإمام أحمد وابو حنيفة إلى تشهد ابن مسعود وذهب الشافعى (١) إلى تشهد ابن عباس وذهب مالك إلى تشهد عمر رضى الله عنه والكل كاف يجزى.

(الفصل الخامس عشر فى ذكر الصلاة على النبى ﷺ (٢))

فى الصحيحين عن كعب بن عجرة رضى الله عنه قال [خرج علينا رسول

---

(١) قال الشافعى ـ بعد أن أخرج حديث ابن عباس ـ رويت أحاديث فى التشهد مختلفة وكان هذا أحب إلى لأنه أكملها وقال فى موضع آخر ـ وقد سئل عن اختياره تشهد ابن عباس ـ لما رأيته واسعا وسمعته عن ابن عباس صحيحا كان عندى أجمع وأكثر لفظا من غيره وأخذت به غير معنف لمن يأخذ بغيره مما صح.

(٢) ألف الإمام الحافظ ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى كتابا فى الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم حكمها وألفاظها وفضلها ومعناها أسماه جلاء الأفهام فى الصلاة على خير الأنام وهو من أنفس الكتب وأجلها وقريبا سنشرع بطبعه إن شاء الله تعالى. أقام الأدلة الكثيرة القوية على وجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى الصلاة فى التشهد الأول

الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلنا قد عرفنا كيف نسلم عليك فكيف نصلى عليك ؟ قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد]

وفى الصحيحين أيضا عن أبى حميد الساعدى أنهم قالوا [يارسول الله ، كيف نصلى عليك ؟ قال . قولوا : اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وعلى أزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد] .

وفى صحيح مسلم عن أبى مسعود الأنصارى قال [أتانا رسول الله ﷺ ونحن فى مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد أمرنا الله أن نصلى عليك يارسول الله . كيف نصلى عليك ؟ قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا أنه لم يسأله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم)(١)

وذكر ابن ماجه فى سننه عن عبد الله بن مسعود قال (إذا صليتم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأحسنوا الصلاة فانكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه قال فقالوا له فعلمنا . قال قولوا : اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك إمام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما يغبطه به الأولون اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد]

والثانى فارجع إليه فإن فيه خيرا عظيم وعلما كثيرا

(١) قوله (فى العالمين) ليس فى رواية مسلم ولكنه فى رواية أبى داود

الفصل السادس عشر فى الاستخارة (١)

فى صحيح البخارى عن جابر قال [كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعلمنا الاستخارة فى الأمر كما يعلمنا السورة من القرآن يقول : إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل : اللهم استخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدرو ولاأقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر - ويسمى حاجته خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى فاقدره لى ويسره لى ثم بارك لى فيه وإن كنت تعلم أن هـذا الأمر شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى فاصرفه عنى واصرفنى عنه واقدر لى الخير حيث كان ثم ارضنى به] .

وفى مسند الإمام أحمد من حديث سعد بن أبى وقاص عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال [من سعادة ابن آدم استخارة الله ومن سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله . ومن شقوة ابن آدم تركه استخارة الله ومن شقوة ابن آدم سخطه بما قضى الله] .

---

(١) الاستخارة طلب اختيار الخير ممن يعلمه ويقدر عليه وذلك لا يكون على حقيقته إلا من الله سبحانه وتعالى والحديث فى ألفاظه ومعانيه يدل على تفويض العبد كل التفويض لله تعالى وخالص توكله عليه وعظيم ثقته به وأنه يتخلى عن شأنه كله لله تعالى لأنه هو العالم القادر على كل شىء وهذا هو لب الإيمان وحقيقة التوحيد أما ما يصنعه الجهال والدجالون من العد على حبات السبحة أو التبييت بالليل ليرى فى منامه شيأ فذلك بعيد عن الايمان والتوكل على الله ومناف لما أوصى به رسول الله ﷺ أصحابه والمؤمنين به فهو بدعة سيئه بل ربما كان فى بعض الأوقات منافيا للتوحيد الخالص والتوكل على الله وإن زعم من يعمل تلك الاستخارات المبتدعة أنه من الصالحين بل وإن رأى فى منامه ما تلاعب به الشيطان وأوهمه أن ذلك نتيجة هذا التبيت

وكان شيخ الاسلام ابن تيمية رضى الله عنه يقول ماندم من استخار الخالق وشاور المخلوقين وثبت فى أمره وقد قال سبحانه وتعالى

(١٥٩٠٣ وشاورهم فى الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله) وقال قتادة ماشاور قوم يبتغون وجه الله إلى هدوا إلى أرشد أمرهم

﴿ الفصل السابع عشر ﴾

(فى أذكار الكرب والغم والحزن والهم)

فى الصحيحين عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول عند الكرب [لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم] .

وفى الترمذى عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا حزبه أمر قال [ياحى ياقيوم برحمتك استغيث]

وفيه أيضا عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا أهمه الأمر رفع رأسه إلى السماء فقال سبحان الله العظيم واذا اجتهد فى الدعاء قال ياحى ياقيوم] .

وفى سنن أبى داود عن أبى بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال [دعوات المكروب اللهم رحمتك أرجو فلا تكلنى إلى نفسى طرفة عين وأصلح لى شأنى كله لا إله إلا أنت]

وفى السنن أيضا عن أسماء بنت عميس قالت قال لى رسول الله ﷺ [ألا أعلمك كلمات تقوليهن عند الكرب - أو فى الكرب ؟ الله الله ربى لا أشرك به شيئا]

وفى رواية أنها تقال سبع مرات

وفى الترمذى عن سعد بن أبى وقاص قال قال رسول الله ﷺ [دعوة ذى النون إذ دعا وهو فى بطن الحوت (لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت

من الظالمين) لم يدع بها رجل مسلم فى شىء قط إلا استجيب له]،
وفى رواية له [إنى الأعلم كلمة لا يقولها مكروب إلا فرج الله عنه كلمة أخى يونس عليه السلام].

وفى مسند الامام أحمد وصحيح ابن حبان عن عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ، ماأصاب عبدا هم ولا حزن فقال اللهم انى عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتى بيدك ماض فى حكمك عدل فى قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبى ونور بصرى وجلاء حزنى وذهاب همى إلا أذهب الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرحا](١)

﴿ الفصل الثامن عشر ﴾

(فى الاذكار الجالبة للرزق الدافعة للضيق والأذى)

قال الله سبحانه وتعالى عن نبيه نوح ﷺ (٧١ . ١٠ ، ١١ ، ١٢ فقلت أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُم إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِل السَّمَاء عليكُمْ مدْرَاراً وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَال وبنين وَيَجْعَلْ لكُمْ جنَّات ويَجْعَلْ لكم أنْهَاراً).

وفى بعض المسانيد عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب].

وذكر أبو عمر بن عبد البر فى التمهيد له حديثا مرفوعا إلى النبى ﷺ

---

(١) ساقه فى نزل الابرار من كتاب ابن السنى من حديث أبى موسى ثم ذكره من حديث مسعود . وقال رواه ابن حبان وأحمد وأبويعلى والبزار ورجال أحمد وأبى يعلى رجال الصحيح وصححه الحاكم .

[من قرأ سوورة الواقعة كل يوم لم تصبه فاقة أبدا] (١).

الفصل التاسع عشر

(فى الذكر عند لقاء العدو ومن يخاف سلطانا وغيره)

فى سنن أبي داود والنسائى عن أبي موسى [ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا خاف قوما قال: اللهم انا نجعلك فى نحورهم ونعوذ بك من شرورهم].

ويذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول: عند لقاء العدو [اللهم أنت عضدى وأنت ناصرى وبك أقاتل]

وعنه صلى الله عليه وسلم [انه كان فى غزوة فقال: يامالك يوم الدين إياك أعبد وإياك أستعين] قال أنس [فلقد رأيت الرجال تصرعها الملائكة من بين يديها ومن خلفها(٢).

---

(١) ذكره الحافظ ابن كثير فى أول تفسير الواقعة. قال قال بن الحافظ ابن عساكر فى ترجمة عبد الله بن مسعود فساقه بسنده أن عثمان بن عفان دخل على ابن مسعود يعوده فى مرضه فقال: [ماتشتكى؟ فقال: ذنوبى قال فما تشتهى قال رحمة ربى. قال. ألا آمر لك بطبيب؟ قال الطبيب أمرضنى قال ألا آمر لك بعطاء؟ قال لاحاجة لى فيه. قال يكون لبناتك من بعدك. قال أتخشى على بناتى الفقر؟ انى أمرت بناتى يقرأن كل ليلة سورة الواقعة فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا] ثم ساق له طريقين آخرين.

قال فى نزل الابرار رواه ابن السنى وفى ترجمة شيخ الاسلام ابن تيمية رضى الله عنه انه خرج مرة مع السلطان فى غزو الكفار فلما تراءى الجمعان قال السلطان ياخالد بن الوليد كأنه تفاءل بهذا اللفظ المفتح. فصرخ الشيخ ابن تيمية عليه وقال قل. اياك نعبد واياك نستعين فقالها فانهزم العدو. وكان النصر للسلطان

وعن ابن عمر قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [إذا خفت سلطانا أو غيره فقل لا إله إلا الله الحليم الكريم سبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم لا إله إلا أنت عز جارك وجل ثناؤك (١) .

وفي صحيح البخاري عن ابن عباس قال [حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم صلى الله عليه وسلم حين ألقي في النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قال له الناس (إنَّ النَّاسَ قد جمعوا لكم فاخشوهم)

﴿ الفصل العشرون في الأذكار التي تطرد الشيطان ﴾

قد تقدم أن من قرأ آية الكرسي عند نومه لم يقربه شيطان . وأن من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة كفتاه ومن قال في يومه مائة مرة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير كانت له حرزا من الشيطان في يومه كله

وقد قال تعالى (٢٣ ، ٩٧ : ٩٨ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ)

وكان النبي ﷺ يقول [أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه] .

وقال سبحانه وتعالى (٤١ ، ٣٦ وإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)

والأذان يطرد الشيطان كما تقدم

وعن زيد بن أسلم أنه ولي معان فذكروا كثرة الجن فأمرهم أن يؤذنوا كل وقت ويكثروا من ذلك فلم يكونوا يرون بعد ذلك شيئا

وفي صحيح مسلم عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه أنه قال [يا رسول الله

---

(١) قال في نزل الأبرار رواه ابن السني

ان الشيطان حال بينى وبين صلاتى وبين قراءتى يلبسها على . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك شيطان يقال له خنزب فاذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثا ففعلت ذلك فأذهبه الله عز وجل عنى »

وأمر ابن عباس رجلا وجد فى نفسه شيئا من الوسوسة والشك أن يقرأ (٥٧ ٣ هوَ الأوَّلُ والآخرُ والظَّاهرُ والبَاطنُ وهوَ بكلِّ شيءٍ عَليمٌ) ومن أعظم ما يندفع به شره قراءة المعوذتين وأول الصافات وآخر الحشر .

الفصل الحادى والعشرون

فى الذكر الذى يحفظ به النعم وما يقال عند تجردها

قال الله سبحانه وتعالى فى قصة الرجلين (وَلَوْلَا إذ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَاشَاءَ ٱللّهُ لا قُوَّةَ إلاَّ باللّهِ) .

فينبغى لمن دخل بستانه أوداره أورأى فى ماله وأهله مايعجبه أن يبادر إلى هذه الكلمة فان لا يرى فيه سوأ

وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماأنعم الله على عبد نعمة فى أهل ومال وولد فقال ما شاء الله لا قوة إلا بالله فيرى فيها آفة دون الموت » (١)

وعنه صلى الله عليه وسلم [أنه كان اذا رأى مايسره قال الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات واذا رأى مايسوءه قال الحمد لله على كل حال]

(الفصل الثانى والعشرون فى الذكر عند المصيبة)

قال الله تعالى (٢ ، ١٥٦ ، ١٥٧ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الذينَ إذا أصَابَتْهُمْ مُصيبةٌ قالوا إنَّا لله وإنَّا إليْه رَاجعُونَ أولَئكَ عَلَيْهم صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهم وَرحْمَةٌ وأولَئكَ هُمُ المُهْتَدونَ) .

---

(١) قال فى نزل الأبرار رواه ابن السنى

ويذكر عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [ليسترجع أحدكم فى كل شىء حتى فى شسع نعله فانها من المصائب] (١)

وقالت أم سلمة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول . ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول إنا لله وإنا إليه راجعون . اللهم آجرنى فى مصيبتى واخلف لى خيرا منها الا آجره الله تعالى فى مصيبته وأخلف له خير منها قالت فلما توفى أبو سلمة قلت كما أمرنى رسول الله ﷺ فاخلف الله لى خيرا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم(٢) وروى أيضا عنها رضى الله عنها قالت (دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبى سلمة وقد شق بصره فأغمضه ثم قال ان الروح إذا قبض تبعه البصر فضج ناس من أهله فقال لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فان الملائكة يؤمنون على ماتقولون ثم قال اللهم اغفر لأبى سلمة وارفع درجته فى المهديين واخلفه فى عقبه فى الغابرين واغفر لنا وله يا رب العالمين وافسح له فى قبره ونور له فيه (٣)] ؟

---

(١) ذكره صديق حسن خان عن كتاب ابن السنى . ثم قال قال فى الأذكار الشسع بكسر الشين ثم تاسكان السين المهملة أحد سيور النعل التى تشد به إلى زمامها

(٢) انفرد بروايته مسلم وأم سلمة اسمها هند كانت وزوجها أبو سلمة من السابقين الاولين والمهاجرين الصادقين رضى الله عنهم أجمعين

(٣) رواه مسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجة قال النووى فى الاذكار شق بفتح الشين وضم الراء . من بصره هكذا الرواية فيه باتفاق الحفاظ وأهل الضبط قال صاحب الأفعال يقال شق بصر الميت وشق الميت بصره إذا شخص

(الفصل الثالث والعشرون)
(فى الذكر الذى يدفع به الدين ويرجى قضاؤه)

فى الترمذى عن على رضى الله تعالى عنه [أن مكاتبا جاءه ، فقال : إنى عجزت عن كتابتى فأعنى ، فقال ألا أعلمك كلمات علمنيهن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو كان عليك مثل جبل صبر دينا إلا أداه الله عنك ؟ قل اللهم اكفنى بحلالك عن حرامك وأغننى بفضلك عمن سواك] قال الترمذى حديث حسن (١)

(الفصل الرابع والعشرون)
(فى الذكر الذى يرقى به من اللسعة واللدغة وغيرهما)

فى صحيح البخارى عن عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعوذ الحسن والحسين رضى الله عنهما ويقول ان أباكما إبراهيم كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة] (٢)

وفى الصحيحين عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه [أن رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم رقى لديغا بفاتحة الكتاب . فجعل يتفل عليه

---

(١) ورواه أيضا الحاكم فى المستدرك وصححه [وجبل صبر] بفتح الصاد المهملة وكسر الموحدة - جبل باليمن مشهور

(٢) قال فى نزل الأبرار قال العلماء الهامة بتشديد الميم وهى كل ذات سم كالحية وغيرها والجمع الهوام قالوا وقد يقع الهوام على ما يدب من الحيوان وإن لم يقتل كالحشرات ومنه حديث كعب بن عجرة [أيؤذيك هوام رأسك] أى القمل ؟ وأما العين اللامة فهى بتشديد الميم وهى الى تصيب ما نظرت إليه بسوء

ويقرأ (الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ) فكأنما نشط من عقال فانطلق يمشى وما به قلبة - الحديث] (١)

وفى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا اشتكى الإنسان الشىء أو كانت قرحة به أو جرح قال النبى صلى الله عليه وسلم بأصبعه هكذا - ووضع سفيان بن عتيبة أصبعه بالأرض ثم رفعها - وقال : بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا ويشفى به سقيمنا بإذن ربنا] (٢)

وفى الصحيحين أيضا عنها رضى الله عنها [أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعوذ بعض أهله : يمسح بيده اليمنى ويقول : اللهم رب الناس اذهب الباس واشف وأنت الشافى لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما] (٣)

وفى صحيح مسلم عن عثمان بن أبى العاص رضى الله عنه [أنه شكا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعا يجده فى جسده منذ أسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم ضع يدك على الذى تألم من جسدك وقل : بسم الله - ثلاثا - وقل سبع مرات

---

(١) ورواه أصحاب السنن الأربع وفى رواية للترمذى [فقرأت عليه (الحمد لله رب العالمين) سبع مرات] وفى رواية له وللنسائى . وابن ماجه أن أبا سعيد هو الذى رقاه واللديغ الذى لدغته الحية أو العقرب وأصابته بسمها والقلبة بفتح القاف واللام والباء : الوجع : قال الفراء : معناه ليست به علة يخشى منها عليه . وهو مأخوذ من قولهم : قلب الرجل إذا أصابه وجع فى قلبه ليس يكاد يفلت منه

(٢) قال النووى : قال العلماء [بريقة بعضنا] أى ببصاقه .

(٣) ورواه البخارى من حديث أنس وأخرجه أحمد والنسائى من حديث محمد بن حاطب أنه احترقت يده فذهبت به أمه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث

أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وما أحاذر] (١)

وفى السنن عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : [من عاد مريضا لم يحضر أجله فقال عنده سبع مرات : أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك ويعافيك إلا عافاه الله تعالى]

وفى سنن أبى داود والنسائى عن أبى الدرداء قال : سمعت رسول صلى الله عليه وسلم يقول : [من اشتكى منكم أو اشتكاه أخ له فليقل . ربنا الله الذى فى السماء تقدس اسمك أمرك فى السماء والأرض كما رحمتك فى السماء فاجعل رحمتك فى الأرض اغفر لنا حوبنا وخطايانا أنت رب الطيبين أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع فيبرأ] (٢)

(الفصل الخامس والعشرون فى ذكر دخول المقابر)

فى صحيح مسلم عن بريدة قال [كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعلمهم إذا خرجوا من المقابر أن يقول قائلهم السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون نسأل الله لنا ولكم العافية] (٣)

وفى سنن ابن ماجه عن عائشة [أنها فقدت النبي ﷺ . فاذا هو بالبقيع .

---

(١) ورواه أصحاب السنن الأربع ومالك . وابن أبى شيبة وزاد النسائى [فاذهب الله ما كان بى فلم أزل آمر به أهلى وغيرهم]

(٢) أخرجه أبو داود فى باب كيف الرقى حدثنا يزيد بن موهب الرملى أخبرنا الليث عن زياد بن محمد عن محمد بن كعب القرظى عن فضالة بن عبيد عن أبى الدرداء قال المنذرى وأخرجه النسائى من حديث محمد بن كعب عن أبى الدرداء ولم يذكر فضالة بن عبيد اسناده زياد بن محمد الأنصارى قال أبو حاتم الراوى هو منكر الحديث وقال ابن حبان منكر الحديث جدا المناكير عن المشاهير فاستحق الترك اه

(٣) ورواه النسائى وابن ماجه وزادا [أنتم لنا فرط ونحن لكم تبع]

فقال السلام عليكم دار قوم مؤمنين أنتم لنا فرط وإنا بكم لاحقون [اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم] (١)

﴿ الفصل السادس والعشرون فى ذكر الاستسقاء ﴾

قال تعالى (اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا) (١٠ و ١١ - سورة نوح)

عن جابر بن عبد الله قال : اتت النبي ﷺ بواك فقال [اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريئا مريعا نافعا غير ضار عاجلا غير آجل فأطبقت عليهم السماء] (٢)

وعن عائشة [شكا الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قحوط المطر فأمر بمنبر فوضع له فى المصلى ووعد الناس يوما يخرجون فيه فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين بدا حاجب الشمس . فقعد على المنبر] فكبر وحمد الله عز وجل ثم قال إنكم شكوتم جدب دياركم واستئخار المطر عن ابان زمانه عنكم وقد أمركم الله سبحانه وتعالى أن تدعوه ووعدكم أن يستجيب لكم ثم قال (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ : مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) لا إله إلا الله يفعل ما يريد اللهم أنت الله لا إله إلا أنت ، أنت الغنى ونحن الفقراء أنزل علينا الغيث واجعل ما أنزلت علينا قوة وبلاغا إلى حين ثم رفع يديه فلم يزل فى الرفع حتى بدا بياض ابطيه ثم حول إلى الناس ظهره وقلب - أو حول - رداءه وهو رافع يديه ثم أقبل على الناس فنزل فصلى ركعتين فأنشأ الله عز وجل سحابة فرعدت وبرقت ثم أمطرت بإذن الله تعالى فلم يأت مسجده حتى سالت السيول فلما رأى سرعتهم إلى الكن ضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت

---

(١) ورواه ابن السنى وفيه [ولا تضلنا بعدهم]

(٢) أخرجه أبو داود بإسناد صحيح على شرط مسلم و [بواك] جمع باكية

تواجذه . وقال : أشهد أن الله على كل شىء قدير ، وانى عبد الله ورسوله] (١)

وفى سنن أبى داود عن عبد الله بن عمرو قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استسقى قال [اللهم أسق عبادك وبهائمك وانشر رحمتك وأحى بلدك الميت]

وقال الشعبى [خرج عمر يستسقى فلم يزد على الاستغفار . فقالوا ما رأيناك استسقيت فقال لقد طلبت الغيث بمجاديح السماء الذى يستنزلون به المطر ثم قرأ (اسْتَغْفِرُوا ربكُمْ إنه كانَ غَفَّاراً يرسلُ السماءَ عليكم مِدْرَاراً) سورة نوح (وأن اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثم تُوبُوا إليه يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعاً حَسَنًا إلى أجلٍ مُسَمًّى) الآية سورة هود (٢)

(الفصل السابع والعشرون فى أذكار الريح إذا هاجت)

قال أبو هريرة : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الريح

---

(١) رواه أبو داود بإسناد صحيح . وقال فى آخر هذا حديث غريب اسناده جيد . وأخرجه أيضا ابن حبان وأبو عوانة والحاكم وصححه ابن السكن . وحاجب الشمس . ضوءها أو ناصيتها . وأبان بكسر الهمزة وتشديد الباء — . وقتة . والسكن — ما يكتن الإنسان ويختبىء فيه من بيت ونحوه

(٢) ذكر هذا الأثر عن عمران ابن جرير وابن كثير وقال ابن جرير وقرأ الآية فى سورة هود حتى بلغ [ويزدكم قوة إلى قوتكم] وذكر الزمخشرى فى كشافه فى تفسير سورة نوح وقال الحافظ ابن حجر فى تخريج أحاديث الكشاف رواه عبد الرزاق وابن أبى شيبة والطبرانى فى الدعاء ورجاله ثقات إلا أنه منقطع اه . والمجاديح واحدها مجدح . والياء زائدة للاشباع . وهو نجم من النجوم . وقيل هو ثلاثة كالأثافى تشبيها بالمجدح الذى له فى ثلاث شعب وهو عند العرب من الأنوار الدالة على المطر . فجعل عمر رضى الله عنه الاستغفار مشبها بالأنوار . مخاطبة لهم بما يعرفونه

من روح الله تعالى ، تأتى بالرحمة وتأتى بالعذاب، فاذا رأيتموها فلا تسبوها وسلوا الله خيرها واستعيذوا بالله من شرها] رواه أبو داود (١)

وفى صحيح مسلم عن عائشة قالت [كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا عصفت الريح قال اللهم إنى أسألك خيرها وخير ما فيها وما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما أرسلت به]

وفى سنن أبى داود عن عائشة أيضا رضى الله عنها [أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا رأى ناشئا فى أفق السماء ترك العمل - وإن كان فى صلاة - ثم يقول اللهم إنى أعوذ بك من شرها - فان مطرت - قال اللهم صيبا هنيئا] (٢)

﴿ الفصل الثامن والعشرون فى الذكر عند الرعد ﴾

كان عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما إذا سمع الرعد ترك الحديث فقال (سبحان الذى يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته) (٣)

وعن كعب أنه قال [من قال ذلك ثلاثا عوفى من ذلك الرعد]

وفى الترمذى عن عبد الله ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [كان إذا سمع صوت الرعد والصواعق قال اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك] (٤)

﴿ الفصل التاسع والعشرون فى الذكر عند نزول الغيث ﴾

فى الصحيحين عن زيد بن خالد الجهنى قال صلى بنا رسول الله صلى الله

---

(١) ورواه ابن ماجه وإسنادهما حسن والنسائى والحاكم وابن حبان وصححاه

(٢) ورواه النسائى وابن ماجه والناشى السحاب لم يتكامل اجتماعه والصيب المطر الكثير

(٣) سورة الرعد إلا أن لفظ الآية (ويسبح) بالواو وهذا الأثر قال النووى رويناه فى موطأ مالك بالاسناد الصحيح

(٤) قال النووى . إسناده ضعيف

عليه وآله وسلم صلاة الصبح بالحديبية (١) فى إثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال : هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا . الله ورسوله أعلم قال : قال أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى وكافر بالكواكب وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا فذاك كافر بى ومؤمن بالكواكب .

وقد قيل : إن الدعاء عند نزول الغيث مستجاب

وفى صحيح البخارى عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ [كان إذا رأى المطر قال : صيبا نافعا) وفى صحيح مسلم عن أنس رضى الله عنه قال [أصابنا ونحن مع رسول الله ﷺ مطر فحسر رسول الله ﷺ ثوبه حتى أصابه المطر . فقلنا يا رسول الله لم صنعت هذا ؟ قال لأنه حديث عهد بربه .]

﴿ الفصل الثلاثون ﴾

(فى الذكر والدعاء عند زيادة المطر وكثرة المياه والخوف منها) .

فى الصحيحين عن أنس قال [دخل رجل المسجد يوم جمعة ورسول الله ﷺ قائم يخطب الناس فقال يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يغيثنا فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ثم قال [اللهم أغثنا اللهم أغثنا اللهم أغثنا] قال أنس والله ما نرى فى السماء من سحاب ولا قزعة وما بيننا وبين سلع من بنيان ولا دار فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت فلا والله ما رأينا الشمس سبتا ثم دخل رجلا من ذلك الباب فى الجمعة المقبلة ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب فاستقبله قائما فقال يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله أن يمسكها عنا فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ثم . قال اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الآكام والظراب وبطون

---

(١) هى قوية قريبة من مكة دون مرحلة وبها كان الصلح المشهور سميت ببئر فيها وهى مخففة وكثير من المحدثين يشددونها وفى أثر سماء أى عقب مطر

الأودية ومنابت الشجر قال فأقلعت وخرجنا نمشى فى الشمس] (١)

الفصل الحادى والثلاثون فى الذكر عند رؤية الهلال

عن عبد الله بن عمر قال [كان رسول الله ﷺ إذا رأى الهلال قال الله أكبر اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والاسلام والتوفيق لما تحب وترضى ربنا وربك الله] (٢)

وفى سنن أبى داود عن قتادة أنه بلغه أن نبى الله ﷺ كان إذا رأى الهلال قال هلال خير ورشد ، هلال خير ورشد آمنت بالله الذى خلقك ـ ثلاث مرات ـ ثم يقول الحمد لله الذى ذهب بشهر كذا وجاء بشهر كذا] (٣)

الفصل الثانى والثلاثون فى الذكر للصائم وعند فطره

عن أبى هريرة قال قال رسول صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثة لا ترد دعوتهم الصائم حين يفطر والامام العادل ودعوة المظلوم رواه الترمذى وقال حديث حسن

وروى ابن ماجه عن ابن أبى مليكة عن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول [إن للصائم عند فطره دعوة ماترد] (٤)

---

(١) القزعة قطعا من الغيم وجمعها قزع وسلع جبل فى المدينة وقوله سبتا أى أسبوعا من السبت إلى السبت وقيل مدة من الزمان والآكام جمع أكمة ـ بفتح الهمزة ـ التراب المجتمع أو الهضبة الضخمة أوما ارتفع من الأرض والظراب جمع ظرب ـ بكسر الراء وتسكن ـ الجبل المنبسط الذى ليس بالعالى

(٢) رواه الطبرانى قال فى مجمع الزوائد وفى إسناده عثمان بن إبراهيم الحاطبى وفيه ضعف وبقية رجاله ثقات

رواه أبو داود مرسلا وفى بعض نسخ سنن أبى داود ليس فى هذا الباب عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم حديث صحيح .

(٤) رواه ابن ماجه عن عبد الله ابن أبى مليكة عن عمرو بن العاص وأخرجه الحاكم فى المستدرك عن ابن عمرو

قال ابن أبي مليكة سمعت عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما اذا أفطر يقول [اللهم إنى أسألك برحمتك التى وسعت كل شىء أن تغفر لى]

ويذكر عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان إذا أفطر قال [اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت] (١)

ومن وجه آخر [اللهم لك صمنا وعلى رزقك أفطرنا فتقبل منا انك أنت السميع العليم] (٢).

﴿الفصل الثالث والثلاثون فى أذكار السفر﴾

روى الطبرانى عن النبى ﷺ أنه قال ماخلف أحد عند أهله أفضل من ركعتين يركعهما عندهم حين يريد سفرا].

وفى مسند الامام أحمد عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : من أراد سفرا فليقل لمن يخلف . أستودعكم الله الذى لا تضيع ودائعه]

وفى المسند أيضا عن عمر عن النبى ﷺ قال : [إن الله اذا استودع شيئا حفظه].

وقال سالم: كان ابن عمر يقول الرجل إذا أراد سفرا : أدن منى أودعك كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يودعنا فيقول : [استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك]

ومن وجه آخر [كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم إذا ودع رجلا أخذ بيده فلا يدعها حتى يكون الرجل هو الذى يدع النبى ﷺ]- وذكر تمام الحديث - قال الترمذى حديث حسن صحيح

وقال أنس رضى الله عنه [جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم

---

(١) رواه أبو داود مرسلا عن معاذ بن زهرة ورواه ابن السنى أيضا بلفظ آخر نحو هذا

(١) رواه ابن السنى عن ابن عباس

فقال : يا رسول الله أريد سفرا فزودنى فقال . زودك الله التقوى قال زدنى قال : وغفر ذنبك قال : زدنى قال ويسر لك الخير حيثما كنت] قال الترمذى حديث حسن

وعن أبى هريرة أن رجلا قال . يا رسول الله إنى أريد أن أسافر فأوصى قال [عليك بتقوى الله عز وجل والتكبير على كل شرف فلما ولى الرجل قال اللهم أطوله البعد (١) وهون عليه السفر] قال الترمذى حديث حسن

﴿ الفصل الرابع والثلاثون فى ركوب الدابة والذكر عنده ﴾

قال على بن ربيعة [شهدت على بن أبى طالب رضى الله عنه أتى بدابة ليركبها . فلما وضع رجله فى الركاب قال بسم الله فلما استوى على ظهرها قال الحمد لله ثم قال (سُبْحَانَ الذّى سخَّرَ لنا هذا وما كُنَّا له مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إلى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ) سورة الزخرف آيتى ١٣ ، ١٤ ثم قال ، الحمد لله ثلاث مرات ثم قال الله أكبر - ثلاث مرات - ثم قال سبحانك إنى ظلمت نفسى فاغفر لى إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ثم ضحك فقيل يا أمير المؤمنين من أى شىء ضحكت ؟ فقال رأيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم فعل كما فعلت ثم ضحك فقلت يا رسول الله من أى شىء ضحكت ؟ فقال إن ربك سبحانه وتعالى يعجب من عبده إذا قال اغفر لى ذنوبى يعلم أنه لا يغفر الذنوب غيرى] (٢) رواه أهل السنن وصححه الترمذى

وفى صحيح مسلم ن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [كان إذا استوى على بعيره خارجا إلى سفر كبر ثلاثا ثم قال (سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون) اللهم إنا نسألك فى سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى

---

(١) الشرف المكان المرتفع وقوله اطواى قريب

(٢) قوله يعلم الخ الذى فى الترمذى هنا [أنه لا يغفر الذنوب غيرك]

اللهم هون علينا سفرنا هذا واطوعنا بعده اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الأهل اللهم إنى أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب فى المال والاهل واذا رجع قالهن وزاد فيهن : آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون]

وفى وجه آخر (١) [وكان رسول الله ﷺ وأصحابه رضى الله عنهم إذا علوا الثنايا كبروا واذا هبطوا سبحوا]

﴿الفصل الخامس والثلاثون فى ذكر الرجوع من السفر﴾

قال عبد الله بن عمر [كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قفل من غزو أو حج أو اعتمر يكبر على كل شرف من الارض ثلاث مرات ثم يقول : لا إله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده] رواه البخارى ومسلم .

﴿ الفصل السادس والثلاثون ﴾
فى الذكر على الدابة اذا استصعبت

قال يونس بن عبيد (٦) ليس رجل يكون على دابة صعبة فيقول فى أذنها [أَفَغَيْرَ دين الله يَبْغُونَ ؛ وله أَسْلَمَ من فى السَّمٰوَات والأَرْض طَوْعًا وكُرْهًا وإليه يُرْجَعُونَ] إلا وقفت باذن الله تعالى .

قال شيخنا قدس الله روحه وقد فعلنا ذلك فكان كذلك

﴿ الفصل السابع والثلاثون ﴾
فى الدابة اذا انفلتت وما يذكر عند ذلك

عن ابن مسعود رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

(١) أى من رواية أبى داود عن ابن عمر . وفى آخره [فوضعت الصلاة على ذلك] (٢) قال النووى فى الاذكار روينا فى كتاب ابن السنى عن السيد

[إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد يا عباد الله احبسوا يا عباد الله احبسوا فإن لله عز وجل حاضرا سيحبسه](١).

(الفصل الثامن والثلاثون)

(فى الذكر عند القرية أو البلدة إذا أراد دخولها)

عن صهيب رضى الله عنه [أن النبى ﷺ لم ير قرية يريد دخولها إلا قال - حين يراها - : اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الارضين السبع وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما ذرين أسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها. وأعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها] رواه النسائى

(الفصل التاسع والثلاثون فى ذكر المنزل يريد نزوله)

قالت خولة بنت حكيم رضى الله عنها سمعت رسول الله ﷺ يقول من نزل منزلا ثم قال أعوذ بكلمات الله التامات من شر ماخلق لم يضره شىء حتى يرتحل من منزله ذلك] رواه مسلم.

وعن عبد الله بن عمر قال [كان رسول الله ﷺ إذا سافر فأقبل الليل قال يا أرض ربى وربك الله أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ماخلق فيك وشر مايدب عليك وأعوذ بالله من أسد وأسود ومن الحية والعقرب ومن ساكن البلد ومن والد وماولد] رواه أبو داود

(الفصل الاربعون فى ذكر الطعام والشراب)

قال سبحانه وتعالى (يَآ أيُّهَا الذينَ آمنُوا كُلُوا من طَيِّبَاتِ مَارَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لله إن كُنتُم إياه تعبدُون) سورة البقرة

الجليل المجمع على جلالته وحفظه وديانته وورعه ونزاهته أبى عبد الله يونس ابن عبيد بن دينار البصرى رحمه الله

(١) رواه ابن السنى والبزار وأبو يعلى . والطبرانى واسناده ضعيف

وقال عمر بن أبى سلمة رضى الله عنه [كنت غلاما فى حجر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكانت يدى تطيش فى الصحفة فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا غلام سم الله تعالى ، وكل بيمينك وكل مما يليك » متفق عليه .

وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها : قال رسول الله ﷺ [إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى فى أوله . فان نسى أن يذكر اسم الله تعالى فى أوله فليقل بسم الله أوله وآخره] قال الترمذى حديث حسن (١) .

وقال أمية بن مخشى رضى الله عنه [كان رسول الله ﷺ جالسا ورجل يأكل فلم يسم حتى لم يبق منه طعامه إلا لقيمة فلما رفعها إلى فيه قال بسم الله أوله وآخره فضحك النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال : ما زال الشيطان يأكل معه فلما ذكر اسم الله تعالى استقاء ما فى بطنه] رواه أبو داود (١)

وقال رسول الله ﷺ [إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها] رواه مسلم فى صحيحه من حديث أنس رضى الله عنه

وقال أبو هريرة [ما عاب رسول الله ﷺ طعاما قط إن اشتهاه أكله ، وإلا تركه] متفق عليه

وعن وحشى [أن ناسا قالوا يارسول الله إنا نأكل ولا نشبع قال ولعلكم تفترقون قالوا نعم قال فاجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله تعالى يبارك لكم فيه] رواه أبو داود

وعن معاذ رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أكل

---

(١) ورواه أبو داود وهذا لفظه

(٢) رواه أحمد والنسائى والحاكم وصححه وقال الدارقطنى لم يسند أمية عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم غير هذا الحديث

أو شرب فقال لله الذى أطعمنى هـذا الطعام ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة غفر له ماتقدم من ذنبه ، قال الترمذى حديث حسن (١)

وعن أبى سعيد رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا فرغ من طعامه قال الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين رواه أبو داود والترمذى

وذكر النسائى عن عبد الرحمن بن جبير التابعى رجل خدم النبى ﷺ ثمانى سنين أنه كان يسمع النبى ﷺ إذا قرب إليه طعامه يقول بسم الله وإذا فرغ من طعامه قال اللهم أطعمت وسقيت وأغنيت وأقنيت وهديت وأحييت فلك الحمد على ما أعطيت

وفى صحيح البخارى عن أبى أمامة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا رفع مائدته قال الحمد لله كثيرا طيبا مباركا فيه غير مكفى ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا

﴿ الفصل الحادى والأربعون فى ذكر الضيف إذا نزل بقوم ﴾

عن عبد الله بن بسر قال [قال نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبى فقربنا إليه طعاما ووطبة (٢) فأكل منها ثم أتى بتمر فكان يأكله ويلقى النوى بين أصبعيه ويجمع السبابة والوسطى - قال شعبة هو ظنى وهو

---

(١) ورواه أبو داود أيضا

(٢) قوله ووطبة - إلى قوله ادع لنا - سقط من النسخة الهندية فلم يبق منه إلا قوله ثم أتى بشراب فقال أبى فادع . وليس فيه أنه شرب ولا أنه أكل عندهم فلا يعقل أن يكون المؤلف هو الذى اختصره هذا الاختصار المخل المضيع للمعنى والوطبة الحيس يجمع التمر البرنى والاقط المدقوق والسمن وفى وفى بعض نسخ مسلم (رطبة) بالراء بدل الواو وجمهور الرواة على الأول

فيه إن شاء الله القاء النوى (١) ثم أتى بشراب فشربه ثم ناوله الذى عن يمينه قال فقال أبى ـ وأخذ بلجام دابته ـ : ادع الله تعالى فقال اللهم بارك لهم فيما رزقتهم واغفر لهم وارحمهم] رواه مسلم

وعن أنس] أن النبي صلى الله عليه وسلم جاء إلى سعد بن عبادة فجاء بخبز وزيت فأكل ثم قال النبى ﷺ أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة] رواه أبو داود

وعن جابر قال [صنع أبو الهيثم بن التيهان للنبى صلى الله عليه وآله وسلم طعاما فدعا النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه فلما فرغوا قال اثيبوا أخاكم قالوا يارسول الله وما اثابته ؟ قال إن الرجل إذا دخل بيته فأكل طعامه وشرابه دعوا له فذلك إثابته] رواه أبو داود

(الفصل الثانى والأربعون فى السلام)

عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما [أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أى الاسلام خيرا ؟ قال تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف] متفق عليه .

وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ [لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أفلا أدلكم على شىء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم] رواه أبو داود .

وقال عمار بن ياسر رضى الله عنهما [ثلاث من جمعهن جمع الإيمان الانصاف من نفسك وبذل السلام للعالم والانفاق من الاقتار] ذكره البخارى .

وقال عمران بن حصين [جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال السلام عليكم

(١) معناه أن شعبة راوى الحديث قال الذى أظنه ان القاء النوى مذكور فى الحديث وقد جزم بهذا فى الرواية الأخرى فكأنه تذكر ما كان مترددا فيه

فرد عليه ثم جلس فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم عشر ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله فرد عليه فجلس فقال عشرون ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد عليه فجلس فقال ثلاثون] (١)

قال الترمذي حديث حسن

وعن أبي أمامة قال قال رسول الله ﷺ [أن أولى الناس بالله من بدأ بالسلام] قال الترمذي حديث حسن

وخرج أبو داود عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال [يجزى عن الجماعة إذا مروا أن يسلم أحدهم]

وقال أنس [مر النبي صلى الله عليه وسلم على صبيان يلعبون فسلم عليهم] حديث صحيح .

وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ [إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم فاذا أراد أن يقوم فليسلم فليست الأولى بأحق من الآخرة]

(الفصل الثالث والأربعون فى الذكر عند العطاس)

قال أبو هريرة عن النبي ﷺ [ان الله يحب العطاس ويكره التثاؤب فاذا عطس احدكم وحمد الله كان على كل من سمعه أن يقول يرحمك الله وأما التثاؤب فإنما هو من الشيطان فاذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع فان أحدكم إذا تثاءب ضحك الشيطان منه] رواه البخاري

وعنه أيضاً عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال [إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله وليقل له أخوه أو صاحبه يرحمك الله فاذا قال له يرحمك

---

(١) رواه الدارمي فى مسنده وأبو داود والترمذي وقال حسن غريب من هذا الوجه وزاد أبو داود [وجاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومغفرته فقال أربعون قال هكذا تكون الفضائل] ومعناه أن الأول كتب له عشر حسنات والثاني عشرون وهكذا

الله فليقل يهديكم الله ويصلح بالكم] رواه البخارى .

وفى لفظ أبى داود [الحمد لله على كل حال]

وقال أبو موسى الأشعرى رضى الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول [إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمتوه فان لم يحمد الله فلا تشمتوه] (١)

(الفصل الرابع والأربعون)

(فى ذكر النكاح والتهنئة به وذكر الدخول بالزوجة)

قال ابن مسعود علمنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطبة الحاجة [الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله] وفى رواية زيادة [أرسله بالحق بشيرا ونذيرا بين يدى الساعة [من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئا (يَاأَيُّهَا الذينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله حَقَّ تُقَاتِه وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وأَنتُم مُسلمُونَ) سورة آل عمران (وَاتَّقُوا الله الَّذى تَسَاءَلُونَ به وَالأَرْحَامَ إِنَّ الله كَانَ عليكم رَقِيبًا) ٣ سورة النساء (يَاأَيُّهَا الذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِح لكم أعمَالَكُم وَيَغْفِر لكم ذُنُوبكم ومن يُطِع اللهَ وَرَسُولَهُ فقد فَازَ فَوزًا عظيمًا) الأحزاب رواه أهل السنن الأربعة وقال الترمذى حديث حسن

وعن أبى هريرة [أن النبى ﷺ كان إذا رفأ الانسان إذا تزوج قال بارك الله لك وبارك عليكما وجمع بينكما فى خير] قال الترمذى حديث حسن صحيح

---

(١) رواه مسلم والنهى للتنزيه .

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال « إذا تزوج أحدكم امرأة أو اشترى خادما فليقل . اللهم إنى أسألك خيرها وخير ماجبلتها عليه. وأعوذ بك من شرها وشر ماجبلتها عليه وإذا اشترى بعيرا فليأخذ بذروة سنامه وليقل مثل ذلك رواه أبو داود .

وفى الصحيحين عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال ان أحدكم إذا أتى أهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان مارزقتنا . فقضى بينهما ولد لم يضره الشيطان أبدا »

(الفصل الخامس والأربعون — فى الذكر عند الولادة والذكر المتعلق بالولد)

يذكر أن فاطمة رضى الله عنها لما دنا ولادها أمر النبى صلى الله عليه وسلم أم سلمة وزينب بنت جحش أن تأتيا فتقرآ عليها آية الكرسى و (إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض) الأعراف إلى آخر الآيتين وتعوذانها بالمعوذتين »

وقال أبو رافع رأيت رسول الله ﷺ أذن فى أذن الحسن بن على حين ولدته فاطمة بالصلاة قال الترمذى حديث حسن صحيح

ويذكر عن الحسين بن على قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [من ولد له مولود فأذن فى أذنه اليمنى وأقام فى أذنه اليسرى لم تضره أم الصبيان] (١)

وقالت عائشة [كان النبى صلى الله عليه وسلم يؤتى بالصبيان فيدعو لهم بالبركة ويحنكهم] رواه أبو داود

وقال عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر بتسمية المولود يوم سابعه ووضع الأذى عنه والعق قال الترمذى حديث حسن

وقد سمى النبى صلى الله عليه وسلم ابنه إبراهيم (٢) وإبرهيم بن أبى موسى (٣)

---

(١) رواه ابن السنى (٢) أخرجه مسلم (٣) أخرجه البخارى ومسلم عن أبى موسى الأشعرى وكان إبراهيم هذا أكبر ولد أبى موسى

وعبد الله بن أبى طلحة (١) والمنذر بن أسيد (٢) قريبا من ولادتهم

وعن أبى الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ [إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم فاحسنوا أسمائكم] ذكره أبو داود

وذكر مسلم عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [إن أحب أسمائكم إلى الله عز وجل عبد الله وعبد الرحمن]

وعن أبى وهيب الجشمى رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ تسموا بأسماء الأنبياء [وإن أحب الأسماء إلى الله عز وجل عبد الله وعبد الرحمن وأصدقها حارث وهمام وأقبحها حرب ومرة] رواه أبو داود والنسائى

وغير النبى ﷺ الأسماء المكروهة إلى أسماء حسنة فغير اسم برة إلى زينب (٣) وغير اسم حزن إلى سهل (٤) وغير اسم عاصية فسماها جميلة (٥) وغير اسم اصرم إلى زرعة (٦) وسمى حربا سلما وسمى المضطجع المنبعث وسمى أرضا يقال لها عفرة خضرة وشعب الضلالة سماه شعب الهدى وبنو الزنية سماهم بنى الرشدة (٧)

(الفصل السادس والأربعون فى صياح الديكة والنهيق والنباح)

فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : [إذا سمعتم نهيق الحمير فتعوذوا بالله من الشيطان فانها رأت

---

(١) أخرجه الشيخان عن أنس

(٢) رواه البخارى ومسلم عن سهل بن سعد الساعدى

(٣) رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة وفى مسلم عن ابن عباس أن جويرية كان اسمها برة فغيره النبى صلى الله عليه وسلم

(٤) رواه البخارى عن سعيد بن المسيب بن حزن عن أبيه أن أباه جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم قال ما اسمك ؟ قال حزن فقال أنت سهل

(٥) رواه مسلم عن عبد الله بن عمر (٦) رواه أبو داود عن أسامة ابن أخدرى (٧) رواها أبو داود كلها وقال تركت أسانيدها للاختصار

شيطانا وإذا سمعتم صياح الديكة فسلوا الله من فضله فانها رأت ملكا]

وفى سنن أبى داود عن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [إذا سمعتم نباح الكلاب ونهيق الحمير بالليل فتعوذوا بالله منهن فانهن يرين ما لا ترون] رواه أبو داود

(الفصل السابع والأربعون فى الذكر يطفأ به الحريق)

يذكر عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [إذا رأيتم الحريق فكبروا فان التكبير يطفئه] (١)

(الفصل الثامن والأربعون فى كفارة المجلس)

عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [من جلس مجلسا فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك إلا كفر الله له ما كان فى مجلسه ذلك] قال الترمذى حديث حسن صحيح

وفى حديث آخر [أنه إن كان فى مجلس خير كان كالطابع له وإن كان فى مجلس تخليط كان كفارة له] (٢)

وفى السنن عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال [ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله تعالى فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار وكان عليهم حسرة يوم القيامة]

وعن ابن عمر قال فلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الكلمات لأصحابه [اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مضار الدنيا . اللهم أمتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا

---

(١) أخرجه ابن السنى وروى أبو يعلى والطبرانى فى الأوسط عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ [اطفئوا الحريق بالتكبير] وفى إسناده راو لم يسم

(٢) رواه ابن أبى الدنيا والنسائى والبيهقى والحاكم عن عائشة .

واجعله الوارث منا . واجعل ثأرنا على من ظلمنا . وانصرنا على من عادانا ، ولا تجعل مصيبتنا فى ديننا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لم يرحمنا] قال الترمذى حديث حسن :

(الفصل التاسع والأربعون فيما يقال ويفعل عند الغضب)

قال الله سبحانه وتعالى: وإمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إنهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) سورة الأعراف آية (٢٠٠) وفصلت آية (٣٦) .

وقال سليمان صرد ، كنت جالسا مع النبي صلى الله عليه وسلم ورجلان يستبان أحدهما قد احمر وجهه وانتفخت أوداجه فقال النبي ﷺ إنى لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد لو قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب عنه ، متفق عليه :

وعن عطية بن عروة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ » رواه أبو داود وفى حديث آخر أنه أمر من غضب إن كان قائما أن يجلس وإن كان جالسا فليضطجع]

الفصل الخمسون فيما يقال عند رؤية أهل البلاء

عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال [من رأى مبتلى فقال الحمد لله الذى عافانى مما ابتلاك به وفضلنى على كثير ممن خلق تفضيلا لم يصبه ذلك البلاء] قال الترمذى حديث حسن

(الفصل الحادى والخمسون فى الذكر عند دخول السوق)

عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من دخل السوق فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شىء قدير ، كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة ورفع له

ألف ألف درجة] رواه الترمذى (١)

وعن بريدة رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا دخل السوق قال : (بسم الله ـ اللهم إنى أسألك خير هذه السوق وخير ما فيها وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها اللهم إنى أعوذ بك أن أصيب بها يمينا فاجرة أو صفقة خاسرة] (٢)

(الفصل الثانى والخمسون فى الرجل إذا خدرت رجله)

عن الهيثم بن حبش قال [كنا عند عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فخدرت رجله فقال له رجل : اذكر أحب الناس إليك فقال محمدا فكأنما نشط من عقال

وعن مجاهد رحمه الله قال [خدرت رجل رجل عند ابن عباس رضى الله عنهما فقال اذكر أحب الناس إليك فقال محمد ﷺ فذهب خدره (٣)

(الفصل الثالث والخمسون فى الدابة إذا عثرت)

عن أبى المليح عن رجل قال ، كنت رديف النبى صلى الله عليه وآله وسلم فعثرت دابته فقلت تعس الشيطان فقال : لا تقل تعس الشيطان فانك إذا قلت ذلك تعاظم حتى يكون مثل البيت ويقول بقوتى ولكن قل بسم الله فانك إذا قلت ذلك تصاغر حتى يكون مثل الذباب] (٤)

(الفصل الرابع والخمسون)

(فيمن أهدى هدية أو تصدق بصدقه فدعا له ماذا يقول ؟)

عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت [أهديت لرسول الله ﷺ شاة فقال

---

(١) وقال حديث غريب وقال شارح العدة أقل أحواله أن يكون حسنا وإن كان فى ذكر العدد على هذه الصفحة نكارة

(٢) رواه الطبرانى والحاكم وقال النووى هو أقربها من شروط هذا الباب

(٣) أخرجهما ابن السنى وقال شارح العدة وليس فى ذلك مايفيد أن لهذا حكم الرفع فقد يكون مرجع هذا التجريب (٤) رواه أبو داود

اقسميها وكانت عائشة رضى الله عنها إذا رجعت الخادم تقول ما قالوا نقول الخادم . قالوا بارك الله فيكم تقول عائشة رضى الله عنها وفيهم بارك الله نرد عليهم مثل ما قالوا ويبقى أجرنا لنا (١) وقد روى عنها فى الصدقة مثل ذلك

(الفصل الخامس والخمسون فيمن أميط عنه أذى)

عن أبى أيوب رضى الله عنه [أنه تناول من لحية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أذى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح الله عنك يا أبا أيوب ما تكره] وفى لفظ آخر [لا يكن بك السوء يا أبا أيوب] (٢)

وعن عمر رضى الله عنه أنه أخذ عن رجل شيئا فقال الرجل [صرف الله عنك السوء فقال عمر رضى الله عنه صرف الله عنا السوء منذ أسلمنا ولكن إذا أخذ عنك شيئا فقل أخذت يداك خيرا (٣)

(الفصل السادس والخمسون فى رؤية باكورة الثمرة)

قال أبو هريرة رضى الله عنه [كان الناس إذا رأوا الثمر جاؤا به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاذا أخذه قال اللهم بارك لنا فى ثمرنا وبارك لنا فى مدينتنا وبارك لنا فى صاعنا وبارك لنا فى مدنا ثم يعطيه أصغر من يحضره من الولدان] رواه مسلم

(الفصل السابع والخمسون)

(فى الشىء يراه ويعجبه ويخاف عليه العين)

قال الله سبحانه وتعالى (ولولاَ إذ دَخلتَ جنتكَ قلتَ ما شاءَ الله لا قوةَ إلا بالله - سورة الكهف آية ٣٩)

---

(١) أخرجه ابن السنى

(٢) رواهما ابن السنى . والثانى رواه عن سعد أن أبا أيوب وفيه أنه كررها ثلاثا

(٣) أخرجه ابن السنى

وقال النبي ﷺ [العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين] حديث صحيح (١).

ويذكر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال [إذا رأى أحدكم ما يعجبه فى نفسه أو ماله فليبرك عليه فإن العين حق] (٢)

ويذكر عنه ﷺ أنه قال من رأى شيأ فأعجبه فليقل : ماشاء الله لا قوة الا بالله لم يضره] (٣) .

ويذكر عنه ﷺ فيمن خاف أن يصيب شيئا بعينه قال [اللهم بارك لنا فيه ولا تضره] (٤)

وقال أبو سعيد [كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتعوذ من الجان وعين الانسان حتى نزلت المعوذتان فلما نزلتا أخذ بهما وترك ماسواهما] قال الترمذى حديث حسن ورواه ابن ماجه فى سننه

(الفصل الثامن والخمسون فى الفال والطيرة)

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم [لا عدوى ولا طيرة أصدقها الفال قيل وما الفال ؟ قال الكلمة الحسنة يسمعها الرجل]

وكان النبي ﷺ يعجبه الفال كما كان فى سفر الهجرة فلقيهم رجل فقال ما اسمك قال بريدة . قال برد أمرنا]

وقال النبي ﷺ [رأيت فى منامى كانى فى دار عقبة بن رافع وأتينا من رطب ابن طاب فأولتها الرفعة لنا فى الدنيا والعاقبة لنا فى الآخرة وإن ديننا قد طاب

وأما الطيرة فقال معاوية ابن الحكم [قلت يا رسول الله منا رجال

---

(١) رواه البخارى ومسلم

(٢) أخرجه ابن السنى عن سهل بن حنيف

(٣) اخرجه ابن السنى عن أنس

(٤) رواه ابن السنى عن سعيد بن حكيم

يتطيرون . قال : ذلك شيء تجدونه فى صدوركم فلا يصدنكم] وهذه الأحاديث فى الصحاح

وعن عقبة بن عامر قال [سئل رسول الله صلى الله علية وآله وسلم عن الطيرة فقال : أصدقها الفال . ولا ترد مسلما . وإذا رأيتم من الطيرة شيئا تكرهونه فقولوا اللهم لا يأتى بالحسنات إلا أنت ولا يذهب بالسيئات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بالله] (١)

(الفصل التاسع والخمسون فى الحمام)

يذكر عن أبى هريرة أنه قال [نعم البيت الحمام يدخله المسلم . إذا دخله سأل الله الجنة واستعاذ به من النار] (٢)

(الفصل الستون فى الذكر عند دخول الخلاء والخروج منه)

فى الصحيحين عن أنس رضى الله عنه قال [كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم إذا دخل الخلاء قال اللهم إنى أعوذ بك من الخبث والخبائث] وزاد سعيد بن منصور [بسم الله]

وفى مسند الإمام أحمد عن زيد بن أرقم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [إن هذه الحشوش محتضرة . فاذا أتى أحدكم الخلاء فليقل أعوذ بالله من الخبث والخبائث]

وفى سنن ابن ماجه عن أبى أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال . [لا يعجز أحدكم إذا دخل موقعه أن يقول اللهم إنى أعوذ بك من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم]

وفى الترمذى عن على رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [ستر

---

(١) أخرجه مسلم وابن السنى عن عقبة بن عامر

(٢) أخرجه ابن السنى بسند ضعيف مرفوعا إلى النبى صلى الله عليه وسلم قال فى نزل الأبرار وفى النفس من هذا الحديث شيء

ما بين الجن وعورات بنى آدم إذا دخل الكنيف أن يقول : بسم الله]

وقالت عائشه [كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خرج من الغائط قال : غفرانك] رواه الإمام أحمد وأهل السنن

وفى سنن ابن ماجه عن أنس رضى الله عنه قال [كان صلى الله عليه وسلم إذا خرج من الخلاء قال الحمد لله الذى أذهب عنى الأذى وعافانى]

(الفصل الحادى والستون فى الذكر عند إرادة الوضوء)

ثبت فى النسائى عنه صلى الله عليه وسلم أنه وضع يده فى الجفنة (١) وقال [توضأ بسم الله]

وفى صحيح مسلم عن جابر رضى الله عنه فى حديثه الطويل - وفية - يا جابر ، ناد بوضوء فقلت : ألا وضوء ؟ ألا وضوء ؟ - وفيه - فقال خذ يا جابر فصب على ، وقل : بسم الله . فصببت عليه . وقلت : بسم الله ، فرأيت الماء يفور من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم

وفى المسند والسنن من حديث سعد بن زيد عن النبى صلى الله عليه وسلم [لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه] قال البخارى : هذا أحسن شىء فى هذا الباب

وعن أبى هريرة قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [لا صلاة لمن لا وضوء له ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه] رواه الإمام أحمد وأبو داود

وفى المسند عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم [لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه]

(الفصل الثانى والستون فى الذكر بعد الفراغ من الوضوء)

روى مسلم فى صحيحه عن عمر بن الخطاب عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : [ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ ، أو فيسبغ الوضوء ثم يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله إلا

---

(١) هى القصعة للطعام وجمعها جفان

فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء] وزاد فيه الترمذى بعد ذكر الشهادتين [اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين].

وفى بعض طرقه ذكرها أبو داود ، والإمام أحمد [فأحسن الوضوء ثم ثم رفع نظره إلى السماء فقال - وذكره]

وفى لفظ الامام أحمد [من توضأ فأحسن الوضوء ثم قال ثلاث مرات : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله] .

وفى سنن النسائى عن أبى سعيد الخدرى قال [من توضأ ففرغ من وضوئه قال سبحانك اللهم أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك طبع عليها بطابع ثم رفعت تحت العرش فلم تكسر إلى يوم القيامة] هكذا رواه من قول أبى سعيد رضى الله عنه .

وأما الأذكار التى يقولها العامة على الوضوء عند كل عضو فلا أصل لها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من الصحابة والتابعين ولا الأئمة الأربعة وفيها حديث كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم(١)

﴿ الفصل الثالث والستون فى ذكر صلاة الجنازة ﴾

فى صحيح مسلم عن عوف بن مالك قال [صلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على جنازة لحفظت من دعائه وهو يقول اللهم اغفر له وارحمه ، وعافه واعف عنه ، وأكرم نزله ، ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس وأبدله داراً خيراً من داره وأهلا خيراً من أهله وزوجاً خيراً من زوجه ، وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر] قال حتى تمنيت أن أكون أنا ذلك الميت لدعاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

---

(١) قال النووى رحمه الله فى الأذكار . وأما الدعاء على الأعضاء فلم يجىء فيه شىء عن النبى ﷺ وإنما جاءت عن السلف دعوات والقصر على الدليل أولى

وفى لفظ (١) [وقه فتنة القبر وعذاب النار]
وفى سنن أبى داود عن أبى هريرة قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على جنازة فقال [اللهم اغفر لحينا وميتنا وشاهدنا وغائبنا وصغيرنا وكبيرنا وذكرنا وأنثانا . اللهم من أحييته منا فأحيه على الاسلام ومن توفيته منا فتوفه على الايمان اللهم لا تحرمنا أجره ولا تضلنا بعده](٢) .
وفى سنن أبى داود ايضا عن واثلة بن الأسقع قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل من المسلمين فاسمعه يقول [اللهم إن فلان بن فلان فى ذمتك وحبل جوارك فقه فتنة القبر وعذاب النار وأنت أهل الوفاء والحمد اللهم فاغفر له وارحمه إنك أنت الغفور الرحيم]
سأل مروان أبا هريرة : كيف سمعت رسول الله ﷺ يصلى على الجنازة قال (٣) اللهم أنت ربها وأنت خلقتها وأنت هديتها للإسلام وأنت قبضت روحها وأنت أعلم بسرها وعلانيتها جئناك شفعاء فاغفر له رواه الامام أحمد وأبو داود .

﴿ الفصل الرابع والستون ﴾

(فى الذكر إذا قال هجرا أو جرى على لسانه ما يسخط ربه عز وجل)

ثبت عن النبى ﷺ أنه قال من حلف منكم فقال فى حلفه واللات والعزى فليقل لا إله إلا الله ومن قال لصاحبه تعال أقامرك فليتصدق

---

(١) أى عند مسلم وقد رواه النسائى والترمذى وابن ماجه بدون هذه الزيادة و (النزل) قرى الضيف (٢) وأخرجه الترمذى والبيهقى والحاكم وقال صحيح على شرط البخارى ومسلم .

(٣) فى سنن أبى داود بسنده إلى عقبة بن يسار حدثنى على بن شماخ قال شهدت مروان سأل أبا هريرة كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى على الجنازة ؟ قال أمع الذى قلت ؟ قال نعم قال كلام كان بينهما قبل ذلك قال أبو هريرة الخ

فكل من حلف بغير الله أشرك حديث صحيح (١)

فهذا كفارة لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال [من حلف بغير الله فقد أشرك] حديث صحيح

وكفارة الشرك التوحيد . وهو [كلمة لا إله إلا الله] ومن قال [تعال أقامرك] فقد تكلم بهجر وفحش يتضمن أكل المال وإخراجه بالباطل وكفارة هذه الكلمة بضد القمار وهو إخراج المال بحق فى مواضعه وهو الصدقة

وقال مصعب بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه حلفت باللات والعزى وكان العهد قريبا فذكرت ذلك للنبى ﷺ فقال قد قلت هجرا قل لا إله إلا الله وحده لا شريك له وانفث عن يسارك سبعا ولا تعد

(الفصل الخامس والستون فيما يقول من اغتاب أخاه المسلم)

يذكر عن النبى صلى الله علية وسلم [إن كفارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتبته تقول اللهم اغفر لنا] وله ذكره البيهقى فى الدعوات الكبير وقال فى إسناده ضعف

وهذه المسئلة فيها قولان للعلماء هما روايتان عن الامام أحمد وهما هل يكفى فى التوبة من الغيبة الاستغفار للمغتاب أم لابد من إعلامه وتحليله والصحيح أنه لا يحتاج إلى إعلامه بل يكفيه الاستغفار وذكره بمحاسن ما فيه فى المواطن التى اغتابه فيها

وهذا اختار شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله وغيره والذين قالوا لابد من إعلامه جعلوا الغيبة كالحقوق المالية والفرق بينهما ظاهر فان الحقوق المالية ينتفع المظلوم بعود نظير مظلمته إليه فان شاء أخذها وإن شاء تصدق بها

وأما فى الغيبة فلا يمكن ذلك ولا يحصل له باعلامه إلا عكس مقصود الشارع ﷺ فانه يوغر صدره ويؤذيه إذا سمع ما رمى به ولعله يهيج عداوته ولا يصفو له أبدا وما كان هذا سبيله فان الشارع الحكيم صلى الله عليه وسلم

---

(١) رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة .

لا يبيحه ولا يجوزه فضلا عن أن يوجبه ويأمر به . ومداد الشريعة على تعطيل المفاسد وتقليلها . لا على تحصيلها وتكميلها . والله تعالى أعلم .

(الفصل السادس والستون)

(فيما يقال ويفعل عند كسوف الشمس وخسوفه)

فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم قال [إن الشمس والقمر لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته . فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبروا وتصدقوا]

وفى صحيح مسلم عن عبد الرحمن بن سمرة قال [بينا أنا أرمى بأسهم لى فى حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ كسفت الشمس فنبذتهن وقلت لأنظرن ما حدث لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى كسوف الشمس اليوم فانتهيت إليه وهو رافع يديه يسبح ويحمد ويهلل ويدعو حتى حسر عن الشمس فقرأ بسورتين وركع ركعتين]

والنبى صلى الله عليه وسلم أمر فى الكسوف بالصلاة والعتاقة والمبادرة إلى ذكر الله تعالى والصدقة فان هذه الأمور تدفع أسباب البلاء (١)

قال الأستاذ الإمام السيد محمد رشيد رضا رحمه الله وجعل الجنة مثواه البلاء ما يختبر الله تعالى به عباده من بواعث العمل الحسن أو القبيح كما قال تعالى (ونبلوكم بالشر والخير فتنة . وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون) ومنظر الخسوف والكسوف من آيات قدرة الله تعالى والنظام فى تدبير ملكه فينبغى أن يكون باعثا على ذكره وطاعته ألم تر أن الصلوات الخمس مؤقتة بهذه المظاهر فى الكون ؟ وليس الخسوف والكسوف من المصائب أو أسبابها كما تبادر إلى فهم العامى من عبارة المصنف رحمه الله تعالى بل هما داخلان فى معنى قوله تعالى (الشمس والقمر بحسبان) ولذلك يعرف أوقاتهما الحاسبون من علماء الفلك ويحررونها قبل وقوعها مضبوطة بالدقائق والثوانى ويذكرون فى تقاويمهم السنوية ما يقع فى كل سنة منهما ومدته

﴿ الفصل السابع والستون فيما يقول من ضاع له شيء ويدعو به ﴾

ذكر على ابن العيني عن سفيان عن ابن عجلان عن عمرو بن كثير بن أفلح قال [كان ابن عمر يقول للرجل اذا أضل شيئا قل اللهم رب الضالة هادى الضالة تهدى من الضلال رد على ضالتى بقدرتك وسلطانك فانها من عطائك وفضلك] وفى وجه آخر سئل ابن عمر رضى الله عنه عن الضالة فقال يتوضأ ويصلى ركعتين ثم يتشهد ثم يقول [اللهم راد الضالة هادى الضلالة تهدى من من الضلالة رد على ضالتى بعزتك وسلطانك فانها من فضلك وعطائك]

قال البيهقى هذا موقوف وهو حسن

وقيل إن من ضاع له شيء فقال يا جامع الناس ليوم لاريب فيه رد على ضالتى ردها الله تعالى عليه .

﴿ الفصل الثامن والستون ﴾

(فى عقد التسبيح بالأصابع وأنه أفضل من السبحة)

روى الأعمش عن عطاء بن السائب عن أبيه عن عبدالله بن عمر قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم [يعقد التسبيح بيمينه] رواه أبو داود

وفى أى البلاد يرى فلا يخطئون لأنهم عرفوا الحسبان الذى وضعه الخالق وهو لا يخطىء ويمكن بيان ما سيحدث من ذلك بعد المئات والألوف من السنين ويمكن تخريج كلة المصنف على الغالب فى استعمال البلاء وهو الشدة والعقوبة أى وذلك يدفع أسباب العقاب فى البلاء لعدم التقصير فيما يجب فيه اه

أقول وهذا لايمنع أن يكون الخسوف والكسوف مما يخوف الله به عباده ليقلعوا عن المعصية ويتوبوا . ففى البخارى أن النبى صلى الله عليه وسلم لما رأى الخسوف خرج مهتما يجر رداءه يرى فى وجهه أثر ذلك وكان فى سجوده ينفخ ويقول لربه ألم تعدنى أن لا تعذبهم وأنا فيهم وكذلك أيضا فان الساعة تقوم (إذا الشمس كورت) أى أظلم نورها وانطفأ شعارها .

وروت يسيرة (١) إحدى المهاجرات رضى الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس ولا تغفلن فتنسين الرحمة واعقدن بالأنامل فانهن مسؤلات ومستنطقات (٢) .

﴿ الفصل التاسع والستون ﴾

(فى أحب الكلام إلى الله عز وجل بعد القرآن)

ثبت فى صحيح مسلم عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله ﷺ أحب الكلام إلى الله تعالى أربع لا يضرك بأيهن بدأت سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر

وفى وجه آخر أفضل الكلام بعد القرآن أربع وهن من القرآن سبحان الله والحمد لله والله أكبر (٣) وفى أثر آخر أفضل الكلام ما اصطفى الله الملائكة سبحان الله وبحمده

وفى الصحيحين عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان إلى الرحمان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلى مما طلعت عليه الشمس

---

(١) قال الحافظ ابن حجر فى التقريب يسيرة بالتصغير ويقال أسيرة بألف أم ياسر صحابية من الانصاريات ويقال من المهاجرت

(٢) رواه الترمذى والحاكم بسند صحيح

(٣) عزاه السيوطى فى الجامع الصغير إلى الامام أحمد عن رجل وعلم عليه بالصحه وليس فيه بعد القرآن ولا وهن من القرآن وظاهر قول المصنف بعده وفى أثر آخر أنه ليس بمرفوع فليراجع

(الفصل السبعون فى الذكر المضاعف)

فى صحيح مسلم عن جويرية أم المؤمنين أن النبي صلى الله عليه وسلم [خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهى فى مسجدها ثم رجع بعد ما أضحى وهى جالسة فقال : « ما زلت على الحال التى فارقتك عليها » قالت : نعم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن . سبحان الله عدد خلقه . سبحان الله رضا نفسه . سبحان الله زنة عرشه . سبحان الله مداد كلماته] (١)

وعن سعد بن أبى وقاص [أنه دخل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على امرأة وبين يديها نوى أو حصى تسبح به فقال : أخبرك بما هو أيسر عليك من هذا وأفضل فقال سبحان الله عدد ما خلق فى السماء . سبحان الله عدد ما خلق فى الأرض . سبحان الله عدد ما بين ذلك . سبحان الله عدد ما هو خالق . والله أكبر مثل ذلك ولا إله إلا الله مثل ذلك والحمد لله مثل ذلك . ولا حول ولا قوة إلا بالله مثل ذلك » رواه أبو داود . والترمذى وقال حديث حسن

(الفصل الحادى والسبعون فيما يقال لمن حصل له وحشة)

روينا فى معجم الطبرانى عن البراء بن عازب « أن رجلا اشتكى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحشة فقال : قل سبحان الله الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات والأرض بالعزة والجبروت فقالها الرجل فأذهب الله عنه الوحشة (٢)

---

(١) وفى رواية . سبحان الله عدد خلقه ، ورضا نفسه ، وزنة عرشه ومداد كلماته

(٢) رواه ابن السنى

الفصل الثانى والسبعون

(فى الذكر الذى يقوله أو يقال له إذا لبس ثوبا جديدا)

عن أبى نضرة عن أبى سعيد الخدرى قال [كان رسول الله ﷺ إذا استجد ثوبا سماه باسمه قميصا أو إزارا أو عمامة يقول اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه أسألك من خيره وخير ما صنع له وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له قال أبو نضرة وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا رأى أحدهم على صاحبه ثوبا قال تبلى ويخلف الله تعالى] ذكره البيهقى(١)

وعن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه عن جده [أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال من لبس ثوبا فقال الحمد لله الذى كسانى هذا ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر](٢)

(الفصل الثالث والسبعون فيما يقال عند رؤية الفجر)

روى ابن وهب عن سليمان بن بلال عن سهل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة قال [كان رسول صلى الله عليه وآله وسلم إذا كان فى سفر فبدا له الفجر قال سمع سامع بحمد الله ونعمته وحسن بلائه علينا ربنا صاحبنا فأفضل علينا عائذا بالله من النار - يقول ذلك ثلاث مرات ويرفع بها صوته] هذا إسناد صحيح على شرط مسلم .

(الفصل الرابع والسبعون)

(فى التسليم للقضاء والقدر بعد بذل الجهد فى تعاطى ما أمر به من الأسباب)

قال تعالى (يا أيُّهَا الذينَ آمنوا لا تَكُونُوا كالذينَ كفَرُوا وَقَالُوا لإخْوانهمْ إذا [illegible] بوا فى الأرْض أو كَانُوا غُزًّا لو كانوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا ومَا قُتلوا ليَجْعَلَ [illegible] ذَلكَ حَسْرَةً فى قلُوبهمْ والله يُحْيِي ويُمِيتُ والله بمَا تَعمَلُونَ بَصير)

(١) رواه أبو داود وابن حبان وصححه والترمذى وحسنه والنسائى .

(٢) أخرجه أبو داود مطولا فى الحمد على الطعام واللباس .

سورة النساء آية ١٥٦ فنهى سبحانه عباده أن يتشبهوا بالقائلين لو كان كذا وكذا لما وقع قضاؤه بخلافه .

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم [وإياك واللو فان اللو تفتح عمل الشيطان]

وقال أبو هريرة قال النبي ﷺ : [المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف . وفي كل خير أحرص على ماينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أنى فعلت كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وماشاء فعل فان ـ لو ـ تفتح عمل الشيطان] رواه مسلم .

وعن عوف بن مالك أن النبي ﷺ [قضى بين رجلين فقال المقضى عليه لما أدبر حسبنا الله ونعم الوكيل فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم إن الله يلوم على العجز ولكن عليك بالكيس فاذا غلبك أمر فقل حسبي الله ونعم الوكيل]

فنهى النبي ﷺ أن يقول عند جريان القضاء ما يضره ولا ينفعه وأمره أن يفعل من الأسباب مالا غنى له عنه فان أعجزه القضاء قال حسبي الله فاذا قال حسبي الله بعد تعاطى ما أمره من الأسباب قالها وهو محمود فانتفع بالفعل والقول وإذا عجز وترك الأسباب وقالها قالها وهو ملوم بترك الأسباب التي اقتضتها حكمة الله عز وجل فلم تنفعه الكلمة نفعها لمن فعل ما أمر به .

الفصل الخامس والسبعون

(في جوامع من أدعية النبي ﷺ وتعوذاته لاغنى للمرء عنها)

قالت عائشة [كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحب الجوامع من الدعاء ويدع ما بين ذلك] .

وفي المسند . وسنن النسائي وغيرهما [أن سعدا سمع ابنا له يقول اللهم إني أسألك الجنة وغرفها وكذا وكذا ، وأعوذ بك من النار وأغلالها وسلاسلها . فقال سعد رضى الله عنه . لقد سألت الله خيرا كثيرا وتعوذت به من شر كثيرا ، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول سيكون قوم يعتدون

فى الدعاء، ويحسبك أن تقول اللهم إنى أسألك من الخير كله ما علمت منه وما لم أعلم وأعوذ بك من الشر كله ماعلمت منه ومالم أعلم .

وفى مسند الامام أحمد . وسنن النسائى عن ابن عباس قال : (كان من دعاء النبى ﷺ رب أعنى ولا تعن على وانصرنى ولا تنصر على وامكر لى ولا تمكر على وانصرنى على من بغى على رب اجعلنى لك شكارا لك ذكارا لك رهابا لك مخبتا اليك أواها منيبا رب تقبل توبتى واغسل حوبتى (١) وأجب دعوتى وثبت حجتى واهد قلبي وسدد لسانى واسلل سخيمة قلبى) هذا حديث صحيح ورواه الترمذى وحسنه وصححه .

وفى الصحيحين من حديث أنس بن مالك قال [كنت أخدم النبى ﷺ فكنت أسمعه يكثر أن يقول اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والبخل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال](٢) .

وفى صحيح مسلم عن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال [لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول اللهم إنى أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل والهرم وعذاب القبر ، اللهم آت نفسى تقواها . زكها أنت خير من زكاها ، إنك وليها ومولاها اللهم إنى أعوذ بك من قلب لا يخشع ونفس لاتشبع وعلم لا ينفع ودعوة لايستجاب لها](٣)

وفى الصحيحين عن عائشة رضى الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو [اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات. اللهم إنى أعوذ بك من المأثم

---

(١) بفتح الحاء وتضم أى اثمى

(٢) الضلع بفتح الضاد واللام الثقل والدين بفتح الدال

(٣) فى صحيح مسلم [اللهم إنى أعوذ بك من علم لاينفع ومن قلب لايخشع ومن نفس لاتشبع ومن دعوة لا يستجاب لها] .

والمغرم فقال قائل : ما أكثر ما تستعيذ من المغرم ؟ قال إن الرجل إذا غرم حدث فكذب ووعد فأخلف]

وفى صحيح مسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما قال [كان من دعاء النبى صلى الله عليه وآله وسلم اللهم إنى أعوذ بك من زوال نعمتك ، وتحول عافيتك ، ومن فجأة نقمتك ومن جميع سخطك]

وفى الترمذى عن عائشة قالت قلت [يارسول الله إن وافقت ليلة القدر ما أسأل قال قولى اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنى] قال الترمذى صحيح

وفى مسند الإمام أحمد عن أبى بكر الصديق عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال [عليكم بالصدق فانه مع البر وهما فى الجنة وإياكم والكذب فانه مع الفجور وهما فى النار وسلوا الله المعافاة فانه لم يؤت رجل بعد اليقين خيراً من المعافاة]

وفى صحيح الحاكم عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما سئل الله عز وجل شيئاً أحب إليه من أن يسئل العافية]

وذكر الفريابى فى كتاب الذكر من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال [جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال أى الدعاء أفضل قال تسأل الله العفو والعافية فإذا أعطيت ذلك فقد أفلحت]

وفى الدعوات للبيهقى عن معاذ بن جبل قال [مر رسول الله ﷺ برجل يقول اللهم إنى أسألك الصبر . قال سألت الله البلاء فسل العافية . ومر برجل يقول اللهم إنى أسألك تمام النعمة فقال وما تمام النعمة قال سألت انا أرجو الخير قال له تمام النعمة الفوز من النار ودخول الجنة]

وفى صحيح مسلم عن أبى مالك الأشجعى رضى الله عنه قال [كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعلم من أسلم أن يقول اللهم اهدنى وارزقنى وعافنى وارحمنى]

وفى المسند عن بسر بن أرطاة رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول

الله صلى الله عليه وسلم يقول [اللهم أحسن عاقبتنا الامور كلها وأجرنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة]

وفى المسند. وصحيح الحاكم عن ربيعة بن عامر عن النبي ﷺ [الظوا بياذا الجلال والاكرام] أى الزموها وداوموا عليها.

وفى صحيح الحاكم أيضا عن أبى هريرة أن رسول صلى الله عليه وآله وسلم قال لهم [أتحبون أيها الناس أن تجتهدوا فى الدعاء؟ قالوا نعم يارسول الله. قال قولوا اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك]

وفى الترمذى وغيره [أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى معاذا أن يقولها دبر كل صلاة]

وفى صحيحه أيضا عن أنس قال [كنا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى حلقة ورجل قائم يصلى فلما ركع وسجد تشهد ودعا فقال فى دعائه اللهم إنى أسألك بان لك الحمد لا إله الا أنت بديع السموات والارض ياذا الجلال والاكرام ياحى ياقيوم فقال النبي ﷺ لقد سال الله باسمه العظيم الذى إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى]

وفى المسند وصحيح الحاكم أيضا عن شداد بن أوس رضى الله عنه قال: قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم [ياشداد اذا رأيت الناس يكنزون الذهب والفضة فاكنز هؤلاء الكلمات اللهم انى أسألك الثبات فى الامر والعزيمة على الرشد وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك، وأسألك قلبا سليما ولسانا صادقا وأسألك من خير ماتعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم وأستغفرك لما تعلم إنك أنت علام الغيوب]

وفى الترمذى أن حصين بن المنذر الخزاعى رضى الله عنه قال له النبي ﷺ [كم تعبد إلها؟ قال سبعة ـ ستة فى الارض وواحد فى السماء. قال فمن تعد لرغبتك ورهبتك؟ قال الذى فى السماء قال: أما لو أسلمت لعلمتك كلمتين تنفعانك ـ فلما أسلم قال: يارسول الله علمنى الكلمتين قال

قل : اللهم ألهمنى رشدى وقنى شر نفسى ، حديث صحيح ، وزاد الحاكم فى صحيحه [اللهم قنى شر نفسى ، واعزم لى على أرشد أمرى ، اللهم اغفر لى ما أسررت وما أعلنت . وما أخطأت ، وما تعمدت ، ما علمت ، وما جهلت] واسناده على شرط الصحيحين] .

وفى صحيح الحاكم عن عائشة قالت : [دخل على أبو بكر رضى الله عنهما فقال : هل سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاء علمنيه ؟ قلت : ماهو ؟ قال : كان عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم يعلمه أصحابه قال : لو كان على أحدكم جبل ذهب دينا فدعا الله بذلك لقضاه الله عنه . اللهم فارج الهم . كاشف الغم . مجيب دعوة المضطرين . رحمن الدنيا والآخرة ورحيمها أنت ترحمنى فارحمنى رحمة تغنينى بها عن رحمة من سواك] .

وفى صحيحه أيضا عن أم سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم [هذا ما سأل محمد ربه اللهم إنى أسألك خير المسألة ، وخير الدعاء وخير النجاح وخير العمل وخير الثواب ، وخير الحياة ، وخير الممات ، وثبتنى ، وثقل موازينى ، وحقق إيمانى وارفع درجتى وتقبل الخير وخواتمه وأوله وآخره وظاهره وباطنه والدرجات العلى من الجنة آمين . اللهم إنى أسألك خير ما آتى وخير ما أفعل وخير ما بطن وخير ما ظهر ، اللهم إنى أسألك أن ترفع ذكرى وتضع وزرى وتصلح أمرى وتطهر قلبي وتحصن فرجى وتنور لى قلبي وتغفر لى ذنبي وأسألك أن تبارك لى فى نفسى وفى سمعى ، وفى بصرى ، وفى روحى ، وفى خلقى ، وفى أهلى ، وفى محياى وفى مماتى ، وفى عملى وتقبل حسناتى ، وأسألك الدرجات العلى من الجنة آمين] .

وفى صحيحه أيضا من حديث معاذ قال [أبطأ عنا رسول الله ﷺ بصلاة الفجر حتى كادت أن تدركنا الشمس ثم خرج فصلى بنا فخفف ثم أقبل علينا بوجهه فقال على مكانكم أخبركم ما بطأنى عنكم اليوم ، إنى

صليت فى ليلتى هـذه ما شاء الله ثم ملكتنى عينى فنمت فرأيت ربى تبارك وتعالى فالهمنى ان قلت . اللهم إنى أسألك الطيبات ، وفعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين وأن تتوب على وتغفر لى وترحمنى ، وإذا أردت فى خلقك فتنة فنجنى اليك منها غير مفتون اللهم وأسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يبلغنى الى حبك ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : تعلموهن وادرسوهن فانه حق ورواه الترمذى والطبرانى . وابن خزيمة . وغيرهم بألفاظ أخر .

وفى صحيح الحاكم أيضا عن ابن عباس قال كان النبى ﷺ يدعو [اللهم متعنى بما رزقتنى وبارك لى فيه واخلف لى على كل غائبة لى بخير] .

وفيه عن أنس ابن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول [اللهم انفعنى بما علمتنى وعلمنى ماينفعنى وارزقنى علما ينفعنى] .

وفيه أيضا عن عائشة [أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمرها أن تدعو بهذا الدعاء اللهم إنى أسألك من الخير كله عاجله وآجله ماعلمت منه ومالم أعلم وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ماعلمت ومالا أعلم وأسألك الجنة وماقرب اليها من قول أوعمل وأعوذ بك من النار ماقرب اليها من قول أوعمل وأسألك من خير ما سألك عبدك ورسولك محمد وأسألك ماقضيت لى من أمر أن تجعل عاقبته رشدا] .

وفيه عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أوصى سلمان الخير فقال له [إنى أريد أن أمنحك كلمات تسألهن الرحمة وترغب اليه فيهن وتدعو بهن فى الليل والنهار قل اللهم إنى أسالك صحة فى إيمان وإيمان فى حسن خلق ونجاحا يتبعه صلاح ورحمة منك وعافية ومغفرة منك ورضوانا] .

وفيه عن أم سلمة عن النبى ﷺ أنه كان يدعو بهؤلاء الدعوات [اللهم أنت الأول لاشىء قبلك وأنت الآخر لاشىء بعدك أعوذ بك من شر كل دابة

ناصيتها بيدك وأعوذ بك ومن الإثم والكسل ومن عذاب القبر ومن فتنة الغنى ومن فتنة القبر وأعوذ بك من المأثم والمغرم اللهم نق قلبي من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس اللهم بعد بيني وبين خطيئتي كما بعدت بين المشرق والمغرب] .

وفى مسند الإمام أحمد وصحيح الحاكم أيضاعن عمار بن ياسر رضى الله عنه أنه صلى صلاة أوجز فيها فقيل له فى ذلك قال : لقد دعوت الله فيها بدعوات سمعتهن من رسول الله ﷺ [اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيرا لى اللهم وأسألك خشيتك فى الغيب والشهادة وأسألك كلمة الحق فى الغضب والرضا وأسألك القصد فى الفقر والغنى وأسألك نعيما لا ينفد وأسألك قرة عين لا تنقطع وأسألك الرضا بعد القضاء وأسألك برد العيش بعد الموت وأسألك لذة النظر إلى وجهك وأسألك الشوق إلى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين]

وفى صحيح الحاكم أيضا عن ابن مسعود قال . كان من دعاء رسول الله ﷺ [اللهم إنا نسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والسلامة من كل إثم والغنيمة من كل بر والفوز بالجنة والنجاة من النار]

وفيه أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان يدعو [اللهم احفظنى بالإسلام قائما واحفظنى بالإسلام قاعدا واحفظنى بالإسلام راقدا ولا تشمت بى عدوا حاسدا اللهم إنى أسألك من خير خزائنه بيدك وأعوذ بك من شر خزائنه بيدك]

وعن النواس بن سمعان سمعت رسول الله ﷺ يقول [ما من قلب إلا بين أصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه] .

وكان رسول الله ﷺ يقول يامقلب القلوب ثبت قلبى على دينك والميزان بيد الرحمن عز وجل يرفع أقواما ويخفض آخرين الى يوم القيامة] حديث صحيح رواه الإمام أحمد والحاكم فى صحيحه .

وفى صحيح الحاكم أيضا عن ابن عمر أنه لم يكن يجلس مجلسا كان عنده أحدا ولم يكن الا قال :[اللهم اغفرلى ما قدمت وماأخرت وما أسررت وما أعلنت وماأسرفت وما أنت أعلم به منى اللهم ارزقنى من طاعتك ماتحول به بينى وبين معصيتك وارزقنى من خشيتك ماتبلغنى به رحمتك وارزقنى من اليقين ما تهون به على مصائب الدنيا وبارك لى فى سمعى وبصرى واجعلهما الوارث منى اللهم اجعل ثارى على من ظلمنى وانصرنى على من عادانى ولا تجعل الدنيا أكبر همى ولامبلغ علمى اللهم لاتسلط على من لا يرحمنى] فسئل عنهن ابن عمر فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يختم بهن مجلسه .

* * *

والحمد لله رب العالمين حمدا طيبا مباركا كما يحب ربنا ويرضى وكما ينبغى لكرم وجهه وعز جلاله ملء سمواته وملء أرضه وملء ما بينهما وملء ماشاء من شيء بعد حمدا لاينقطع ولا يبيد ولا يفنى عدد ماحمده الحامدون وعدد ماغفل عن ذكره الغافلون وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد خاتم أنبيائه ورسله وخيرته من بريته وأمينه على وحيه وسفيره بينه وبين عباده فاتح أبواب الهدى ومخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم الى صراط العزيز الحميد الذى بعثه للايمان مناديا والى الصراط المستقيم هاديا وإلى جنات النعيم داعيا وبكل المعروف آمرا وعن كل منكر ناهيا فأحيا به القلوب بعد مماتها وأنارها بعد ظلماتها وألف بينها بعد شتاتها فدعا الى الله عز وجل على بصيرة بالحكمة والموعظة الحسنة وجاهد فى الله تعالى حق جهاده حتى عبد الله وحده لاشريك له وسارت دعوته سير الشمس فى الاقطار وبلغ دينه الذى ارتضاه لعباده ما بلغ الليل والنهار وصلى الله عز وجل وملائكته وجميع خلقه عليه كما عرف بالله تعالى ودعا اليه وسلم تسليما اه .

(تم الكتاب)

فهرست الكتاب

صفحة

صفحة

صفحة

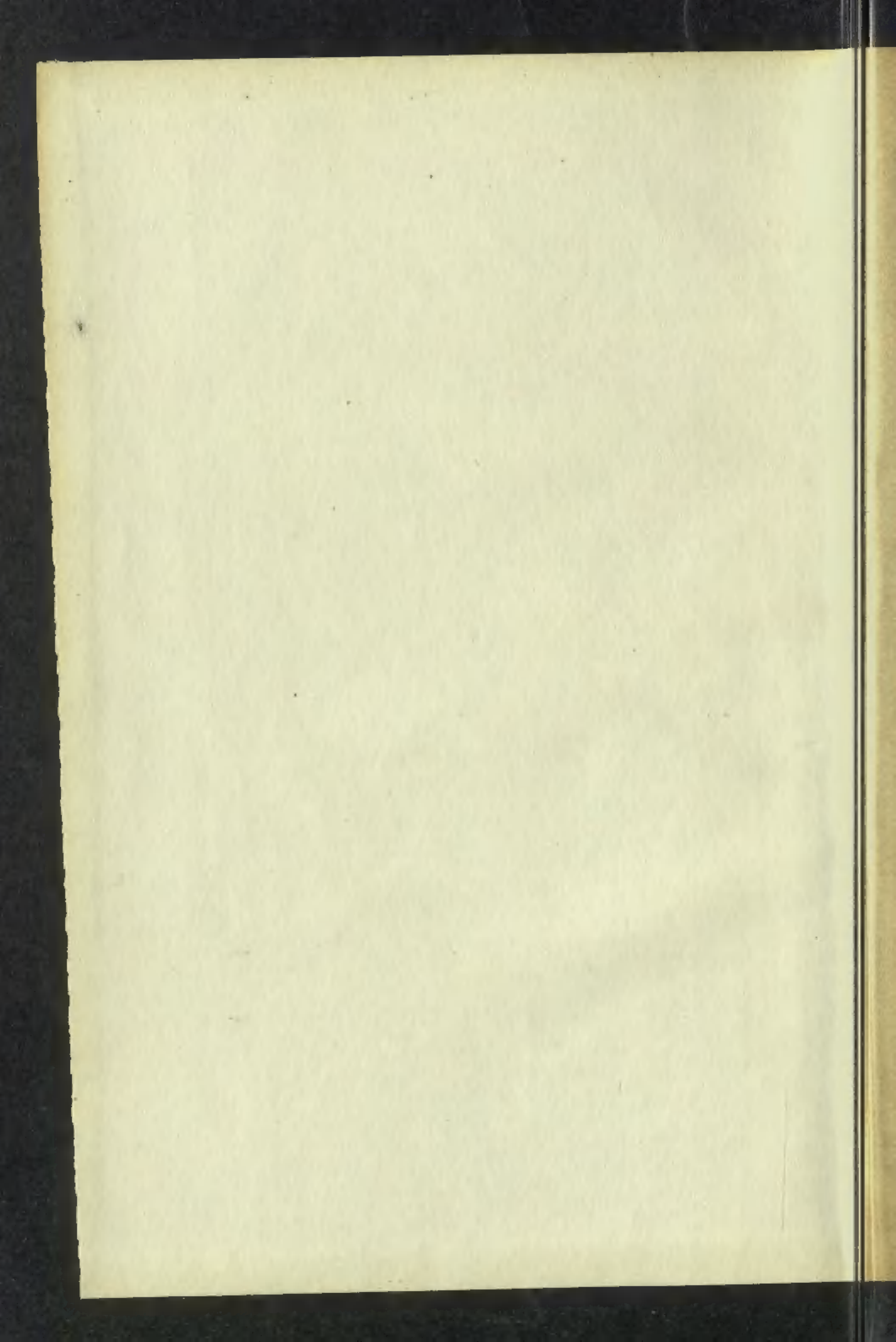
صفحة

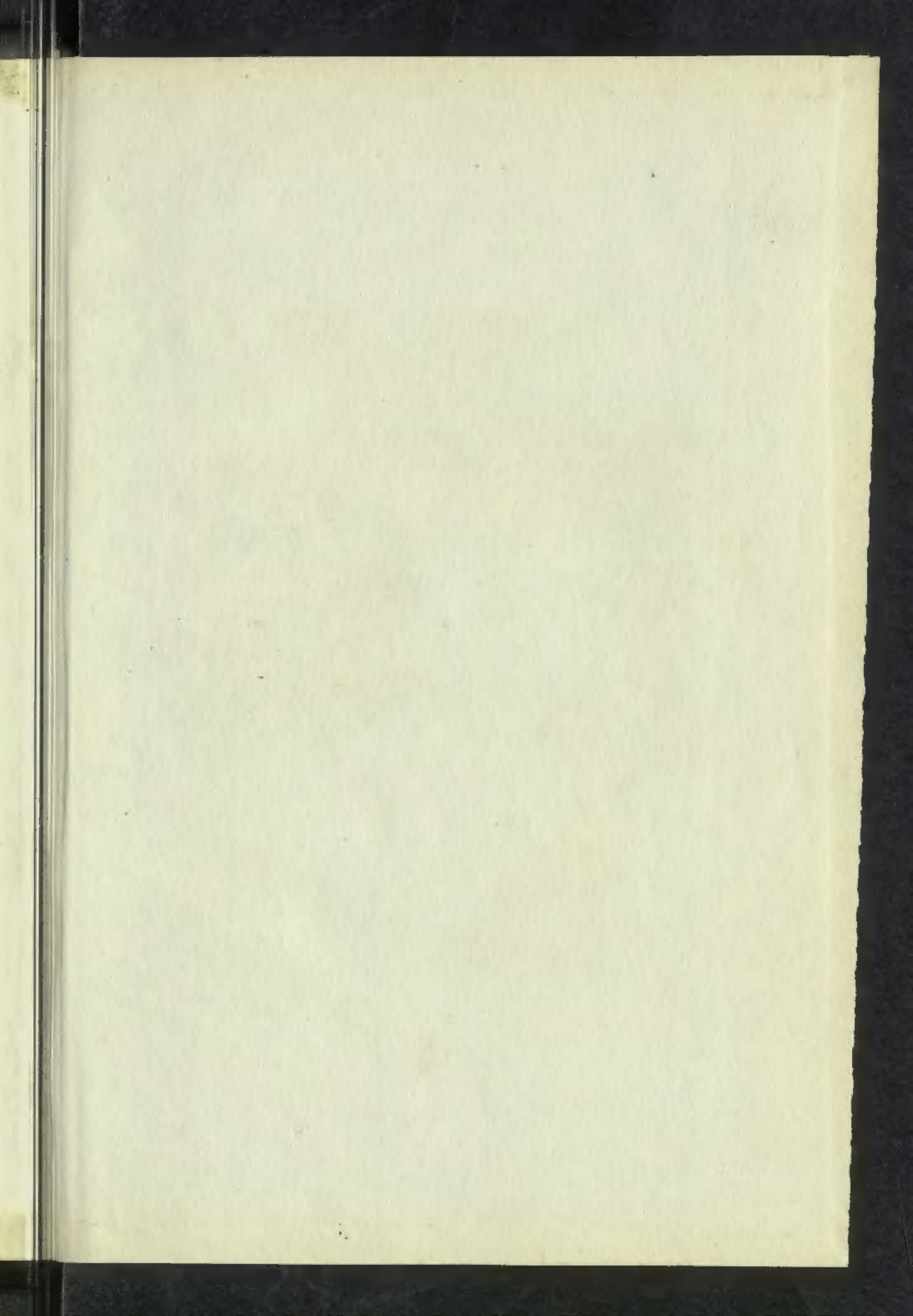
صفحة

صفحة

(تم الفهرست)

طبع بإذن من عبد الهادى وأبو بكر منير نجلى المرحوم الشيخ محمد منير الدمشقى
فى ١٩٥٢/٧/٢١ ومسجل تحت نمرة ٢٧٥






AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT

